مجلة تراثية نصف سنوية مُحكّمة
العدد الاول(الخاص) السنة السابعة والأربعون
٢٠٢٠م / ١٤٤١ هـ



الرقم المعياري الدولي
ISSN : 1606 - 4836

عنوان المراسلة: جمهورية العراق/ بغداد - الأعظمية
حي تونس/ دارالشؤون الثقافية العامة/ ص.ب ٤٠٣٢
هاتف ٤٤٣٦٠٤٤/ فاكس: ٤٤٦٧٦٠

البريد الإلكتروني mail:
info @ darculture.com
dar-iraqculture @ yahoo.com

رقم الايداع في المكتبة الوطنية (١٠٠) لسنة ٢٠١٤م

المحتوى

المناهج المعتمدة
عند مؤلفي التراث الرياضي العراقي



أ.د رياض سعيد لطيف*

● المقدمة:

ينطلق هذا البحث من مقولة للباحث الانكليزي (اديلارد الباثي)[1] والذي كان عمودا من اعمدة نشر الثقافة العربية الاسلامية في أوروبا في القرن الثاني عشر والتي كانت تدور حول مناهج العرب في التأليف الرياضي الذين كانت تزدحم بمؤلفاتهم الدنيا وقد اعتمدوا على اسلوبين مهمين هما الاستنباطي الرياضي العقلي، والمنهج الاستقرائي التجريبي وقد برع العرب كثيرا في هذين المنهجين واستطاعوا ان يتغلبوا على الغرب الاوروبي آنذاك.

من هنا تأتي اهمية البحث هذا مسلطا الضوء على ابرز انجازات العرب في مناهج البحث الرياضي على الحضارة الاوروبية في بداياتها، وكذلك ما استفادت أوروبا من معالجات المناهج العربية لإنجازات الحضارة الاغريقية واليونانية التي سبقتهم والذي بدوره كان المحرك الرئيس لنهضة أوروبا.

تعد العلوم الرياضية من العلوم الاساسية والدقيقة التي اهتم بها علماء الحضارة الاسلامية في القرون الوسطى من بداية ازدهارها حتى افولها، كونها تستند الى امرين مهمين الاول استنادها لقواعد المنطق السليم الذي هو اداة التفكير الصحيح ذي المسار الدقيق والبعيد عن الاشتطاط في الخطأ، والامر الثاني في كونها تعتمد على منهج قويم يتضمن اسساً وضوابط ومحاكاة عقلية دقيقة متدرجة احداها معتمدة على الاخرى (sequences) فبدايات صحيحة تؤدي الى نهايات او استنتاجات دقيقة مثلها.

---

* جامعة بغداد /مركز احياء التراث العلمي العربي

ولقد لاحظت كثيرا وانا اقرأ محضر مادة البحث ان علمـاء الرياضيـات في الحضـارة العربيـة الاسـلامية كغيرهم مـن علمـاء الرياضيات في الحضـارات القديمـة الاخـرى في تفاعلهم مع المـادة العلميـة والمنهـج الا ان مـا ميزهم هو الايمان الشـديد بنصوص القرآن الكريم ايمانا شـديدا شـكل الجزء المهـم والمحـرك الرئيس لأبحاثهم، فعلى سـبيل المثال كان اغلبهم يقف عنـد الآيـات العديدة التـي شـكلت الانطلاقة الساخنة لمناهج بحثهم، وبخاصة اية سورة آل عمران وسورة الاسراء، ففي الاولى يثمن القرآن اصحاب المناهج مـن العلماء ويوعدهم بالأجر الاخـروي في قوله تعالى:[يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ][٢].

والاية الثانيـة في الاسراء: [وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُـوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّـنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا][٣].

اذن الآيـات القرآنيـة في اعـلاه وغيرهما بينت كيـف لنصـوص القـرآن ان تحـرك الهمـة لاكتشـاف المنهـج وبينـت امرين اثنـين هما: حب اكتشـاف الحقيقة لغرض الاجر والثواب، والثاني: تنظيم امورهم الفقهية سـواء أكانت في العبادات (كالعبـادات المؤقتة بوقت) والتي تحتـاج الى رياضيـات وحسـاب او المعاملات الاقتصاديـة (كقيـاس مسـاحات الاراضي الزراعية او العشرية الخراجية) لغرض احقاق الحقوق سواء للدولة او للأفراد.



مـن هنـا انطلـق علمـاء الرياضيات شـأنهم شـأن علماء العلوم الاخرى نحـو الجهد المزيد والاجتهاد في ايجاد المناهج وخطواتها الاساسية وضوابطها الدقيقة، ليسـت فقط التي ورثوها ممـن قبلهم من علمـاء الحضارات السـابقة، وانما بما ابدعوا في كونهم اصحاب خصوصية حضارية جديدة، اسـتندت الى كتاب سـماوي جديد هو القرآن.

ثـم انهـم أكبـوا عـلى ترجمـة اعمـال علماء الرياضيـات في الحضـارات التي سـبقتهم ثم بنوا عليها بنيانـا ابداعيا جديدا انتهى بقوالب تطويـر جديـدة للمناهـج الرياضيـة التـي اعتمدوها.

وبصـدق القول نقول وبعد اسـتقرائنا للعديد من اعمال الرياضيين العرب المسلمين، واعمال اصحاب المناهج المتخصصين، انهم اعطوا علم المنهـج (methodology) دفعـا قويا وبنيانا متينـا، فنجدهـم ونتيجة لجهدهـم الجهيد في قضايا المنهج قد اثمـرت انجازاتهم ثمرات قد اقتربـت مـن ثمرات منهـج البحـث المعاصر ، فمثلا اذا قـال لك علماء الاسـتشراق الرياضي ان ما وجده البتاني في ازيجته التي راقب فيها حركة القمر مـن نتائج الارقـام والجداول قد اقترب ممـا احرزته اجهـزة المراقبة المعاصرة الدقيقة وان الفرق بينهما قد اقترب الواحد من الالف (٠,٠٠١+-)، وهذا دليل واضح لصدق ما ذهبوا اليه من المناهج.

●أهمية الموضوع

١-ان البحـث في موضـوع المناهـج رهـين بموضـوع التطور والتقدم فالأمـة التي تريد النهوض بجد فلابـد من التعمق في المناهج لان المناهـج لها علاقـة طردية مع التقـدم وجودا وعدما وخصبا وعقما.

٢-ان التطور اذا انتكـس معناه انتكس العلم واذا انتكس العلم انتكست المناهج وهذه علاقة منطقية.

٣-عند استقراء مؤلفات التاريخ نجد ان القليل منها الذي يركز على تاريخ العلوم الصرفة مع بديهية انها هي الأساس في كل تطور وكما يقولون ان شاهدت امة متطورة في الرياضيات والكيمياء والفيزياء فانظر الى تقدمها وتطورها.

٤-ايضاح وتبين دور الفكر العربي الاسلامي في العلوم الصرفة على وجه العموم والفكر الرياضي على وجه الخصوص.

بقيت مسألة لا بد من تنويه القارئ الكريم اليها، وحسبي بهذا التنويه قد اسقطت حق من يعترض علي، فيكون حالي وحاله كمن يبيع الهدية المهداة اليه .

اما بخصوص لفظة العراقي في عنوان البحث فأقول المقصود من اللفظة هو المعنى المعرفي (الإبستمولوجي) وبعبارة اخرى اقصد منه كل عالم رياضي، كان لمدن العراق فضلٌ في تطور وتقدم علمه، سواء اكانت بغداد كما رأينا في العديد منها، او الموصل كما رأينا في البتاني الحراني، او البصرة كما في ابن الهيثم او واسط كما في ابو علي الواسطي.

البحث قسم الى مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة وقائمة بأهم المراجع والمصادر.

●المطلب الاول

-التعريف بمفردات البحث

-الهيكل العام للبحث

من المعلوم عند اهل العلوم ان قضية الارتباط والعلاقة بين العلم والمنهج جد وثيقة، فالعلم يتقدم بتقدم المنهج، تباطؤ العلم دائما له علاقة بتردي المنهج، لان المنهج بأسس وضوابط وقواعد محكمة هو الذي يوصل الى الحقيقة .

ويعد راموس أول العلماء الذين شدوا انتباه المتأخرين من العلماء الى قضية المنهج وكما يذكر د. عبد الرحمن بدوي في كتابه ان راموس هو أول من قسم المنطق الى أربعة أقسام هي: التصور، الحكم، البرهان، المنهج[٤].

ولقد تعددت تعريفات المنهج من عالم الى عالم، والسبب في ذلك هو نقطة انطلاق ذلك العالم .

١-المناهج لغة جمع منهج والمنهج هو الطريق المؤدي والموصل الى الحقيقة ويقصد بها الاسلوب والوسيلة المتخذة للوصول الى الغاية[٥].

ولقد استعمل القرآن هذا اللفظ بهذا المعنى، فقوله تعالى: [لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ][٦].

وفي الأثر عن ابن عباس (رض) «لم يمت رسول الله (ص) حتى ترككم على طريقة ناهجة»[٧]، أي واضحة بينة.

٢-اما تعريف المنهج في الاصطلاح فلقد تعددت التعريفات فاخترت منها تعريفا هو اقرب للجمع والمنع في قيود الفاظ غيره من الدخول فيه وشمولية معناه لجميع جزئياته والتعريف يعود الى د.عبد الرحمن بدوي في كتابه مناهج البحث العلمي بقوله: «المنهج هو الطريق المؤدي الى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة»[٨] .

٣-لفظ المعتمدة نقصد بها هي وصف لأعمال



العلماء المتقدمين وطرائق بحوثهم واساليبهم ومصطلحاتهم وكذلك قصدنا بهذا القيد هو طرح الافكار لغرض النقد والتقويم فيفصل ما لها وما عليها ونقصد ايضا ارتباط الافكار بالمنطق السليم بعيدا عن المعايير والتقنيات واسلوب كتابة البحث واختيار المشرف.

٤-لفظ التراث اصلها من مادة (ورث) والتي تدور حول ما يتركه الانسان لمن بعده كما في قوله تعالى:[يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا][٩]، وايضا قوله تعالى [وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا].

اما تعريف التراث اصطلاحا: هو مجموع الماديات والروحيات التي تصاحب الامة على مدار تاريخها.[١٠]

ويعرف ايضا هو تلك الحصيلة من المعارف والعلوم والعادات والفنون والآداب والمنجزات المادية التي تراكمت عبر التاريخ وهو نتاج جهد انساني متواصل قامت به جموع الامة عبر التاريخ.[١١]

٥-واما تعريف الرياضي فنسبة الى علم الرياضيات، عرف علم الرياضيات تعريفات عدة منها: هو العلم الذي يعنى بدراسة البنية، والفضاء، والتغير، وبشكل عام يعنى بدراسة البنى المجردة باستخدام المنطق والتدوين الرياضي وبشكل اكثر عمومية و يعنى بدراسة الاعداد وانماطها.

وعرفه بعضهم: بانه ذلك العلم التراكمي البنيان – المعرفة التالية تعتمد على المعرفة السابقة- ويتعامل مع العقل البشري بشكل مباشر او غير مباشر، ويتكون من أسس ومفاهيم، قواعد ونظريات عمليات حل المسائل (حل المشكلات) وبرهان ويتعامل مع الارقام والرموز ويعد رياضة للعقل البشري.

٦-واما العراقي فهو نسبة لكل من اخذ علم الرياضيات تراثيا سواء من بغداد كأغلب علماء الرياضيات او البصرة امثال ابن الهيثم او سامراء كأولاد ابن موسى، او الموصل كما في البتاني الحراني، او واسط كما في ابي علي الواسطي.

ان الكلام عن دور علماء الرياضيات العرب وعلاقته بالمنهج يتجلى من خلال تبيان الدور الحضاري لهؤلاء العلماء فهم لم يدوروا مع انفسهم فقط وانما نظروا في تراث الاغريق واليونان ونظروا ايضا في مناهجهم وتفاعلوا معه نقدا وتمحيصا وزينوه بالحواشي والشروح وهذا ما شهد به الكثير من المستشرقين المنصفين عند وقوفهم على صفحات الدور الحضاري لعلماء الرياضيات العرب والمسلمين امثال أديلارد الباثي وغيره من المستشرقين.

اذن ابداعهم التفكري مضافا اليه مناقشاتهم ونقدهم لمناهج الاغريق واليونان قد اغنى مناهجهم الخاصة فارتفعت الى المستوى الذي انطلقت منه الحضارة الاوروبية المعاصرة ولولا هذه المناهج لم تصل الى ما وصلت اليه.

ان التتبع والتوسع في هكذا بحوث من شأنه ان يجلّي صورة المنهج العربي بصورة عامة والرياضيات خاصة وكذلك الخطوات العملية الكبيرة التي خطوها في هذا المجال ويستطيع القارئ المنصف ان يقف ما وراء هذا البحث ليقف على مدى الاسهام الجليل الذي حققه مفكرو الرياضيات العرب في مجال مناهج



البحث العلمي وهو جهد يدعو الى اجلال وتقدير عاليين.

●المطلب الثاني

-انواع مناهج البحث الرياضي

-انواع المناهج

تنوعت المناهج الى اربعة انواع رئيسية تضمنت:
١-المنهج الاستدلالي/الرياضي/العقلي(dection)
٢-المنهج الاستقرائي/التجريبي(deduction)
٣-المنهج الاستردادي التاريخي (history)
٤-المنهج الجدلي (discusion)[١٢]

أولاً: المنهج الاستدلالي

هو كل منهج تكون فيه نتيجته اصغر او مساوية للمقدمات التي تكون منها ذلك المنهج. اذا هو عملية عقلية تحليلية تستند اساسا الى استنتاج النتيجة من مقدماتها ولهذا فعلم الرياضيات يعتمد غالبا على هذا المنهج والذي يعد من اصح العلوم العقلية لقيامه على جملة من البديهيات القطعية والمسلمات الرياضية ويستمد افضليته من مبادى منطقية يتفق عليها العقلاء، والنتائج المستفادة من الاستنباط مساوية لمقدماتها او اصغر منها فمن الضروري ان يتعلق صدق النتيجة بصدق المقدمات[١٣].

ثانيا: المنهج الاستقرائي

هو كل منهج نحصل فيه على معلومة عامة من معلومة خاصة، وهو تتبع لجزئيات نوع معين لأجل معرفة الحكم الكلي لذلك النوع ولأجل استخراج قاعدة عامة او قانون عام له.

فالعقل البشري عند المنهج الاستقرائي يكون معاكسا في سيره وطريقة حكمه لما هو عليه عند المنهج الاستنباطي، فالمنهج الاستنباطي يسير وفقا للطريقة القياسية من العام الى الخاص، يسير المنهج الاستقرائي خلافا لذلك من الخاص الى العام .

والاستقراء يقوم على التجربة والمشاهدة وقراءة الواقع، وجمع ما يمكن جمعه من الملاحظات قصد تكوين قانون عام جامع للمعاني الكلية لمختلف الجزئيات من نفس النوع.

وهنا يجب ان نقرر حقيقة مهمة سطرها م. السوقي على شبكة الالوكة، بقوله «ان عملية انتاج المعرفة في العصر الحاضر قد عرفت تطورا كبيرا، وخاصة في العلوم الطبيعية مستندة في ذلك الى علم الاحصاء والاحتمالات الرياضية التي تنطلق من الجزئي الى الكلي لتعميم النتائج»[١٤][١٥].

ثالثا: المنهج التاريخي

هو ذلك المنهج الذي يقوم بإحياء الاحداث التي حصلت في الزمن الماضي وذلك من خلال جمع البيانات المطلوبة وتحليلها والتأكد من صحتها[١٦].

رابعا: المنهج الجدلي

هو ذلك المنهج الذي يرتفع فيه العقل من المحسوس الى المعقول دون ان يستخدم شيئا حسيا وانما بالإنتقال من معان الى معان بواسطة معان [١٧].

وان كانت هناك ملاحظة تكتب في هذا الموضوع فهي قضية العلاقة والترابط بين هذه المناهج، فأتذكر قبل مدة كنت مكلفا بإعطاء (seminar) عن هذا الموضوع، وبدأت اتلو هذه الأنواع من المناهج العلمية في الحضارة العربية الاسلامية، فذكرتها كما هي في اعلاه، وفي نهاية الحلقة النقاشية فوجئت بأحد



الاســاتذة متداخلا معي، بقوله (اعتقد اننا قد ذهبنا بعيدا عن الموضوع فالبحث الرياضي هو اغلبه اســتدلالي عقلي فلا حاجة لذكر الاقســام الاخرى من المناهج).

فأجبته شــخصيا بما اســطره هنا مستشــهدا بمرجــع مهــم في قضيــة المناهج وهــو د. عبد الرحمن بديوي اذ يقول:

«ان عمليــة الفصــل بــين المناهــج في العلــوم المختلفة يكون عملية مستحيلة»[١٨].

ويقــول ايضــا د. مصطفى موالــدي بالنص: «الواقــع اننا لا نســتطيع ان نفــرق بين المنهج الريــاضي والمنهــج الاســتقرائي او التجريبي بالنســبة للرياضيات او العلــوم الطبيعية اما ما نقوم به في تقســيم الانواع، فهو على ســبيل الدراسة او الاجمال فقط» [١٩].

●مفهوم المنهج الرياضي وعلاقته بالمنهج الاستقرائي

المنهــج الرياضي تعريفه عند بدوي هو (منهج اســتدلالي ينتقل من مبدأ عقلي الى قضايا تنتج عنه بالضرورة، دون الالتجاء الى التجزئة)[٢٠].

ويعــرف محمود قاســم المنهــج الرياضي بانه منهج استنباطي:(لا يبدأ بالضرورة من بعض قضايا شــديدة العموم مسلم بها دون ان نقيم عليها البرهان)[٢١] لأنها يقصد بها من القضايا العامة التي نســلم بصدقها، ولا يمكن البرهنة عليهــا مــن شــكل البديهيــات والمصــادرات والمسلمات والتعريفات.

●المطلب الثالث

-الطرق المنهجية للبرهان الرياضي

ان ممــا ابدعــه رياضيــو الحضــارة العربيــة الاسلامية ومنهم العراقيون طبعا ان مناهجهم والطرق التــي يعتمدونها ضمــن هذه المناهج انهــا تميــل الى الايجــاز والاختصــار وكانــوا يســمون هــذه الايجــازات و الاختصــارات بالسرعــة والكمــال عــلى اعتبــار ان العقيــدة الاســلامية وصفــت رب العبــاد بصفــة اسرع الحاســبين في الاية ٦٢ من ســورة الانعام قوله «وهــو اسرع الحاســبين» تتمثل هــذه الآية في مناهجهــم فكانت النتيجة كمــا يراها الدارس والقارئ لهذه المناهج ضمنــا منهم كذلك انها تختصر الوقت والجهد ولقد جرد المستشرقون هذه الطرق التي استعملها رياضيو الحضارة العربيــة الاســلامية في نظرياتهــم ومســائلهم فوجدوها تنحصر في ثلاث طرق هي:

برهــان الخلــف وبرهــان التحليــل والتركيب والبرهان والقياس[٢٢].

فالطريقــة الاولى: هــي برهــان الخلــف في هذه الطريقة اســتعمل الرياضيون فرضيتين متناقضتــين، فصحة برهان احدى الفرضيتين يــؤدي نتيجــة الى بطــلان الاخــرى والعكــس صحيح [٢٣][٢٤].

الطريقة الثانية: التحليل والتركيب يعد هذين الطريقين من الطرق المنطقيــة القديمة اللتين كانتــا تســتعملان عنــد رياضيــي الحضارات القديمة لإثبات صلاحية فرضية ما او فسادها. و هاتــان الطريقتــان لــم تســتعملا في علــوم الرياضيــات فقــط بــل اســتعملتا في العلــوم المختلفــة، وكمــا تقدمنا في بدايــة العنوان، ان هاتــين الطريقتــين قديمتــان، حيــث نــشرت المصــادر اليونانيــة المعروفــة لــدى الباحثين والدارســين ان اثنــين مــن المصادر قــد ذكرتا شــيئا عن هاتــين الطريقتــين . فــالأول كتاب



الاصول لإقليدس ، وقد برهن اقليدس الاشكال (النظريات) الخمسة الاولى من المقالة الثالثة عشرة من كتابه (الاصول) بهذه الطريقة . وثانيهما كتاب (مجموعات رياضية) لبابيوس الاسكندراني[٢٥].

لم يذكر المصدران الانفان الذكر تفصيلا عن طبيعة التفكير العلمي الذي يستنبط من هاتين الطريقتين بحيث يشفي غليل علماء الرياضيات في الحضارة العربية الاسلامية، فكان لهما ان كبوا على البحث والاستخلاص لهذا الركن من اركان البحث العلمي الصحيح فوضعوا المؤلفات العديدة التي تعالج هذا الموضوع نظريا وعمليا او تطبيقيا، وبخاصة في مجال الهندسة، ومن ثم طبقوا هاتين الطريقتين التحليل والتركيب حتى في حل المسائل الجبرية .

فعند جردنا للرياضيين الذين كتبوا في هذه الطريقة وجدنا الحصر الاتي:

١-مقالة في طريقة التحليل والتركيب في المسائل الهندسية لإبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة (٢٦) الحراني (٢٩٦هـ - ٣٣٥ هـ) (٩٠٨م - ٩٤٦م).

٢-مقالة في التحليل والتركيب، لابن الهيثم (٢٧) (٣٥٤هـ - ٤٣٢هـ)(٩٦٥م-١٠٤١م).

٣-كتاب في تسهيل السبل لاستخراج الاشكال الهندسية، عالج فيه طريقة التحليل التركيبي[٢٨] .

٤-كتاب أسس القواعد في اصول الفوائد والذي عالج فيه خاصية العلاقة بين الجبر والتركيب والحساب والتحليل، وهو العلامة كمال الدين الفارسي (٦٦٥هـ - ٧١٩هـ) (١٢٦٦م-١٣١٩م[٢٩]).

٥-وايضا كتاب مفتاح الحساب في بداية بابه الرابع، طريقة التحليل والتركيب في حل المسائل[٣٠]، العلامة الكاشي (ت ٨٣٣-١٤٢٩).

٦-كتاب الاعمال الرياضية في بابه الخامس ذكر هذه الطريقة وسماها (بالعمل العكسي) هو العلامة العاملي (٩٥٣هـ -١٠١٣هـ) (١٥٤٧م-١٦٢٢م).

● **طريقة التحليل**[٣١]

تتضمن هذه الطريقة تسلسلا من المسائل المفترضة، والتي تعتمد احداها على الاخرى حتى نصل الى مسألة معلومة مفترضة، فتكون حلا للمسألة التي قبلها، حتى نصل الى المسألة الاولى المرغوب في حلها، فمثلا: المسألة الاولى (المطلوب حلها) والمسألة الثانية (تعتمد على الثالثة) والمسألة الثالثة (تعتمد على الرابعة) بمعنى المسألة ن-١ (تعتمد على ن) والمسألة (ن) حل للتي قبلها (ن-١)

ومن ثم ن-١ حل للثالثة، والثالثة حل للمسألة الثانية، الثانية حل للمسالة الاولى .

اذن المسألة الاولى نتيجة ضرورية للمسألة رقم (ن)، واذا ما عرفنا حل المسألة رقم (ن) فإننا سنعرف حل المسألة الاولى .

● **طريقة التركيب**[٣٢]

ترتكز هذه الطريقة على تسلسل عكس تسلسل طريقة التحليل، وعن طريقها نستطيع حل المسائل الجبرية .

المسألة رقم (ن) مرغوب حلها

المسألة رقم (١) معلومة

المسألة رقم (٢) معلومة بوساطة رقم (١)

المسألة رقم (٣) معلومة بوساطة رقم (٢)

المسألة رقم (٤) معلومة بوساطة رقم (٣)

المسألة رقم (ن-١) معلومة بوساطة رقم (٤)



● **الطريقة الثالثة:**

البرهـان بالقيـاس[٣٣]، تعـد هـذه الطريقـة للمراجعـة واختبـار ذكاء الطـلاب من خلال سـؤال الاسـتاذ لهم عن حل مسـألة مجهولة بقيـاس حـل مسـألة معلومة منسـية او غير مطروقة على شـائع اسـماع الطلاب، والقياس كمـا نعلم هو انزال حكم مسـألة مجهولة من حكـم اصل مسـألة معلومة بوجـود رابط هو الوصف الظاهر المنضبـط الذي يمكن تعديته من مسألة الاصل الى الفرع او ما يسمى بالعلة او المشترك.

●**المطلب الرابع**

- اسـتعراض مناهـج البحـث عند بعض مؤلفي التراث الرياضي العربي الاسلامي

اولاً: ثابت بن قرة ومنهجه

هو ثابت بن قرة بن عرفان الحراني كنيته ابو الحسن ولد في حران الواقعة بين النهرين عاش فيها بين (٢٢١هـ-٢٨٨هـ/٨٢٦م-٩٠١م) نزح من حران الى كفر توما حيث التقى بالخوارزمي الـذي اعجب بعلم ثابت وذكائـه النادر وقدمه الى الخليفـة المعتصم الـذي كان يقرب العلماء وكان ثابت يحب المعرفة واكتشاف الاشياء لأنه كان مصدر سعادة له[٣٤].

- إنجازاته في علم الرياضيات

قـام بكتابة العديـد من النظريـات الرياضية حيـث كتب كتابـاً في الاعـداد المتحابـة وكتاباً خاصاً بوقوع خط مسـتقيم على خطين وكتاباً في قطـع الاسـطوانة وكتابـاً في المثلـث القائم وكتـاب التعرف في اشـكال القيـاس وكتاباً في شـكل القطاع وكتاباً في وصف القرص وكتاب المدخل الى كتاب اقليدس وكتاب المربع وقطره وكتـاب مسـاحة الاشـكال المسـطحة وكتاباً في مسـاحة الاجسـام المكافئة ومسـاحة قطع المخـروط ومقالة في تصحيـح الجبر بالبراهين الهندسية وكتاب مختصر في علم الهندسة.

وكان ابن قرة من العلماء الذين درسـوا العلم للعلـم وعرفـوا حقيقة اللـذة العقليـة فراحوا يطلبونهـا عـن طريـق الاسـتقصاء والبحث والاخـلاص للحـق والحقيقـة والكشـف عن القوانين التي تسود الكون والانظمة التي يسير العالم بموجبها.

سـاهمت ترجماتـه في نـشر العلـوم في البلاد الاسـلامية واغنت اللغـة العربية بمصطلحات علمية جديدة[٣٥].

ثانياً: الخازن ومنهجه

هو ابـو جعفـر محمد بـن الحسـين الخازن الصاغاني الخراسـاني عالم مـن علماء القرن الرابع الهجري تخصص في الرياضيات والفلك واهتم بعلم الميكانيكا ودرس مفهوم الاحتكاك.

- اعماله في الرياضيات

تمكن من حل المعادلات التكعيبية حلا هندسيا بواسـطة قطـع المخروط وسـبق بذلـك بيكر وديكارت في كتابه في شـكل القطوع ودرس في الحسـاب مسـائل العدد والف كتابا في حساب المثلثات وحل بعض المسـائل الخاصة بحساب المتوازيات .

اتصف منهجه بشـكل عـام بالدقـة المتناهية والاهتمام بالجزئيـات يقول في احدى مقالاته: «والانسان اذا اشـتهر بصناعة من الصناعات وجـب ان يشرف عـلى جزئياتها مـا امكن ولا



يقتصر على كلياتها فقط فان اوائل كل صناعة كليات وكمالها جزئيات [٣٦].

ثالثا: البوزجاني ومنهجه

هو ابو الوفاء محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس البوزجاني (٣٢٨-٣٨٨هـ/ ٩٤٠-٩٩٨م) عالم رياضيات وفلك عمل في بغداد من اعظم رياضيي المسلمين ومن لهم فضل كبير في تطور العلوم الرياضية. وفي بغداد قضى حياته في التأليف والرصد والتدريس وكان من اشهر العلماء الذين برعوا في الهندسة والجبر ويعد:

١-اول من وضع النسبة المثلثية (ظل) واول من استعملها في حل المعادلات الرياضية.

٢-اول من ادخل القاطع والقاطع تمام.

٣- وضع الجداول الرياضية للمماس.

٤- اوجد طريقة جديدة لحساب جدول الجيب وكانت دقيقة حتى ان جيب الزاوية ٣٠ قد قسمه الى ثمانية ارقام عشرية.

٥- حل المعادلات المتعلقة بجيب زاويتين.

٦-كشف عن بعض العلائق بين الجيب والمماس والقاطع ونظرائها.

٧-الف كتابا في عمل ادوات الهندسة (كالمسطرة والبركال والكونيا المثلث القائم الزاوية).

٨- الف كتابا سماه زيج الوادي وهو كتاب فريد من نوعه ويحتوي على الكثير مما رصده في مرصده المشهور في بغداد.

ونستطيع القول ان البوزجاني جمع بين الجانب العلمي النظري والتطبيقي فقد كانت له ابداعات نظرية رائعة اعترف بها العلماء على مر العصور كما قدم اساليب رياضية بسيطة وتطبيقية افاد منها الناس [٣٧].

رابعاً: ابن الهيثم ومنهجه

ابو علي محمد بن الحسن بن الهيثم بين(٣٥٤هـ-٩٦٥هـ/٤٣٢م-١٠٤١م) اطلع على علوم الحضارات السابقة بكافة فروعها، وكذلك علوم الطبيعيات وعلم الفلك والميكانيك والفلسفة وغيرها وكذلك ما ابدعه العلماء العرب.

فقد وضع ابن الهيثم طرقاً تجريبية صارمة لمراقبة التجارب العلمية لغرض التحقق من فرضياتها النظرية واستقراء النتائج واعتمد في منهجه العلمي على النظامية والمنهجية في التجريب واستخدام المنهج العلمي في تخصصاته العلمية، واستندت ابحاثه في الفيزياء الكلاسيكية بجمعها بالرياضيات (علم الهندسة على وجه الخصوص) واستخدم المنهج الاستنباطي في مجال البحث العلمي[٣٨].

●الخاتمة

تلخيص اهم ما استنتجناه من سمات المنهجية العلمية في البحث الرياضي العربي الاسلامي:

١-ربط الرياضيات بالمنطق والفلسفة لبيان ما تحتله الرياضيات من صدارة في اطار العلوم الاخرى.

٢-كان الدافع الاساسي في المنهجية هو حب الحقيقة وكشفها .

٣-تسخير المنهجية لغرض العبادة الاسلامية المرتكزة على الوقت والحساب لذلك.

٤-اعتماد مبدأ الشك وسبله للتحقق من صحة النظريات بتطبيقها.

٥-الاهتمام بجزئيات المنهج كالاهتمام بكلياته.

٦-الاهتمام ببحث المسائل الدينية لحاجات الناس اليها ثم التفرغ للمسائل الافتراضية .

٧-الاهتمام بالمصطلحات ومحاولة استيفائها شرحا.



٨-تبسـيط المسـائل التطبيقية كي تكون بين تداول العباد.

●الهوامش

(١) اديلارد الباثي عالم انجليزي وفيلسـوف ومترجم ولـد في القرن الثانـي عشر الميلادي ويعـد من طليعة المترجمـين الذيـن نقلوا الـتراث الريـاضي العربي الى أوروبـا ولغتها اللاتينيـة انكب على علـم الرياضيات العربـي ليبـدأ في اتخـاذ دوره عـلى مـسرح الفكـر والعرفـان، .ينظـر حيدر اسـماعيل: اديـلارد الباثي، الموسوعة العربية، سورية – دمشق، ١٤٣٦ھ .

(٢) سورة المجادلة، آية ١١.

(٣) سورة الاسراء، آية ١٢.

(٤) عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، ص٤.

(٥) مناهج البحث العلمي للبدوي، ص٤٠.

(٦) سورة المائدة، آية ٤٨.

(٧) ابن حجر: المطالب العالية،ج٤/ص٤٢٨.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) سورة مريم، اية ٦.

(١٠) عبـد الحليـم عويس،الحضـارة الاسـلامية من الماضي الى المستقبل، ص٢٧٩.

(١١) محمـد محفـوظ ،الاسـلام والغـرب وحـوار المستقبل، ص١٠٨.

(١٢) مناهج البحث العلمي للبدوي، ص٤ .

(١٣) مناهج البحث العلمي للبدوي، ص٨١.

(١٤) مناهج البحث العلمي للبدوي، ص٤.

(١٥) وينظر: شبكة الالوكة /افاق الشريعة / مقالات شرعية / المهندس خيري السوفي.

(١٦) موقع اكاديمية الوفاق للبحث العلمي والتطوير/ المنهج التاريخي تعريفه ومميزاته وعيوبه واهميته في البحث العلمي.

(١٧) رسـل جمال، الجـدل الصاعد والنـازل، موقع المسـلة، http://almasalah.com/ar/news

(١٨) مناهج البحث العلمي للبدوي، ص٥١.

(١٩) مصطفى موالدي، مناهج البحث في الرياضيات عنـد العلماء العرب والمسـلمين، ص ١٨١، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد ٢٢-٢٣.

(٢٠) مناهج البحث العلمي للبدوي، ص١٨٢.

(٢١)محمود قاسـم: المنطق الحديـث ومنهج البحث، ص٢٨٥ .

(٢٢) مصطفى موالدي: مناهج البحث في الرياضيات عند العلماء العرب والمسلمين، ص١٨٢.

(٢٣) المصدر نفسه.

(٢٤) كمـال الدين الفارسي: كتاب اسـاس القواعد في اصول الفوائد ص٤٢ – ص٤٣.

(٢٥) اقليدس: في الاصول الهندسية، ترجمة كريليوس فان ديك، ١٩٦٣.

https://www.alfreed-ph.com

(٢٦) ابن سنان: رسائل ابن سنان، مقاله في طريقتي التحليل والتركيب، تح احمد سليم سعيدان، منشورات المجلـس الوطني للثقافـة والفنـون والآداب، الكويت ١٩٨٣م، ص٢٧.

(٢٧) خليل جاويش: التحليل والتركيب في الرياضيات الاسلامية، كتاب ابن الهيثم، تاريخ العلوم عند العرب، منشـورات المؤسسـة الوطنيـة للترجمـة والتحقيـق والدراسـات (بيـت الحكمـة)، تونـس، ١٩٩٠م، ص ٩-١٩.

(٢٨) العالم السـجزي: تسـهيل السـبل لاسـتخراج الاشـكال الهندسية ضمن رسـائل ابن سنان، تحقيق احمد سـعيدان، منشـورات المجلـس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت،١٩٨٣م، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٢٩) كمال الدين الفارسي: اسـاس القواعد في اصول الفوائـد، تحقيق مصطفى موالدي، منشـورات معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٤٢-٤٣.

(٣٠) عـلي عبـد اللـه الدفـاع: نوابـغ علمـاء العرب والمسـلمين في الرياضيـات، دار جـون وايـلي وابنائه، ١٩٨٧م.

(٣١) حسـن عـاصي: المنهـج في تاريـخ العلـوم عند العرب، دار المدائن، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

(٣٢) مناهج البحث في الرياضيات لموالدي، ص١٨٣ .

(٣٣) المصدر نفسه.

(٣٤) موقع المصطبة:

https://www.elmstba.com/tag.

(٣٥) ثابـت بن قـرة: كتاب الاعـداد المتحابة، تحقيق

احمد السعيدان، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٧٧م.
(٣٦) عادل امبوبا: رسـالة الخازن في المثلثات القائمة الزوايـا المنصفة الاضلاع، مجلة تاريخ العلوم العربية، المجلد الثلث، العدد ١،١٩٧٩م.
(٣٧) البوزجانـي: مـا يحتـاج اليه الصانـع من علم الهندسـة ؛ تحقيـق صالـح احمد العلي، مركـز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٧٩م.
(٣٨) مصطفى نظيف: الحسـن بن الهيثم، منشورات كلية الهندسة بجامعة فؤاد الاول، القاهرة، ١٣٦٢هـ، ١٩٣٢م.

●المصادر

-ابن حجر: المطالب العالية بزوائد المسـانيد الثمانية، تح سـعد بن ناصر بن عبد العزيز الشـثري، نشر دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.
-ابن سـنان: رسـائل ابن سـنان، مقالـة في طريقتي التحليل والتركيب، تح احمد سليم سعيدان، منشورات المجلس الوطنـي للثقافـة والفنـون والآداب، الكويت ١٩٨٣م.
-البوزجاني: ما يحتاج اليه الصانع من علم الهندسة ؛ تحقيـق صالح احمد العلي، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٧٩م.
-ثابت بن قـرة: كتاب الاعداد المتحابـة، تحقيق احمد السعيدان، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٧٧م.
-حسن عاصي: المنهج في تاريخ العلوم عند العرب، دار المدائن، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.
-حيدر اسـماعيل: اديلارد الباثي، الموسـوعة العربية، سورية – دمشق، ١٤٣٦هـ
-خليـل جاويـش: التحليـل والتركيـب في الرياضيات الاسلامية، كتاب ابن الهيثم، تاريخ العلوم عند العرب، منشـورات المؤسسـة الوطنيـة للترجمـة والتحقيـق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس، ١٩٩٠م .
-السـجزي: تسـهيل السـبل لاسـتخراج الاشـكال الهندسـية ضمن رسـائل ابن سـنان، تحقيـق احمد سعيدان، منشـورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت،١٩٨٣م .
-عـادل امبوبـا: رسـالة الخـازن في المثلثـات القائمة الزوايـا المنصفة الاضلاع، مجلة تاريخ العلوم العربية، المجلد الثلث، العدد ١، ١٩٧٩م.
-عبـد الحليـم عويـس، الحضـارة الاسـلامية، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م .
-عبـد الرحمـن بدوي: مناهـج البحـث العلمي، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧.
-علي عبد الله الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات، دار جون وايلي وابناؤه، ١٩٨٧م.
-كمـال الديـن الفـارسي: اسـاس القواعـد في اصول الفوائد، تحقيـق مصطفى موالدي، منشـورات معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٤م .
-كمال الدين الفارسي: كتاب اسـاس القواعد في اصول الفوائـد، تـح مصطفـى موالـدي، منشـورات معهد المخطوطات العربية، القاهرة،١٩٩٤.
-محمـد محفوظ ،الاسـلام والغرب وحوار المسـتقبل، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨.
-محمود قاسم: المنطق الحديث ومنهج البحث العلمي، ط٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣.
-مصطفى موالـدي، مناهج البحث في الرياضيات عند العلماء العرب والمسـلمين، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد ٢٢-٢٣.
-مصطفى نظيف: الحسـن بن الهيثم، منشورات كلية الهندسـة بجامعـة فـؤاد الاول، القاهـرة، ١٣٦٢هـ، ١٩٣٢م.

مواقع الكترونية

•شـبكة الالوكة / افاق الشريعـة / مقالات شرعية / المهندس خيري السوفي.
https://www.alukah.net/sharia/١٠٧٩١٠/٠
•رسل جمال، الجدل الصاعد والنازل، موقع المسلة،
http://almasalah.com/ar/news
اقليـدس:في الاصول الهندسـية، ترجمة كريليوس فان ديك، ١٩٦٣
https://www.alfreed-\ph.com
•موقع المصطبة:
https://www.elmstba.com/tag
•موقع اكاديمية الوفاق للبحث العلمي والتطوير/



Curricula approved by the authors of the Iraqi Mathematical heritage

By: Prof. Dr. Riyadh Saeed Latif
(Center of revival of Arabic science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

[Curriculum, Mathematics, Heritage]

This research is based on an article by the English researcher Adelard Al-Bathi, who was one of the pillars of the spread of Arab Islamic culture in Europe in the twelfth century, which revolves around the curricula of the Arabs in mathematical authorship who were crowded with their worldly works. They relied on two important methods they are: Mental mathematical deduction method and the experimental inductive method. The Arabs were very successful in these two .approaches and were able to overcome the European West at the time

Hence the importance of this research, highlighting the achievements of the Arabs in the methods of mathematical research on the European civilization in its beginnings, as well as what benefited Europe from the Arab curriculum processors of the achievements of Ancient Greece and Greek civilization that preceded them, .which in turn was the main engine of the renaissance of Europe



اثر الزكاة في التكافل الإجتماعي مرويات الإمامية التاريخية إنموذجاً

م.د. سندس زيدان خلف الشجيري*

● المقدمة:

للزكاة أثر كبير في التكافل الإجتماعي فهي إحدى المعالجات لظاهرة الفقر في المجتمع العربي الإسلامي فيما لو طبق بشكله الصحيح والمدروس ووفقاً لرؤية الدين الإسلامي والسنة النبوية الشريفة والأئمة الأطهار فيما بعد، لذا تطلب منا موضوع البحث ذكر الروايات الواردة عن اهل البيت(عليهم السلام) في ما يخص الزكاة وذكرها من قبل شيخ الإمامية في ذلك الوقت الشيخ المفيد(ت٤١٣هـ) واثرها في اصلاح المجتمع وتحقيق العدل والمساواة، قسم موضوع البحث الى عدة مباحث: المبحث الاول/مفهوم الزكاة، تعريف الزكاة لغة واصطلاحا، بيان الفرق ما بين الزكاة والصدقة، ايراد الآيات القرانية والأحاديث النبوية في الزكاة، المبحث الثاني: أموال الزكاة: بيان الأموال التي تجب فيها الزكاة، المبحث الثالث/الزكاة لمَن تصرف، المبحث الرابع/زكاة الفطر تعريفها وايراد الآيات القرانية والاحاديث النبوية التي تختص بها، وبيان مستحقيها وشروطها.

---

* جامعة بغداد/ مركز احياء التراث العلمي العربي

● **المبحث الأول: مفهوم الزكاة**

الزكاة في اللغة: بمعنى النمو والطهارة، ويقال الطهارة: زكاة المال وقال بعضهم سميت زكاة لأنها مما يرجى به زكاة المال وهو زيادته ونماؤه[١].

وعرفوا الزكاة اصطلاحا بأنها قدر مخصوص يطلب إخراجه من المال بشروط خاصة [٢].

وقد عد الإسلام الزكاة ركناً من أركان الدين وفريضة من فرائض الإسلام وحق شرعي من حقوق العباد بقوله تعالى(وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ)[٣]، وقوله تعالى(خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤]، وجاءت السنة النبوية مقرة هذا الركن موجبة أداءه.

● **المبحث الثاني: أموال الزكاة**

وفي هذا الجانب يورد الشيخ المفيد عدداً من الروايات عن الأئمة والرسول محمد(ص) لبيان اموال الزكاة والسياسة المتبعة في جبايتها.

يذكر الشيخ الزكاة بقوله: «إنما يجب جمعها في تسعة أشياء، خصها رسول الله (ص) بفرضيتها فيها، وهي الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والزبيب والإبل والبقر والغنم، وعفا رسول الله (ص) عما سواه ورواه أبو بصير المرادي ويزيد بن معاوية العجلي والفضيل بن يسار النهدي كلهم عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين (ع)، رواه عبد الله بن مكان عن أبي بكر الحضرمي وصفوان بن يحيى عن أبي بكر عن محمد بن الطيار عن أبي عبد الله (ع)»[٥].

ويؤكد الفقهاء على ما جاء في هذه الرواية ومنهم العلامة الحلي[٦]، ويذكر المنتظري، قد اجمع المسلمون على إيجاب الزكاة في تسعة أشياء: الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر الزبيب واختلفوا فيما زاد على ذلك[٧].

روى الشيخ المفيد عن محمد بن مسلم، قال: سألته عن الحرث ما يزكى منه؟ قال: «البرّ، والشعير والذرة والدخن والأرز، والسلق والعدس والسمسم، كل هذا يزكى وأشباهه وروى زرارة عن أبي عبد الله (ع) مثل، وقال: كل ما كيل بالصاع مبلغ السواق فعليه الزكاة[٨]، قال تعالى: (وأتوا حقة يوم حصاده)، قال مَالك بن أنس إن ذَلِكَ الزكاة ، والله أعلم[٩]، وتحدد قيمة الزكاة حسب نوع السقاية، قال رسول الله (ص):فيما سقت السماء العشر، وفيما سقي بالسواقي أو النضح نصف العشر، رواه البخاري في صحيفة من حديث ابن عمر (رض)[١٠]، وذكر رسول الله أهمية دفع الزكاة حتى على الدواب بقوله (ص): «أن كل صاحب ابل وبقر وغنم لا يؤدي زكاتها فأنه يعذب يوم القيامة»[١١] .

وعن مقدار الزكاة يذكر لنا الشيخ رواية تقول لنا: «روى إسحاق بن عمار عن أبي الحسن موسى (ع)، قال:قلت له:أعطي الرجل من



الـزكاة ثمانــين درهماً ؟ قال: نعـم، قال: قلت أعطه مائة درهم ؟ قـال: نعم أعطه، وأغنه أن قـدرت أن تغنيه»[١٢] ويـورد رواية أخرى عن الحسن بن محبوب[١٣] عن أبي أولاد الخياط عن أبي عبد الله (ع)، قال: لا يعطى احد من الزكاة اقل من خمســة دراهم، وهي اقل ما فرض الله عز وجل مـن الزكاة في الأمـوال[١٤]، قال تعالى (وَٱلَّذِيـنَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَـبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَـبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّـرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ)[١٥].ويزيـد في توضيحـه للـزكاة المعطاة على الحبوب بقوله: «تزكى سـائر الحبوب مما انبتت الأرض فدخـل والمكيال بالعشر ونصف العـشر كالحنطة والشـعير سـنة مؤكدة دون فريضــة واجبـة، وذلك انه قـد وردت في زكاة الحبوب آثار عن الصادقين(ع)»[١٦].

«ولا خـلاف بـين آل الرسـول (ع) كافة وبين شيعتهم من أهل الإمامية أن الخضر كالقصب والبطيـخ، والقثـاء والخيـار، والباذنجـان، والريحـان ومـا أشـبه ذلـك مما لا بقـاء له لا زكاة فيـه ...»[١٧]، ويعلـق المنتظـري على ذلك بقولــه: وأما مــا اختلفوا فيه النبـات ... ما هو جنـس النبات الذي تجـب فيه الـزكاة فمنهم مـن لم يـر الـزكاة إلا في تلك الأربـع فقط وبه قال ابن أبي ليلى وسـفيان الثوري ومنهم ابن المبـارك ومنها من قال: الزكاة في جميع المدخر المقتـات من النبات وهو قول مالك والشـافعي ومنهم من قال الزكاة في كل ما تخرجه الأرض ماعدا الحشـيش والحطـب والقصب وهو أبو حنيفة.... واتفقـوا على أن لا زكاة في العروض التي لم يقصد بها التجارة[١٨]. وفي رواية ثانية عن زرارة قال: « قلت لأبي عبد الله (ع): هل في البغال شيء؟ قال: لا، فقلت له: فكيف صار على الخيل، ولم يصر على البغال؟ قال: لان البغال لا يلقح والخيـل الإناث ينتجن، وليس على الخيل الذكـور إذا انفردت في الملك وان كانت سـائما شيء، قلـت: مما في الحمير؟ فقـال: ليس فيها شيء، قـال: قلت: هل على الفرس أو على البعير يكونـان للرجال يركبها شيء؟ قال لا ليس على ما يعلق شيء، أنما الصدقة على السـائمة» [١٩] ويذكـر المنتظري: قال أبو حنيفـة وأصحابه: فيه الزكاة...، وأما ما اختلفوا فيه من الحيوان فمنــه ما اختلفوا في نوعه وما اختلفوا في صنفه وأما مــا اختلفوا في نوعــه في الخيل وذهب ابو حنيفــة إلى أنهــا إذا كانــت سـائمة وقصد بها النســل أن فيها الزكاة اعني أذا كانت ذكوراً أو إناثاً[٢٠] .

وكل متــاع في التجارة طلب من مالكه بربح أو بــرأس ماله فلم يبعه طلبــاً للفضل فيه، فحال عليه الحـول ففيه الزكاة ... سـنة مؤكدة على المأثور عن الصادقين (ع)[٢١] ويذكر المنتظري ذلـك بقولــه: وفي الفقه عــلى المذاهـب الأربعة والأنواع التي تجب فيها الزكاة خمســة أشـياء الأول: وهــي الغنـم والإبل والبقـر... ولا زكاة في غـير مــا بــين الحيـوان فـلا زكاة في الخيل والبغال والحمـير والفهد والكلـب ونحوها إلا إذا كانـت للتجـارة[٢٢]، وروى الشـيخ المفيد: «عـن إسـماعيل بن عبـد الخالق، قال: سـأله سعيد الأعرج وأنا اسمع، قال: أنا نكبس الزيت



والســمن نطلب به التجارة، فربمــا مكث عند احدنا السنة والسنتين فهل عليه زكاة ؟ فقال: أن كنت تربح فيه شــيئا أو تجد رأس مالك فلا تبيعــه فعليك زكاتــه، وان كنت أنما تربص به لأنــك لا تجد ألا وضيعه فليس عليك زكاة حتى تصــير ذهبا أو فضه فإذا صــار ذهبا أو فضة فزكه للسنة التي تتجر فيها»[٢٣].

●المبحث الثالث: لمن تصرف الزكاة؟

وعــن مســتحقي الزكاة يــروي الشــيخ: «عن زرارة بــن أعين عن أبي جعفر (ع) انه قال: لا تحل الصدقة لمحترف ولا لذي مرة سوى قوي فتزهرا عنها»[٢٤].

ويتحدث عن اخــراج القيمــة في زكاة الانعام، بقولــه: «روى محمد بن عيــسى عن محمد بن مهــران عن عبد الله بن زمعــة عن جد أبيه أن أمــير المؤمنين (ع) كتب في كتابــه الذي بخطه حــين بعثه عــلى الصدقات: من بلــغ عنده من الإبل صدقة الجذعة[٢٥]، وليســت عنده جذعة، وعنــده حقة، فانــه تقبل منه الحقــة ويجعل معها شــاتين أو عشريــن درهمــا، ومن بلغت عنــده صدقــة الحقــة، وليســت عنــده حقة، وعنده جذعة، فانه تقبل منه الجذعة، ويعطيه المصدق شــاتين أو عشرين درهما، ومن بلغت صدقته حقة، وليســت عنده حقة، وعنده أبنة لبون، فانه تقبل منه أبنة لبون، ويعطي معها شاتين أو عشرين درهما ....»[٢٦].

وفي رواية أخرى يقول: « روى حماد عن حريز عن يزيد العجلي قال: ســمعت أبا عبد الله (ع) يقول بعث أمير المؤمنين(ع) مصدقا من الكوفة إلى باديتها، فقال له: يا عبد الله انطلق، وعليك بتقوى الله، ولا تؤثرن دنياك على آخرتك، وكن حافظا لما أيتمنتك عليه، راعيا لحق الله عز وجل حتى تأتي نــادى بني فلان، فإذا قدمت فأنزل بمائهــم من غير أن تخالــط بيوتهم، ثم امض إليهم بسكينة ووقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ثم قل: يا عباد الله أرســلني إليكم ولي اللــه، لآخذ منكم حق اللــه في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدون إلى وليه ؟ فان قال لك قائــل: لا، فلا تراجعــه، وان انعم لك منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه، أو تعده إلا خيرا، فــإذا أتيت ماله فــلا تدخله إلا بإذنه فــان أكثره له، وقل يا عبد الله أتأذن في دخول مالك؟ فإذا أذن لك فلا تدخله دخول متســلط عليه ولا عنف به، فأصدع المال صدعين، فخيره أي الصدعين شــاء، فأيهمــا اختار فلا تعرض له، ثم أصدع الباقين صدعين، ثم خيرة، فأيهما اختــار فلا تعرض لــه، فلا تــزال كذلك حتى يبقــى ما فية وفاء لحق اللــه عز وجل في حاله ... فــإذا انحدر بها رســولك فأوعــز إليه أن لا يحــاول بين ناقة وفصيلهــا ... ما نظر الله إلى ولي له يجهد نفســه بالطاعة والنصيحة لإمامة إلا كان معنــا في الرفيق الاعلى، قال ثم بكى أبو عبد الله (ع)، ثم قال: يا بزيد لا والله ما بقيت لله حرمة إلا انتهكت، ولا عمل بكتاب ولا ســنة في هــذا العالم، ولا أقيم في هــذا الخلق حد منذ قبض أمــير المؤمنــين (ع)، ولا عمل بشيء من الحق إلى يوم الناس هذا ...»[٢٧]، وفي هذا النص



تعبير واضح على مدى إنســانية الإمام علي (ع) في جبايــة الزكاة من المســلمين وتوصية عماله بهذه الأخلاق الســامية التــي يتصف بها لأنها أخلاق الإســلام والنبي محمــد(ص) وفي رواية أخرى يبين لنا الشــيخ الأخلاق التي يوصي بها الإمام علي لعماله في جبايــة الأموال من العامة بقوله: « روى إسماعيل بن مهاجر عن رجل من ثقيف قال: اســتعملني عــلي بن أبي طالب(ع) على بانقيا[٢٨] وسواد من سواد الكوفة فقال لي، والنــاس حضور: انظر خراجــك فجد فيه، ولا تترك منه درهما فإذا أردت أن تتوجه إلى عملك فمربي، قــال: فأتيته، فقال: أن الذي ســمعت منى خدعة، إياك أن تضرب مســلماً أو يهودياً، أو نصرانياً في درهــم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، فانا أمرنا أن نأخذ منه العفو»[٢٩].

وعن مســتحقي الصدقة يقول الشــيخ: «روى عبــد الكريم بن عتبه الهاشــمي عــن أبي عبد اللــه (ع)، قال: كان رســول الله (ص) يقســم صدقــة أهل البوادي في أهــل البوادي، وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر، ولا يقسمها بينهم بالســوية، وإنما بقســمة صدقة عــلى قدر من يحــضره منهــم، وما يــراه ليــس في ذلك شيء مؤقت»[٣٠].

وعن مستحقي الزكاة يروي الشيخ: «قال كان علي (ع) يقول: قرض المال حمى الزكاة، وقال: قلت لــه: أعطي ســائلا لا اعرفه ؟ قــال: نعم، أعط مــن لا تعرفه بولاية ولا عــداوة للحق، أن الله تعالى: يقول:(وقولوا للناس حسنا) ولا تعط لمن نصب لشيء من الحق، أو دعا إلى شيء من الباطل»[٣١].

وفي رواية أخرى يذكر الشــيخ المفيد مستحقي الزكاة: «قال ســألت أبا عبد الله (ع) في الزكاة هــل تصلح لصاحب الــدار والخــادم ؟ فقال: نعــم، ألا أن تكــون داره ذات غلــة فيخرج له من غلتها ما يكفيــه وعياله، فان لم تكن الغلة تكفيه لنفســه ولعياله في طعامهم وكســوتهم وحاجتهم في غــير إسراف فقد حلت له الزكاة، وان كانت غلتها تكفيهم فلا»[٣٢].

- **المبحث الرابع: زكاة الفطر**

يعــرف الشــيخ نوعــاً آخــر مهماً مــن أنواع الزكاة، بقوله: «واجبة على كل حر، بالغ، كامل بشرط وجود الطول له يخرجها عن نفسه وعن جميــع من يعــول: من ذكروأنثــى، وحر وعبد وعــن جميع رقيق مــن المســلمين، وأهل الذمة في كل حــول مــرة»[٣٣]، ويقــول العلامة الحلي «مــن تجب عليه وهو كل بالــغ عاقل حر مالك النصاب متمكن مــن التصرف»[٣٤]، في تعريف زكاة الفطر للحر العاملي يورد حديثا لرســول اللــه (ص) عن الفطر»الفطــره واجبة على كل من يعول»[٣٥]، وروى الشــيخ عن عبد الرحمن بــن الحجاج عن أبي عبد الله (ع)، قال: «تجب الفطرة على كل من يجب عليه الزكاة»[٣٦].

وروى يونــس بــن عمــار قال ســمعت أبا عبد اللــه (ع) يقــول: «تحرم الزكاة عــلى من عنده قوت الســنة وتجب الفطرة على من عنده قوت السنة»[٣٧].



ويذكـر حديثا آخر: «روى الفضيل بن يسـار وزرارة عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) أنهما قـالا: لهما هل على من قبـل الزكاة ؟ فقالا: أما مـن قبـل زكاة المال فـان عليـه زكاة الفطرة، وأمـا من قبـل زكاة الفطرة فليـس عليه زكاة الفطرة»[٣٨].

أما عن وقت زكاة الفطر فيقول الشـيخ: «قال الله عز وجل(قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ)[٣٩]وقال الصادقون عليهم السلام: نزلت هذه الآية في زكاة الفطر خاصة، فمن اخرج فطرته قبل صلاة العيد أدرك وقت فرضهـا، ومن أخرجها بعد الصـلاة فقد فاته الوقـت وخرجت عـن كونهـا زكاة الفرض إلى الصدقة والتطوع»[٤٠].

يروي الشيخ عن نوع الفطرة بقوله: «روى عن أبي الحسـن علي بن محمد العسـكري عليهما السـلام انه قال الفطرة عـلى أهل مكة والمدينة واليمن وأطراف الشـام، واليمامة، والبحرين، والعراقـين، وفـارس، والأهـواز، وكرمـان مـن التمـر، وعلى أوسـاط الشـام، ومـرو من خراسـان والري في الزبيـب وعلى أهل الجزيرة والموصـل، والجبال كلها، وباقي خراسـان من الحب والحنطة والشـعير، وعلى أهل طبرستان مـن الأرز، وعـلى اهـل مـصر مـن الـبر، ومن سـكن البوادي من الأعراب فعليـه الفطرة من الأقط[٤١]، ومن عدم الأقط من الأعراب وان وجد اللبن فعليه الفطـرة»[٤٢]، ويلحق بهذه الأنواع في اصـح أقوال العلماء كل ما يتقوت به الناس في بلادهـم، كالرز والـذرة والدخـن ونحوها، وهي طهرة للصائم من النحو والرفث، وطعمة للمسـاكين كما ثبت ذلك عـن النبي (ص) من حديث ابن عباس (رض) فيجب على المسـلمين أن يخرجوا هذه الزكاة قبل العيد لان الرسـول (ص) أمر بإخراجها قبلها[٤٣].

وعن أفضل أنواع الفطرة يروي الشيخ عن ذلك بقوله: « قال (ص): من تصدق بصاع [٤٤].من تمر جعـل الله له بـكل تمرة نخلـة في الجنة، وسـأله بعضهم عـن الأنواع أيهـا أحب إليه في الفطرة؟ فقال: أما أنا فلا اعدل بالتمر للسـنة شـيئا، وسـئل عن القيمـة مع وجـود النوع؟ فقـال لا بأس بها وسـئل عن مقـدار القيمة ؟ فقـال: درهم في الغـلاء والرخـص وروى: أن اقل القيمـة في الرخص ثلثا درهم ..» [٤٥]، قال رسـول اللـه (ص): زكاة الفطر صاع من تمر أو صاع من شـعير على الذكـر والأنثى، والحر والمملوك، والصغير والكبير من المسـلمين وأمر بهـا أن تؤدى قبل خروج النـاس للصلاة [٤٦]. هذا في البخاري وروى حديثا آخر وهو موجود في صحيـح مسـلم: « عـن أبي سـعيد (رض) قال: كنـا نعطيها في زمن النبـي (ص) صاعا من طعام وصاعا من شـعير وصاعا من زبيب وصاعا من أقط»[٤٧].

وعن أهمية هـذه الزكاة يقول الشـيخ: «روى أبـو بصـير وزرارة عـن أبي عبد اللـه(ع) انه قـال: تمام الصوم أعطاء الزكاة يعني الفطرة، كالصـلاة على النبـي(ص) من تمـام الصلاة، ومـن صام، ولـم يؤدها فلا صوم لـه، أن الله تعالى بدأ بها قبل الصلاة، فقال:(قَدْ أَفْلَحَ مَن



﴿تَزَكَّىٰ[١٤] وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[٤٨]
ويرى البعض جواز اخـذ الزكاة قبل وقتها إذ وجد لها موضعا في حين يرى الآخرون لا يجوز أخذها قبل وقتها»[٤٩].

●الخاتمة:

تعد الزكاة أحد اركان الإسـلام المهمة التي أكد عليها ديننا الحنيف لكونها تخلق المساواة بين افراد المجتمع.

ولا يمكـن لنا من معرفة تفاصيل هذا النظام الإقتصـادي المهـم إلا مـن خـلال مصادرنـا التاريخيـة وما أوردته مـن نصوص وروايات بهذا الشأن.

لمعرفـة معناهـا ومقدارها وما الأمـوال التي تجب عليها وسياسـة جبايتهـا وروح التعامل الإسـلامية في أخذها من مسـتحقيها، وانواعها وماذا نقصد بزكاة الفطـر واهميتها وابعادها الإجتماعية.

●الهوامش

(١) الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت بعـد ٦٦٦هـ - ١٢٦٧م) مختـار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٨٦م، ص ١١٥.

(٢) المنتظري، حسـين علي، كتاب الـزكاة، مكتب الأعلام الإسـلامي، ط ١، (لا.م- ١٤٠٤)، مج ١، ص ٩ .

(٣) سورة النور، الجزء٨، آية ٥٦.

(٤) سورة التوبة، الجزء١٠، آية ١٠٣.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب(ت ٣٢٩هـ-٩٤٠م) الكافي وفروعه، منشـورات الفجر، ط١، (بيروت ٢٠٠٧م)، ج٣، ص٢٩٢ ؛ الشـيخ المفيـد، محمـد بـن محمد بـن النعمـان العكـبري (ت ٤١٣هـ- ١٠٢٢م) المقنعة، مصنفات الشيخ المفيد، مؤسسة التاريخ العربـي، ط١(بـيروت لا.ت) ،م١٤، ج١، ص ٢٣٥ ؛ الحـر العامـلي، محمد بن الحسـن بن علي(ت١١٠٤هــ-١٦٩٢م) وسـائل الشـيعة الى تحصيل مسـائل الشريعة، تحقيق محمد الرازي، مطبعة مهر (قم-لات)، ج٩، ص ٩-١٠؛ المنتظري، كتاب الزكاة، مج١، ص١٤٧ .

(٦) الحـلي، أبـو القاسـم نجـم الديـن جعفر بن الحسـن (ت٦٧٦ هـ-١٢٧٧م)، المختصر النافع في فقه الإمامية، قسـم الدراسـات الإسلامية مؤسسة البعثة، ط ٣، (طهران – ١٤١٠ هـ)، ص ٥٤ .

(٧) المنتظري ،كتاب الزكاة، مج١، ص ١٤٧.

(٨)الكلينـي، الـكافي، ج٣، ص٢٩٣؛ المقنعـة، مج١٤، ج١، ص٢٤٥؛ علوان، الزكاة، ص١٩.

(٩) الطحـاوي، أبـو جعفـر أحمد بـن محمد بن سـلامة بـن سـلامة الأزدي (ت٣٢١هـ-٩٣٣م)، أحـكام القرآن، تحقيق: سـعد الديـن أونال، ج١، نشر مركز البحوث الإسـلامية التابع لوقف الديانة التركي، (لا.م-١٩٩٦م)، ص٨.

(١٠) البخاري، ابو عبد الله محمد ابن اسـماعيل بن ابراهيم الجعفـي (٢٥٦هـ -٨٦٩م)، صحيح البخاري، اعتنـى به أبو صهيـب الكرمي: إخراج وتنفيذ: بيت الأفكار الدولية، (الرياض-١٩٩٨م)، ص٢٨٩؛ النسـائي، ابـو عبـد الرحمـن احمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ-٩١٥م)، السنن الكبرى، تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن،



دار الكتب العلمية، (بيروت -١٩٩١م)ج٢، ص٢١-٢٢؛أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ- ٨٨٨م)، سنن أبو داود، تحقيق: شعيب ألأرناؤوط ومحمد كامل فره بللي وشادي محسن الشياب، ج٣، دار الرسالة العالمية، (دمشق-٢٠٠٩)، ص٤٦؛ الكليني، الكافي، ج٣، ص٢٩٣.

(١١) البخاري، صحيح البخاري، ص٢٨٤؛ مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ-٨٧٤م)، المسند الصحيح المختصر المعروف بصحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، (لا.م-لا.ت)،صحيح مسلم، ص٣٨٣ .

(١٢) الكليني، الكافي، ج٣، ص٣١٤ ؛الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص٢٤٤.

(١٣) الحسن بن محبوب السراد، ويقال له الزراد، يكنى أبا علي، مولى بجيلة كوفي، ثقة، روى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام وروى عن ستين رجلا من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، وكان جليل القدر، يعد في الأركان الأربعة في عصره، وله كتب كثيرة، منها: كتاب المشيخة، كتاب الحدود، كتاب الديات، كتاب الفرائض، كتاب النكاح، كتاب الطلاق، كتاب النوادر.الخوئي، أبو القاسم الموسوي معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية، (النجف لا.ت)، ج٦، ص٩٦.

(١٤) المقنعة، مج١٤، ج١، ص٢٤٤.

(١٥) سورة التوبة، الجزء١٠، آية٣٤ .

(١٦) الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص٢٤٤.

(١٧)الكليني، الكافي، ج٣، ص٢٩٣؛ الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص٢٤٥؛ علوان، الزكاة، ص١٩.

(١٨) المنتظري، كتاب الزكاة، مج١، ص١٤٧، ١٧١.

(١٩) الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص٢٤٦.

(٢٠) المنتظري، كتاب الزكاة، مج١، ص١٤٧-١٤٨.

(٢١) الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص٢٤٧.

(٢٢) المنتظري، كتاب الزكاة، مج١، ص ١٤٨ .

(٢٣)الكليني، الكافي، ج٣، ص ٣٠٣ – ٣٠٤؛ المقنعة، مج١٤، ج١، ص٢٤٧.

(٢٤) المقنعة، مج١٤، ج١، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٢٥) الجذعة: الجَذَع من الإِبل، ما استكمل أَربعةَ أَعوام ودخل في السنة الخامسة، الجَذَع من الخيل والبقر، ما استكمل سنتين ودخل في الثالثة، الجَذَع من الضأْن: ما بلغ ثمانية أَشهرٍ أو تسعةً.أنيس، ابراهيم عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله احمد، المعجم الوسيط، طبعة المكتبة الإسلامية اسطنبول،ط٢،(تركيا لا.ت) ص٩٨.

(٢٦)الكليني، الكافي، ج٣، ص٣٠٤ – ٣٠٦؛ المقنعة، مج١٤، ج١، ص٢٥٤ – ٢٥٥؛الحلي، المختصر، ص ٥٤ – ٥٦ .

(٢٧)الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص٢٥٥-٢٥٧.

(٢٨) بانيقيا: ناحية من نواحي الكوفة، وطولها أثنا عشر فرسخاً.ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ - ١٢٢٦م) معجم البلدان، دار صادر،

(بيروت-١٩٧٧م) ج١، ص٣٣١.

(٢٩) المصدر نفسه، م١٤، ج١، ص٢٥٧؛ الكليني، الكافي، ج٣، ص ٣٠٩، الكلانتري، علي اكبر، الجزية وأحكامها، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، (قم – ١٤١٦ هـ)، ص ١٦٦ – ١٦٧ .

(٣٠) الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص ٢٦٠.

(٣١) الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص ٢٦٢ -٢٦٣؛ الكليني، الكافي، ج٣، ص ٢٣٠ .

(٣٢) الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص٢٦٣ – ٢٦٤؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٩، ص ٢٩٦؛علوان، الزكاة، ص٢٩ .

(٣٣) الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص٢٤٧ – ٢٤٨؛ الحلي، المختصر، ص ٦١؛ علوان، الزكاة، ص٥٨.

(٣٤) الحلي، المختصر، ص٥٣ .

(٣٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٣١٧ .

(٣٦) الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص ٢٤٨ .

(٣٧) الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص ٢٤٨ .

(٣٨)الشيخ المفيد، المقنعة، م١٤، ج١، ص٢٤٨؛ باز، عبدالعزيز بن عبد الله، مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة، المحقق: محمد بن سعد الشويعر، دار القاسم للنشر،(لا.م،١٢٤٠ه)، ج١٤، ص٣٢.

(٣٩) سورة الأعلى، الجزء٣٠، آية ١٤و ١٥.

(٤٠) الشيخ المفيد، المقنعة، م١٤، ج١، ص ٢٤٩؛ الحلي، المختصر، ص٦٢.

(٤١) الأقط: نوع من الحبوب التي تدخر كالحمص والباقلاء والدخن....انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٢٤.

(٤٢) الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص ٢٥٠ .

(٤٣) باز، مجموعة فتاوى، ج١٤، ص٣٢ .

(٤٤) صاع: مِكْيالٌ تُكالُ به الحبوبُ ونحْوُها، وقَدّره أَهل الحجازِ قديمًا بأَرْبَعَة أمداد، أي بما يساوي عشرين ومِئَةٌ وأَلف درهم وقَدَّره أَهْل العراقِ قديمًا بثمانية أَرطال.أنيس، المعجم الوسيط، ص٢١٣.

(٤٥) الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص ٢٥١ .

(٤٦) البخاري، صحيح البخاري، ص ٢٩٣ .

(٤٧)البخاري، صحيح البخاري، ص٢٩٣؛مسلم، ج٣، ص ٣٨٠.

(٤٨) سورة الأعلى، الجز٣٠، آية ١٤ و١٥.

(٤٩) أبو عبيد، القاسم بن سلام(ت ٢٢٤هـ-٨٣٨م)، الأموال، ط١، (لا.م-١٩٦٨م)، ص٧٧٨-٧٧٩؛ الشيخ المفيد، المقنعة، مج١٤، ج١، ص ٢٦٤ – ٢٦٥.



The effect of Zakaat on social solidarity
The historical Imāmī narratives as a model

By: Dr. Sundus Zidan Khalaf Al Shujairi
(Center of revival of Arabic science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

Zakaat has a major impact on social solidarity, as it is one of the remedies for the phenomenon of poverty in Arab Islamic society If it is applied in its correct and studied form and according to the vision of the Islamic religion, the noble Sunnah and the imams later on, Therefore, the subject of the research requests us to mention the accounts received from Ahl Al-Bayt (AS) Concerning Zakat and its mention by the Sheikh of the Imamiyyah at that time Sheikh Al-Mufid (d. 413 AH) and its impact on reforming society and achieving justice and equality, The research subject was divided into several topics:

The first topic / the concept of Zakaat, the definition of Zakaat as a language and terminology, showing the difference between Zakaat and charity, mentioning the Qur›anic verses and the noble Prophetic hadiths in Zakaat.

The second topic / Zakaat funds, a statement of the funds in which zakaat is due.

The third topic / Zakaat for whoever pays, who deserves Zakaat and who does not deserve it.

The fourth topic / Feast Zakaat: its definition and mention of the Qur'anic verses and noble prophetic hadiths that pertain to it, and a statement of those who deserve it and its conditions.



جامع براثا
وأثرهُ الإجتماعي في المجتمع البغدادي

أ.م.د. كمال رشيد خماس العكيلي*

● المقدمة:

المساجد هي بيوت الله التي بُنيت للعبادة والتقرب من الله عز وجلّ لذلك جاءت الشريعة الإسلامية لتولي المساجد إهتماماً خاصاً .

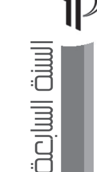
وهي أماكن للذكر والتعليم الشرعي فقد كان دأب الصالحين والعلماء أن يجتمعوا في المساجد من أجل الذكر وتلاوة القرآن وتدارس العلم الشرعي، ومن أجل إعطاء دروس الشريعة .

وفضلاً عن التعبد فهو مكان يُعبر بهِ التكامل بين المسلمين والتراحم من خلال جمع الزكاة والصدقات وتنظيم توزيعها على الفقراء والمساكين .

وكذلــك هو مكان تربية وتعليم يقصدهُ المصلون لتصحيح تصوراتهم وتقويم مفاهيمهم الوجودية والمعرفية على هدي الدين كما كان مدرسة يتصدى فيها العلماء للتدريس والإقراء نجم عنهُ إنتشار العلوم وبزوغ علماء أجلاء قدموا للإنسانية خدمات جليلة .

وكثيرة هي الجوامع في العالم العربي الإسلامي والعديد منها يحمل قصصاً وترتبط أسماؤها بالأولياء والصالحين وتكتنف تاريخها المعجزات. بيد أن جامع براثا هو الوحيد في مدينة بغداد الذي تعانق إسمهُ وتاريخهُ المسيحي تاريخ الإسلام وتراثه فيشكل وحدة فريدة من نوعها بين الأديان السماوية على مرّ الزمن الذي أعقب ظهور الإسلام، تعاقبت على دولة المسلمين إمبراطوريات وممالك وحكومات حاولت أن تُغير إسم جامع براثا الذي شهد بزوغ المسيحية وكان على موعد شمس الإسلام، لذا كان جامع براثا من العتبات المقدسة والمزارات المعظمة عند كل من المسـيحيين والمسـلمين على حدًّ سواء. وبالتالي تأثيرهُ على النزعة الإجتماعية في المجتمع البغدادي .

* جامعة بغداد/ مركز إحياء التراث العلمي العربي



● **أولاً: لمحة تاريخية عن جامع براثا**

إن للمساجد أهمية خاصة في الشريعة الإسلامية، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في عدة مواضع في القرآن الكريم كقولهِ تعالى «قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وأدعوهُ مخلصين لـهُ الدين كما بدأكم تعودون»[١]، وقال الله عز وجلّ «إنما يُعمر مساجد الله من أمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشى إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين»[٢] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في القرآن الكريم في ذكر المساجد.

فقد كثرت المساجد في العراق ومنها مدينة بغداد حيثُ يعود تاريخ هذه المساجد إلى أوائل العصر الإسلامي وتحديداً بعد فترة فتح العراق ويوجد في بغداد الكثير من المساجد الأثرية والتراثية القديمة.

ويُعد جامع براثا «المسمى حالياً» أقدم شاهد على بناء مدينة بغداد، فقد سبق بناؤهُ تأسيس العاصمة العباسية بأكثر من قرن، حيثُ يقع في جانب الكرخ في منطقة العطيفية حالياً، في بداية الطريق بين بغداد ومدينة الكاظمية على بُعد (٥) كم من مرقد الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد «عليهما السلام». وهو من المزارات والمقابر والترب المعروفة والجوامع القديمة من المعالم التاريخية لمدينة بغداد[٣].

ويذكر ياقوت الحموي «براثا بالثاء المثلثة والقصر: محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي قرية باب محول، وجامع براثا واقع في محلة براثا وهو مسجد صلى فيه الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»لما رجع من قتال أهل النهروان».[٤] وتُعد هذه المنطقة أقدم من مدينة بغداد، وهي قرية كانت تبعد عن مركز بغداد (٣) كم، وعند بناء بغداد وتوسعها، ضمت إليها فصارت منطقة براثا إحدى أحياء مدينة بغداد[٥].

ويشير أيضاً إبن حوقل الى انه يُنسب بناء الجامع إلى الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وقد كانت بدل الجامع صومعة لراهب نصراني يُقيم فيها حتى سنة (٣٧هـ ـ ٦٥٧م)،[٦] وهناك من تحدث أن العابد أبا شُعيب البراثي وزوجتهُ كانا يُقيمان في براثا[٧].

ومعنى بَراثا لغوياً:هي برَاثى: من نهرالملك أو محلة عتيقة بالجانب الغربي . وجامع براثى: ببغداد.[٨] أي جامع بَراثى، معروف ببغداد[٩].

ومعنى براثا وهي كلمة سريانية تعني «ابن العجائب»[١٠].

لقد تعددت الروايات حول أصل بناء جامع بَراثا فيذكر «علي بن الحسن الأصبهاني»في كتابهِ «تاريخ مسجد براثا»نقلاً عما قالهُ «السيد حيدر بن السيد ابراهيم الكاظمي من أعلام القرن الثالث عشر».. لما رجع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»من قتال أهل النهروان نزل براثا وكان فيها راهب في قلايتهِ وكان إسمهُ الحباب، فلما سمع الراهب الصيحة والعسكر أشرف من قلايتهِ إلى الأرض فنظر إلى عسكر أمير المؤمنين «عليه السلام» فاستفظع ذلك ونزل مبادراً فقال: من



هــذا ومن رئيس العســكر ؟ فقيل لهُ: هذا أمير المؤمنــين، وقد رجــع من قتال أهــل النهروان، فجــاء الحبــاب مبــادراً يتخطى النــاس حتى وقف عــلى أمير المؤمنــين فقال: الســلام عليك ياأمــير المؤمنــين حقاً حقــاً فقال: ومــا علمك بأنــي أمير المؤمنــين حقاً حقاً ؟ قــال لهُ: بذلك أخبرنا علماؤنا وأحبارنا فقال «عليه الســلام» لهُ: ياحباب . فقال الراهب وماعلمك بأســمي، فقال: أعلمني بذلك حبيبي رســول الله محمد «صلى الله عليه وســلم». فقــال لهُ الحباب: مد يدك فأنا « أشــهدُ أن لا إلــه إلا الله وأن محمداً رســول الله» وأنــك علي بن أبــي طالب وصيهُ فقــال لهُ: أمــير المؤمنــين، وأين تــأوي، فقال: أكون في قلاية لي ههنا. فقال أمير المؤمنين: بعد يومك هذا لاتسكن فيها، ولكن إبنِ ههنا مسجد وســميه بإســم بانيهِ . فبناهُ رجل إســمهُ براثا فُسمي المسجد بأسم الباني لهُ «براثا»، ثُم قال: ومن أين تشرب الماء ياحباب فقال:

ياأمير المؤمنــين: من دجلة هاهنــا . فقال: فِلم لاتحفــر هنا عــينٌ أو بــئراً ؟ فقال لــهُ: ياأمير المؤمنين كلما حفرنا هاهنا بئراً وجدناها مالحة غير عذبة. فقال لهُ أمير المؤمنين «عليه السلام»: إحفر هاهنا بئر. فحفر فخرجت عليهم صخرة لم يستطيعوا قلعها فقلعها أمير المؤمنين «عليه السلام» فانقلعت عن عين أحلى من الشهد وألذ مــن الزبد . فقال لهُ: يا حباب يكون شربك من هذا العين»[١١].

وحــول جامــع بَراثــا وجــدت آراء عــدة بــأن الجامــع الموجود حاليــاً هو ليس جامــع بَراثا بل هو مايســمى «بمســجد المنطقة» ومن هذهِ الآراء على حدِّ قول العلامــة الدكتور مصطفى جــواد والدكتــور أحمــد سوســة في كتابهمــا «دليــل خارطة بغداد المفصل»وجد خلط حول ذلك بأن مســجد المنطقة قــد أُنشيء في موضع قرية « ســونايا العتيقة» كان بقــاؤهُ في الموقع الــذي شُــيد فيــه في الأصــل معينــاً لنــا موقع قريــة «ســونايا»القديمة التي صــارت تُعرف «بالعتيقة»بعد إنشاء مدينة بغداد ويُعين أيضاً الأرباض والمواضع المجاورة للعتيقة[١٢].

ويذكــر صاحب كتــاب «مراصــد الإطلاع»عن قريــة «ســونايا» بقولــهِ «قرية قديمــة كانت ببغداد يُنسب العنب الأســود إليها، ولما عمرت بغــداد دخلــت في العمارة وصــارت محلة من محالها وهي العتيقة وبها مشــهد لعلي بن أبي طالب يُعرف بمشهد المنطقة»[١٣].

وقد ورد ذكر اســم «المنطقــة» في أخبار تاريخ بغداد منذُ ذلك العــصر إلى اليوم، فحدث خلط بين تســمية مسجد العتيقة «وجامع بَراثا» مع إن جامــع بَراثا كان في الغــرب وقد عفا وزالت آثارهُ بعد القرن السابع أو الثامن للهجرة [١٤].

وحــول تحديــد موقــع العتيقة يقــول ياقوت الحموي في معجم البلدان « باب الشــعير محلة ببغداد فوق مدينة المنصــور. قالوا كانت ترفأ إليها ســفن الموصــل والبــصرة . والمحلة التي ببغداد اليوم وتُعرف بباب الشــعير هي بعيدة عن دجلة بينها وبين دجلة خراب كثير والحريم وســوق المارســتان»وعند وصفهِ للعتيقة* «إن العتيقــة محلة ببغداد في الجانب الغربي مابين



طاق الحراني إلى باب الشعير وسُميت العتيقة لأنهـا كانت قبـل عمارة بغداد قريـة يُقال لها سونايا»[١٥] .

وقد أصبح جامع براثا مكاناً لإقامة الشـعائر الدينية للشـيعة وذلك في أواخـر القرن الثالث وبداية القرن الرابع للهجرة [١٦]، ولكن في سنة ٣١٣هـ ـ ٩٢٥م، تـم إبـلاغ الخليفـة العباسي المقتـدر بالله بأن ممارسـة تلك الشـعائر هي تغطيـة لنشـاطاتهم، لذا أمـر الخليفة في يوم الجمعـة أثناء تأدية الصـلاة بتخريب الجامع والعمل على تسويتهِ بالتراب وأعتقل الموجودين فيـه، وتـم ضـم الجامـع إلى المقـبرة الموجود فيه[١٧].

وقد تمت إعادة بنائه مرةً آخرى من قبل الأمير البويهي «بجكـم» أمير بغداد، ثـم أمر المتقي باللـه أن يُنصب منبر فيه، ولم يزل على هذا إلى أن خربـت بغـداد وتعرض للهـدم مرة أخرى عـام ٤٥١هـ، وأعيد بناؤهُ بعد ذلك والإعتناء بهِ ولاسيما في العصر البويهي[١٨].

ويشـير أبن الأثـير في كتابهِ: إنخفض نشـاط المسـجد في بداية القرن الخامـس للهجرة أي تعطل عن العمل في سنة ٤٥٠هـــ١٠٥٨م[١٩].



ويؤكـد ياقوت الحموي أيضاً على إندثار جامع بَراثـا بقولهِ «... فأما الجامع فأدركت أنا بقايا من حيطانهِ وقد خربت في عصرنا وأسـتعملت في الأبنية»[٢٠].

ويؤيـد العلامـة الدكتور مصطفـى جواد هذا الـرأي بأن جامع بَراثا الحـالي هو ليس جامع بَراثـا التاريخي بعـد أن توصـل إلى إن محلة الكرخ التي ذُكر أن الجامع يقع قبلتها تتمحور بين الشـالجية والفلاحات فجامع بَراثا كان في غربي هذهِ المواضع[٢١].

ولتعـدد هذهِ الروايات لقد وجدت أن ماتوصل إليـهِ العلامـة الدكتـور مصطفى جـواد بعد دحضهِ بالروايات التاريخية بأن المسجد الحالي هو «مسـجد المنطقة»وليس «جامـع بَراثا» إلاّ أن عامة الناس إعتادت على هذهِ التسمية دون تمحيص وتدقيق .

فأن مسـجد «المنطقة»المسـمى حاليـاً بجامع «بَراثا»كانت تُعقد فيه حلقات دراسـية وتُقام صلاة الجمعـة أيضاً «فقد كان الشـيخ المفيد «٣٣٦ـ ٤١٣هـــ» كان شـيخ أسـاتذة الكلام في عـصرهِ الـذي شـهد قمـة الجـدل الفكري والعقائدي بين المدارس الفكرية المختلفة وكان عظيم الشـأن رفيع المنزلة لهُ كرسي للتدريس في جامع براثا في بغداد يقصدهُ العلماء والعوام للأستزادة من علمهِ، ويقيم فيهِ صلاة الجمعة أيضـاً»[٢٢] وأسـتمر إلى الوقت الحـاضر بأداء صلاة الجمعة فيهِ .

● ثانياً: وصف جامع بَراثا:

لجامـع براثا أهمية تاريخيـة كونهِ من المواقع النـادرة والمهمـة في مدينة بغـداد لوجود آثار كثـيرة مـازال الكثير منهـا مدفونـاً بإزائهِ أو بالقرب منهُ .

وإن الحديـث عـن مسـجد المنطقة المسـمى «بمسجد براثا»حالياً في موقع يسمى بالمنطكة، وهي منطقة تاريخية تضم جامع براثا ومقبرة

الشيخ جُنيد البغدادي، ومقبرة الشيخ معروف الكرخي، وقبر النبي يوشع «عليه السلام»وقبر منسوب للسيدة زبيدة *[٢٣].

ويشير أيضاً الآثاري الدكتور «محمد كامل» إلى أن بعض الروايات تؤكد أن السيدة مريم «عليها السلام» قد سكنت في دير براثا وفيهِ وضعت النبي عيسى «عليه السلام»، وهذا مخالف لما ورد عن ولادة السيد المسيح «عليه السلام»في فلسطين، ويستند بعض العلماء إلى الآية الكريمة في القرآن الكريم بقولهِ تعالى «إذ إنتبذت من أهلها مكاناً شرقياً»[٢٤] فالعراق يقع شرق فلسطين جغرافياً، إضافة إلى إشارة القرآن الكريم إلى «تساقط الرطب» الذي تغذت عليهِ السيدة مريم «عليها السلام»أثناء ولادتها، بينما تفتقر أرض فلسطين إلى النخيل الذي يكثر في العراق، ولكن لم يلتفت إليها علماء المسلمين [٢٥].

ويقول ميرزا حسين النوري حول هذهِ الرواية عند مجيء الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» الصومعة التي فيها الراهب بقولهِ «إنك تنزل أرض براثا بيت مريم، وأرض عيسى. فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: قف ولاتخبرنا. ثم أتى موضعاً فقال: الكزوا هذا فلكزه برجلهِ فانبجست عين خرارة فقال: هذهِ عين مريم التي أنبعثت لها، ثم قال: أكشفوا عيناً على سبعة عشر ذراعاً فيكشف فاذا بصخرة بيضاء فقال علي: هنا وضعت مريم عيسى من عاتقها وصلت ههنا، فنصب أمير المؤمنين «عليه السلام»الصخرة، وصلى إليها، وقام هناك أربعة أيام يتم الصلاة، وحمل الحرم في خيمتهِ «عليه السلام» من الموضع على دعوة، ثم قال: أرض براثا هذا بيت مريم، هذا الموضع المقدس صلى فيهِ الأنبياء. وصلى فيه ابراهيم عليه السلام قبل عيسى»[٢٦] أي على تلك الصخرة البيضاء. وهذه القطعة من الرخام الأبيض تُعد من أنفس القطع الأثرية. ومن الجدير بالذكر مازالت هذه الصخرة موضوعة في صندوق زجاجي محصن بأقفال لايسمح بفتحها إلا للقائمين على خدمة المسجد، ويقصدها الزوار من المسلمين والمسيحيين على حدًّ سواء للتبرك بها [٢٧] .

وكما تضم أرض براثا قبر النبي يوشع «عليه السلام»الذي يُشار إلى إنهُ في الفسحة المقابلة لجامع براثا، ولا غرابة لأن العراق مهد الحضارات الانسانية وأرض الأنبياء[٢٨].

وبعد تعرض الجامع إلى الهدم مرات عدة أُعيد بناؤهُ في عام ١٠٧٠هـ ـ ١٦٥٩م، وفي عام ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م تم تجديد المسجد أيضاً ليتم بناء منارتهِ في عام ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م، وتوسيعه حيث تأسست مكتبتهِ الضخمة في الطابق العلوي للجامع في سنة ١٩٦٢م وتحتوي المكتبة على كتب ومخطوطات قديمة نفيسة لاتوجد في مكتبة آخرى، ولكن أغلقت المكتبة فترة النظام السابق، ونُقلت كتبه ومخطوطاته إلى جهة مجهولة، وفيهِ حرم للصلاة مع صحن واسع، وبئر تُدعى «ببئر علي بن أبي طالب»التي أحيطت بسياج وباب يُفتح للزائرين الراغبين بالتبرك بمياههِ، ولايمكن



رؤية البئر المغطاة بغطاء زجاجي مقفل إلا بعد نزول سُلم صغير، ويشرف القائمون على خدمة المسجد على فتح البئر والعناية بها وتزويد الراغبين من الزوار بالماء للتبرك بهِ . وعن قصة نبع الماء الذي لاينضب، تُشير المصادر التاريخية عندما نزل الإمام علي «عليه السلام» دير براثا كان يرغب بتزويد جندهِ بالماء، فأجابهُ الراهب أنهُ حاول مراراً حفر بئر لكن في كل مرة كان الماء يخرج مالحاً وإن عليهم الذهاب إلى نهر دجلة لجلبهِ، فأشار الإمام علي بأن يحفر في مكان مُعين من المكان وقام عدد من أصحاب الإمام علي «عليه السلام» بمساعدة الراهب في الحفر فأعترضت طريقهم صخرة من الكرانيت سوداء اللون إجتمعوا على رفعها من الحفرة فنبع من مكانها ماء ألذ من الزبد، فقال لهُ: ياحباب يكون شربك من هذه العين[29]. وإستحالت فيما بعد إلى بئر وسميت تلك البئر ببئر علي «عليه السلام» ومازالت ماثلة داخل المقام ولايزال الناس إلى يومنا يستشفون بها .

وكذلك تعرض الجامع في عام ٢٠٠٦م إلى عمليتين إرهابيتين أثناء صلاة الجمعة بأحزمة ناسفة مما أدى إلى إستشهاد العشرات وإصابة المئات، وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف الإعمار والتوسيع في الجامع مع الحفاظ على إصالة التراث الموجود فيهِ، حيث تم توسيعهُ ليتسع إلى ٣٠ ألف مصلٍ، ولاسيما بعد زيادة عدد الزوار والمصلين في الأعياد فأضيف حرم الزهراء «عليها السلام»، وحرم الحسنين «عليهما السلام»، وحرم أبي الفضل «عليه السلام»وبناية جديدة للمكتبة، ومضيف أمير المؤمنين ومركز طبي وحرم للنساء. بينما كانت مساحة الجامع والمقبرة والحديقة في السابق أضعاف ما هي عليهِ الآن . أما مساحتهِ في الوقت الحاضرفقد بلغت حوالي «٤٠٠٠» مترمربع، وإن هذه التوسعات والمخططات حافظت على بقاء الروح التاريخية والهيبة القدسية للجامع كما كانت على مر التاريخ محطة أنظار السياح والأجانب والزائرين المتعبدين والدارسين لتطور العمران الإسلامي[30].

● ثالثاً: أثرهُ الإجتماعي في المجتمع البغدادي

كانت مدينة بغداد تتكون من عدة محلات وأطراف مبعثرة في صوبي النهر الكرخ والرصافة حيثُ تضم بين جناحيها سكان مدينة بغداد بمختلف طبقاتهم الإجتماعية ومللهم الدينية، فهم يتوزعون على عدة محلات لكل منها أهميتها ومدلولها الإجتماعي والتخطيطي، ومن الملاحظ أن عدد محلات الرصافة تزيد على ضعف محلات الكرخ، وهذا يؤثر بدورهِ على عدد السكان في كلا جانبي المدينة، لذا فسكان الرصافة أكثر من ضعف سكان الكرخ[31].

وبخصوص النزعة الإجتماعية في المجتمع البغدادي بعد إنتهاء العيدين «الفطر والأضحى» ولاسيما في موسم الربيع، تخرج النسوة مع أطفالهن من بيوتهم صباح كل يوم ولمدة أسبوع متصل وفق تقويم معروف لديهم



مع بعض الأفرشة الخفيفة والأطعمة المتنوعة، لزيارة بعض الأضرحة والمقامات.[٣٢]

وفي كل هذه المزارات قبور لبعض الأئمة وشيوخ الصوفية والأولياء الصالحين.[٣٣] للتمتع بمباهج الطبيعة فيقضون نهارهم وهم يسمون ذلك بالكسلات. لذا فهي زيارات موقعية هدفها الترفيه الإجتماعي فكانت تبدأ في الربيع ضمن أسبوع واحد إختص كل يوم من الأسبوع بزيارة أحد مواقع الأولياء والصالحين في مدينة بغداد [٣٤]. فقد كان لأهل بغداد نظام معروف لم يتغير لقرون طويلة في زيارة مراقد الأولياء الصالحين، إذ خُصص يوم السبت لزيارة مرقد الإمام موسى الكاظم «عليه السلام» في منطقة الكاظمية مروراً بجامع براثا، ولمكانة الجامع الرفيعة كان معظم الوافدين لزيارة العتبات المقدسة في العراق، وهو لم يكن في ناحية منطقة منعزلة وإنما هو واقع على طريقهم الذي يجتازونهُ مرات عدة لذا كان تؤم جامع براثا عدة مجاميع من الزوار [٣٥].

وكذلك كان يقصد الجامع زوار من شتى بقاع الأرض من المسلمين وغير المسلمين ومن مختلف الطوائف الإسلامية والأديان المختلفة قصد الزيارة وطلب الشفاء للمرضى والتخفيف عن حزن المحزونين، وقضاء الحوائج من الذين شرفوا الجامع من الأنبياء والأولياء الصالحين المقربين[٣٦] .

وفضلاً عن ذلك كان يُمارس في جامع براثا إحياء الشعائر الدينية من قبل اللجنة المركزية لإحياء الشعائر في الجامع، وتتضمن الإحتفالات بمولد سيد الخلق النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع ولادة الأئمة «عليهم السلام»علاوةً على إقامة مجالس العزاء في ذكرى إستشهادهم في شهري محرم وصفر، كما ويتم إحياء المناسبات والليالي في النصف من شهر شعبان، وليلة القدر وصلاة العيدين مع تهيئة إفطار كل يوم من أيام شهر رمضان المبارك إضافةً إلى صلاة الجمعة وبقية الصلوات[٣٧].

ولجامع براثا تاريخ عريق وفضائل جمة ومكانة إجتماعية عند سكان أهل بغداد كونهُ أقدم جامع في بغداد ولهُ ميزة يمتاز بها عن بقية المساجد وخاصةً لأنهُ مسجدٌ مشرفٌ وبيتٌ من بيوت الأنبياء والعلماء والأولياء الصالحين فضلاً عن وجود البئر التي كشف عنها أمير المؤمنين «عليه السلام» بمعجزة، والتي كانت سبباً في شفاء المرضى وذوي الأمراض المستعصية [٣٨].

وكما هو معروف هناك خلف الجامع المقبرة التي ضمت العديد من الرفات منها رفات رجال عظماء كالمؤرخ والأثاري الدكتور طه باقر، والأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر، والأستاذ اللغوي الدكتور مصطفى جواد، وعالم الإجتماع الدكتور علي الوردي الذي عشق براثا وأسرارها، فكان الزوار يتجمعون لزيارة موتاهم [٣٩].

وزيادةً إلى ذلك توجد في الجامع حجارة المنطقة التي تساعد الأطفال على النطق وهي عبارة عن حجارة سوداء صماء فيها حفرة في وسطها،



والنــاس يعتقدون أن هذا الحجـر من بركات اللـه تعــالى في الأرض حيـث يؤتــى بالأطفال الذين يلاقون صعوبــة في النطق أو لاينطقون أصلاً ويصب الماء في وسـط الحجارة ويسقى الماء للطفل بعد الدعاء والتوســل إلى الله تعالى بأوليائـهِ الطاهرين، وتقول بعض النســاء يا منطقــة نطقي طفلي بحق الإمــام علي بن أبي طالب «عليه السلام» وغير ذلك [٤٠].

وتُقــام في الجامــع أيضــاً كثـير مــن المحافل الدينية والثقافية وكان يحضرها كبار العلماء والشــعراء والباحثين، وفي الوقت الحاضر يُقام ملتقى ثقافي فكري في عصر كل يوم جمعة .

• الخاتمة:

١ـ يُعـد جامع براثــا من الجوامــع التاريخية والتراثيــة العريقة في مدينة بغـداد فهو يُمثل مُلتقى الديانات المسيحية والإسلامية حيث كان ديراً للمسيحيين ثم تحول إلى جامع عريق ولهُ تأثـير واضح في الحيــاة الإجتماعية في المجتمع البغدادي .

٢ـ تعرض الجامع إلى عدة هجمات لهدمهِ عبر مراحل وحقب تاريخيــة متعددة . إلا إنهُ تمت إعادة بنائهِ من جديد وتتم بهِ مراسيم العبادة والــدروس والمواعظ من قبل شــيوخهِ وإقامة المناســبات الدينيــة المتعــددة التي يُمارســها المجتمــع البغــدادي، فضــلاً عــن ممارســة النشــاطات الثقافية فيهِ . وهنــا تُكمن أهميتهِ كجامــع وقيمة تاريخية أثرية تراثية في الحياة الإجتماعية في المجتمع البغدادي.

٣ـ ويضــم الجامع مقبرة كبـيرة ضمت أنبياء وأوليــاء وصالحــين ومتصوفين وشــخصيات رائدة في المجتمع البغدادي .

• الهوامش

(١) سورة الأعراف، أية ٢٩.

(٢) سورة التوبة، أية ١٨.

(٣) صبيــح، ميمون، براثا القريــة السريانية القديمة تحولــت مــن صومعــة إلى جامــع، جريدة الدســتور، بتاريخ ٢٤نيسان، ٢٠١١، ص٢٤.

(٤) ياقــوت الحمــوي، شــهاب الديــن أبــو عبــد الله (ت٦٢٦هـــ)، معجــم البلــدان، دار صــادر للطباعة والنــشر، بيروت، ١٣٧٤هــ ـ ١٩٥٥م، ج١، ص٣٦٢ـ ٣٦٣.

(٥) المصدر نفسه .

(٦) إبــن حوقل، أبو القاســم محمد بــن علي الموصلي البغدادي، صــورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ١٩٩٢م، ص٢٤١، .

(٧) الخطيــب البغــدادي، أبــو بكــر أحمــد بــن علي (ت٤٦٣هـــ)، تاريخ بغــداد، بيروت ـ لبنــان، ج١٤، ص٤١٩، أبن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٥٢ـ ١٥٣.

(٨) الفــيروز آبــادي، مجــد الدين أبي طاهــر محمد بــن يعقوب بــن محمد بن إبراهيم بن عمر الشــيرازي (ت٨١٧هـــ)، قاموس المحيط،لبنان، ١٤١٠هــ، ج١، ص١٦٢.

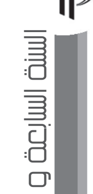
(٩) الزبيــدي، المرتــضى، تــاج العــروس مــن جواهر القاموس، بيروت، ١٩٨٤، ج٥، ص١٢٦.

(١٠) صبيــح، ميمون،براثا القرية السريانية القديمة، جريدة الدستور، ص٢٤.

(١١) الأصبهاني، علي بن الحســن، متولي المسجد سيد مهدي الســيد خضــير العوادي الموســوي، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٣٧٣هــ، ص٨ ـ ١٠.

(١٢) جــواد، د. مصطفــى، و د. أحمد سوســة، دليل

خارطة بغداد المفصل في خطـط بغداد قديماً وحديثاً، مطبعة مجمع العلمي العراقي، ١٩٥٨م، ص٩١.
(١٣) إبن عبد الحـق، عبد المؤمن، مراصد الإطلاع على أسـماء الأمكنة والبقـاع، دار الجيل، بـيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٢هـ، ص٢٠.
(١٤) دليل خارطـة بغـداد، ص٩١، الخليلي، جعفر، موسـوعة العتبـات المقدسـة، قسـم الكاظمـين، دار التعارف، بغداد، ج١، ص١٨ـ ١٩..
*أي قرية سونايا القديمة ومشهد المنطقة الحالي .
(١٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٦٣.
(١٦) المفيـد، أبو عبدلله محمد بـن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ)، الآمالي، دار التيـار الجديد، دار المرتضى ص١٦٥
(١٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص١٠٩
(١٨) الهلالي، بشرى، براثا .. الجامع الذي يحمل اسم راهـب مسـيحي، جريدة المشرق، بتاريـخ، ٣١ كانون الاول، ٢٠١٢، ص٧.
(١٩) إبـن الأثير، علي بن أبي الكـرم محمد بن محمد بـن عبد الكريم بن عبد الواحـد (ت٣٦٠ه)، الكامل في التاريخ، الطباعة المنيرية ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م ، القاهرة، ج٤، ص٣٩٣.
(٢٠) الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٣٢ .
(٢١) م، ن .
(٢٢) دليل خارطة بغداد، ص٩٢.
(٢٣) مسـجد براثا، ص١٥، الحسيني، محمد صادق، عمران بغداد، ١٣٤٨ه ـ ١٩٣٠م، مطبعة دار السلام، بغـداد، ص١٨٠، ابـن الجوزي، عبـد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ه)، مناقـب بغـداد، عني بتصحيحـهِ، محمد بهجة الآثري، مطبعة دارالسلام، ١٣٤٢ه ، ص٢٢.
* زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد .
(٢٤) صبيح، ميمون، براثا القرية السريانية القديمة، جريدة الدستور، ص٢٤.
(٢٥) سورة آل عمران، أية ١٦
(٢٦) الهلالي، بشرى، براثا .. الجامع الذي يحمل أسم راهب مسيحي، ص٧.
(٢٧) الحسن، علي، تاريخ مسجد براثا، ص٧ـ٨.
(٢٨) الهلالي، بشرى، براثا .. الجامع الذي يحمل اسم راهب مسيحي، جريدة المشرق، ص٧.
(٢٩) صبيح، ميمون، براثا القرية السريانية القديمة، جريدة الدستور، ص٢٤.
(٣٠) بشرى، الهلالي، براثا .. الجامع الذي يحمل اسم راهب مسيحي، ص٧.
(٣١) المصدر نفسه .
(٣٢) مصطفـى عـلي يتحدث عن بغـداد، مجلة أمانة العاصمة، العدد»١٩»، ١٩٧٩، ص٣٥.
(٣٣) الحجية، عزيز جاسم، بغداديات، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٨،ج٢، ص١٨٠.
(٣٤) بغـدادي، عبـاس، بغـداد في العشرينـات، ط١، المؤسسـة العربية للدراسـات والنشر، بيروت، ١٩٩٨، ص٢٣١.
(٣٥) العلوجي، عبد الحميد، التراث الشعبي، حضارة العـراق، دار الحريـة للطباعة، بغـداد، ١٩٨٥، ج١٣، ص ٣٧.
(٣٦) الحنفـي، جلال، وسـائل التسـلية الشـعبية في بغداد، مجلة بغداد، العـدد ٢٣، كانون الاول، ١٩٦٥، ص٣١.
(٣٧) صبيـح، ميمـون، براثـا .. القريـة السريانيـة القديمة، جريد الدستور، ص٢٤.
(٣٨) المصدر نفسه.
(٣٩) الهلالي، صبيح، براثا .. الجامع الذي يحمل اسم راهب مسيحي، ص٧.
(٤٠) المصدر نفسه.



Bartha mosque and its social impact
in the Baghdadi community

By: Prof. Dr. Kamal Rashid Khammas AL-Eakili
(Center of the revival of Arab scientific heritage)
University of Baghdad

Abstract

The Baratha Mosque, which is currently called, is one of the historical mosques of the city of Baghdad, especially the western part of which is Karkh, where the Baratha Mosque is situated halfway between the Karkh and Kadhimiya regions. It was converted into a mosque at the time of the fourth Caliph Ali bin AbiTalib»Peace be upon him», and it is a mosque to perform the duties of prayer and the revival of religious events and the councils of consolation in the month of Muharram and Safar have an impact on the social life in the Baghdadi society,

First: A historical overview of the Baratha Mosque.

Second: Description of the Mosque of Bartha.

Thirdly: its social impact in Baghdadi society.

1.The Baratha Mosque is one of the oldest historical and heritage mosques in the city of Baghdad. It represents the confluence of Christian and Islamic religions. It was a monastery for Christians and then turned into an ancient mosque with a clear influence on the social life of Baghdadi society.

2.The mosque was subjected to several attacks to demolish it through various historical periods and periods. However, it is being rebuilt again, with ceremonies of worship, lessons and preaching by its elders, and the holding of various religious events by the Baghdadi community, as well as the practice of cultural activities in it. And here lies its importance as a collector and value historical heritage in the social life in the Baghdadi community.

3.The mosque includes a large cemetery, which included prophets and the parents of good and mystified and leading figures in the Baghdadi community.



المقارنة بين العادات والتقاليد البغدادية في كتاب الحوادث الجامعة والواقع الحالي

م.م لقاء عامر عاشور*

● المقدمة:

يزخر المجتمع البغدادي بالكثير من العادات والتقاليد التي تعكس أنماطاً سلوكية وإبداعات، فهي عصارة فكر وتجربة، وحصيلة تاريخ طويل من التفاعل بين الإنسان وبيئته الجغرافية، بتنوّع تقاسيمها وتراسيمها من المدينة إلى الريف، ومن الجبال إلى الصحراء، فالعراقيون وبعد آلاف السنين مازلوا يحملون تلك الثقافة للعادات والتقاليد وبعض من المعتقدات الخرافية التي نبعت من اجدادهم السومريين والبابليين والاكديين والآشوريين والعباسيين، رغم تواتر الغزاة على مر العصور، ومحاولاتهم لتغيير هوية العراقيين الا انهم عجزوا جميعا عن ذلك. وهذا ما يدل على أن التراث والتاريخ قادران على الحفاظ على شخصية الإنسان العراقي رغم متغيرات العصر، ويمكن القول أن المجتمع العراقي وهويته ظل محتفظاً بجزء كبير من تلك العادات والتقاليد التي مازالت راسخة في عقولنا والتي اخذت تتوارث من جيل الى جيل وتأقلمت مع الظروف والانفتاح على الآخر، وبالرغم من وجود عالم يتجدد يومياً ويسجل تغييرات في كافة الميادين والمجالات الآخذة بالتأثر بالعولمة وبالتقنية وغيرها من الأمور.

* جامعة بغداد/مركز إحياء التراث العلمي العربي

●لمحة مختصرة عن كتاب الحوادث الجامعة:

يعد كتاب الحوادث الجامعة من أوسع كتب التاريخ الإسلامي المهمة التي تناولت تاريخ العراق بعد الغزو المغولي والى نهاية المئة السابعة للهجرة بل يكاد أن يكون المصدر الوحيد لكثير من الحوادث التاريخية التي مرت بها بغداد في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وآية ذلك أن المؤرخين الشاميين والمصريين لم يخصصوا مساحة جيدة في تاريخهم لأخبار العراق بعد سقوط الخلافة العباسية .

مؤلف الكتاب قد اثار جدلاً عن الباحثين العراقيين فمنهم من نسبه لابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، مثل الاستاذ يعقوب نعوم سركيس و الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف والأستاذ محمد رضا الشبيبي والأستاذ مصطفى جواد الذي حقق الكتاب عام١٩٣٢ ثم تراجع عن نسبه لابن الفوطي فيما بعد عام ١٩٦٢، ثم أعاد تحقيقة كل من الدكتور بشار عواد معروف والدكتور عماد عبد السلام رؤوف عام ١٩٩٦واستبعد ان يكون هذا الكتاب لابن الفوطي ولقد وضعوا عدة براهين لذلك رغم ذكر المؤرخين القدامى أن كتاب الحوادث الجامعة مؤلفه ابن الفوطي، يبدو ان هذا الاختلاف جاء نتيجة فقدان الصفحات الأولى للكتاب . ولم يحسم هذا الخلاف الى وقتنا الحاضر حول مؤلف هذا الكتاب فاخذ البعض ينسبه لابن الفوطي والآخر ينسبه لمؤلف مجهول . لكن من يتصفح الكتاب يجد ان هوية المؤلف واضحة بين سطور الكتاب فهو عراقي اصيل محب لبلاده استطاع ان يوثق جميع الاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية للعراق لمدة مائة عام .

●مفهوم العادات والتقاليد لغة واصطلاحاً:

أولا: العادات لغة واصطلاحاً

العادات لغـةً: جمعٌ لكلمة عادة، وهي من الفعل تعوّد يتعوّد تعويداً، ومعنى هذه الكلمة هي تلك الأشياء التي تداولها الناس على عملها أو القيام بها أو الاتصاف بها، وتكرَّرَ عملها حتى أصبحت شيئاً مألوفاً ومأنوساً، وهي نمطٌ من السلوك أو التصرُّف يُعتادُ حتى يُفعل تكراراً، ولا يجد المرء غرابة في هذه الأشياء لرؤيته لها مرات متعددة في مجتمعه وفي البيئة التي يعيش فيها[١].

العادة اصطلاحاً هي: ما يعتاده الإنسان أي يعود إليه مرات متكررة[٢] . فالعادات هي أعراف يتوارثها الأجيال لتصبح جزءاً من عقيدتهم، وتستمر ما دامت تتعلّق بالمعتقدات على أنّها موروث ثقافي، فهي تعبير عن معتقد معين[٣] .

ثانيا: التقاليد لغة و اصطلاحاً

التقاليد لغـة: جمع لكلمة تقليد، وهي من الفعل قلَّدَ يُقلِّدُ تقليداً، ومعناها أن يُقلِّد جيلٌ أساليب الجيل الذي سبقه ويسير عليها[٤]، إن كان ذلك في الملبس أو في السلوك والتصرفات أو في العقائد والأعمال المختلفة التي يرثها الخلف عن السلف[٥] .



التقاليد اصطلاحـاً: هي كل مايرتبط بالماضي وتداولـت عليـه الايـام واصبح قديمـا، وهي محاكاة للأولين ومـوروث عنهم فهي «عادات مقتبسة رأسـيا أي من الماضي الى الحاضر الى المستقبل فهي تنتقل وتورث من جيل الى جيل ومن السلف الى الخلف على مر الزمان»(٦).

لكن نجد أن الغالبية جعلت اللفظين مشتركين لمعنى واحد وهو الأمـر القديم، الذي لا حداثة فيه، وهذا سـبب وجيه، وراجع إلى ارتباطهما الوثيق دوماً، وفي كل مجالات الحياة، فلا نكاد نذكـر اللفظ الأول حتى نتبعـه باللفظ الآخر، وإن كانت العادات هــي مجموعة الأمور التي اعتدنا على القيام بها منذ الصغر، وهي راجعة إلى ما قام به الآباء والأجداد على امتداد حياتهم بشكلٍ كبير، أما التقاليد، فهي الموروث الثقافي الـذي ورثنـاه عـن الآبـاء القدامـى، وأصبح بالنسـبة إلينا كالكتـب القديمـة أو المراجع، نعود إليها عند الحاجة(٧).

●مقارنة بين العادات والتقاليد البغدادية في العصر العباسي والوقت المعاصر

أولا: الأعياد والمناسبات الدينية

١-الاعياد

اتسـم المجتمع البغدادي بعدد من التقاليد في الأعياد والمناسـبات الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحـى وغيره من الاعياد التـي كان يحتفل بها العراقيون بصورة عامة وفي عيدي الفطر والأضحـى تقـام الولائـم خاصـة في قصـور الأغنيـاء، وعرفت أسـمطة الخلفـاء والوزراء بسـعتها وبكثرة كميات وأنـواع الطعام التي تقـدم عليهـا(٨)، كمـا تغـير الأدوات والفرش وكثـير مـن الملابـس(٩)، ومـازل البغداديون يحتفظون بهذه العـادات والتقاليد في الأعياد مـن حيث إقامة مآدب الطعـام وتغير الفرش وشراء الملابس الجديدة(١٠) .

يمتـاز عيـد الفطـر بالصـلاة التـي يؤدّيهـا المسـلمون بعد أن تـشرق الشـمس بعشرين دقيقـة تقريبـاً، فيلتقـون مـع بعضهـم، ويتبادلـون التهانـي والمعايـدات، وتكثـر في عيـد الفطر زيـارات الناس لأهلهـم وذويهم، كما يَسـتقبلون أصدقاءهم وجيرانهم، وبذلك يكونـون قد وصلوا أرحامهم كمـا أمرهم الله جلّ وعلا، ومن طقوس المسـلمين في هذا العيد أنهم يتناولون بعض التمر، ويقدّمون أصنافاً مختلفة مـن الحلويات لضيوفهـم وزوّارهم، ومن أبرز هذه الأصناف: كعك العيد المحشـوّ بالتّمر أو المكسرات(الكليجة)(١١).

عيـد الأضحـى يُعـدّ عيد الأضحى هـو العيد الثانـي للمسـلمين، ويكون في اليـوم العاشر من شـهر ذي الحجّـة؛ إذ يحتفـل فيه الناس بعـد أن يقـف حجّاج بيـت الله الحـرام على جبل عرفات لتأدية أهم مناسـك الحج، والمدّة الشرعيّة له أربعة أيام، حيث ينتهي مع غروب شـمس الثالث عشر من ذي الحجة، ومن أهم مـا يميّز هـذا العيد أنّ المسـلمين يتقرّبون إلى خالقهم بالتضحية بأحد أنواع الأنعام المتمثّلة في: الخرفـان، والأبقـار، والجمال؛ إذ يذبحون الأضحية ويوزّعونها على الفقراء والمسـاكين،



والأقربـاء وغيرهـم، وهـذا السـبب الرئيـسي لتسميته بعيد الأضحى.
جرت العادة أن يستقبل الحجاج عند عودتهم من مكة المكرمة، وتقدم التهاني لهم بسـلامة الوصول وأداء فريضة الحج[١٢]، وقد يشترك الخليفة نفسـه في هـذا الاسـتقبال. ففي عام (٣٩١هـ/١٠٠٠م) اسـتقبل الخليفـة القادر باللـه (٣٨١-٤٢٢هـــ)(٩٧٤-٩٩١م) أهل خراسـان القادمـين مـن الحـج الذاهبين إلى المشرق[١٣]، مـازال الى يومنا هذا يتبعون هذه العادة عند عودة الحجاج من الحج[١٤] .
ويحتفل البغداديون بعيد نيروز[١٥] ، ويشترك فيهـا النـاس جميعـاً في العـراق، إذ تتبـادل الهدايـا بينهـم، ومـن الطريـف أن الخلفـاء العباسيين أنفســهم كانوا يتوقعون أن ترسل إليهـم الهدايا مـن حاشـيتهم وموظفيهم في جميع أنحاء البلادعندئذ، وقد تبلغ قيمة هدايا النـيروز للخلفاء ولعائلاتهم مبلغـاً كبيراً، قد يتجاوز خمسـة وثلاثين ألف دينار[١٦]، وهذه العادة اتبعت لدى جميع أفراد المجتمع، وكما نعلم أبطلها الإسـلام في بادئ الأمر حتى جاء معاويـة وقبل الهدايا[١٧]، وفي العصر العباسي أرجعت الهدايا مع الاحتفال بالعيد رسمياً[١٨].

٢-المناسبات الدينية

أ-المولد النبوي

ظهر الاحتفـال بمولد النبـي (ص) في القرن الرابع ولقد جـاء الاحتفال هذا من الفاطميين المعروفين، حـكام مصر والمغرب فأحدثوا هذا الاحتفـال، ثم تابعهم غيرهـم، من بعض أهل السنة، ثم انتقل الى الدولة العباسية[١٩] وحتى اصبـح هذا احتفالاً عند كل المسـلمين ومازال الى يومنـا هذا عنـد كل العراقيين وليس فقط البغداديون[٢٠] .

ب- يوم العاشر

في العـاشر مـن محـرم في كل عـام، يظهـر أصحـاب المذهب الشـيعي الحزن الشـديد في ذكرى استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بيوم عاشوراء[٢١] ولا تزال عادة إظهار الحزن مستمرة في العراق حتى الوقت الحاضر.

ج- ختمة القرآن

ومن صـورة الحيـاة أيضاً الاحتفـال بختمة القرآن، ويكون مقصوراً على الأحداث، وتعمل بذلك المواكب، ويظهرون فيها بأحسن الأزياء، ويجوبـون طرق المدينة، ينشـدون الأناشـيد وقد لبسـوا آخـر الثياب[٢٢]، ثم تقـام المآدب، وتـوزع الخلع على المقربـين والمؤدبين، وتقام مـآدب يدعى إليها بعض العلمـاء، وتوقد فيه النـيران[٢٣]، ويحضر أيضاً إلى هذه الاحتفالات الرجـال والنسـاء على السـواء، مـن الأقارب وأصحـاب المحلـة [٢٤]، وهذه العـادات كانت شـائعة عنـد البغداديين في العـصر العباسي، واهتـم بهـا الخليفـة المسـتنصربالله(٦٢٣-٦٤٠هــ)(١٢٢٦-١٢٤٢م) بصورة خاصة في القـرن الخامس الهجري[٢٥]، واصبح اليوم إقامة دورات صيفيـة للأطفال لحفظ القران تقـام في الجامع ثم يتـم اختبارهم والاحتفال بتخرجهم وإهداؤهم مصحف وسجادة .

ثانيا: مراسيم الزواج

١-الخطبة

أولى خطوات الزواج هي الخطبة يذهب اهل الولد إلى أهل الفتاة لطلب يدها[٢٦] ومعهم رجال الدين بعقد القرآن، ويقدم الصداق حسب ثروة الزوج وكان من مستلزمات الزواج الصداق، وقد جرت العادة بأن يكون نقداً، وكان مقدراه يختلف حسب طبقات المجتمع، فالأثرياء يقدمون صداقا كبيراً، يتناسب مع ما يملكون من ثروة [٢٧]، وكانت طبقة العامة تحرص أيضاً على تقديم الصداق بقدر ما تستطيع [٢٨]، وهذا دليل على أن هذه العادة كانت مسيطرة على عوائل المجتمع.

٢-التحضير للزواج

بالغ العرب في العصر العباسي باهتمامهم في حفلات الزواج حتى أن هناك سوقاً في بغداد سُمي: « سوق العروس»، لتجهيز العرائس بالطرائف والنفائس .اسمه شارع النهر، أو شارع البنات، أو شارع العرسان في بغداد[٢٩]، كما يسميه البعض، ويمثل إحدى أكبر أسواق الجمال والموضة منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان. فيه يمكن قياس جمال المرأة العراقية وأناقتها، كونه المركز الأساس لبيع الملابس خصوصاً ملابس العروس بكل لوازمها ومستلزمات حفل الزفاف من حلي وإكسسوارات ومصوغات ذهبية ومفارش زينة، إضافة إلى الأقمشة والماكياج والعطور، ويتفرد بطرازه المعماري المميز[٣٠]. ولم تزل العائلة العراقية تحتفظ بذكرياتها الجميلة عن هذا الشارع على الرغم مما أصابه في السنوات الأخيرة من إهمال وفوضى ودخول مهن طارئة على طبيعة السوق ومحالها.

٣-العرس او الزفة

ومن العادات التي كانت تراعى في الزفاف أن تزف المرأة إلى بيت الرجل[٣١]، حيث يقام احتفال ووليمة ينفق عليها الزوج حسب إمكانياته[٣٢]، وجرت العادة عند الأمراء والطبقات الثرية أن ينثر على الحضور النقود الذهبية والفضية والحلويات في حفلات الزفاف وقد عرف ذلك بالنثار، وتجلت هذه المظاهر في حفلي زواج زبيدة بهارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)(٧٨٦- ٨٠٩م) وبوران بالمأمون (١٩٨-٢١٨هـ)(٨١٣-٨٣٣)[٣٣]،وصاروا فضلا عن ذلك يقدمون الهدايا إلى العروس في صباح يوم زواجها، وتسمى بالصبحية[٣٤].

لقد بقيت هذه التقاليد راسخة الى يومنا هذا مع بعض الإضافات جاءت مواكبة مع الحداثة والتطور الذي حدث وهي بطبع بطاقة الدعوة التي توزع على اصدقاء ومعارف العائلتين وفيها تحدد ساعة ويوم العقد وغالباً ما يكون يوم الجمعة.

يرسل أهل العريس الشكرات والظروف مع المناديل مع شمعة العسل وقناني الشربت، وشكر القند (كلال) مع عدد من بطاقات الدعوة لإرسالها الى أقربائهم[٣٥] .

ثالثاً: مراسيم العزاء

١-التشييع

أما عادات الأحزان فهي كثيرة ولا تزال متبعة



حتى اليوم في المجتمع، وتبدأ عند تشييع المتوفى، إذ يخرج الأهل والأصدقاء والمعارف ويسيرون خلف الجنازة[٣٦]، وربما يخرج رجال من أصحاب الذكر يسيرون خلف الجنازة [٣٧]. العزاء عند البغداديين له طابع خاص، طقوس وعادات وتقاليد يشارك فيها الأقارب والأصدقاء، فإذا توفي شخص يبالغ أهله في إظهار الحزن، قبل إتمام مراسيم التكفين والدفن.وهناك عادة متبعة هي نحر الخروف عند عتبة باب الدار ساعة إخراج الجنازة، التي يحملها الرجال وتخفض وترفع ثلاث مرات قبل إخراجها من دار المتوفى[٣٨] .

٢-الدفن

وفي حالة الدفن اعتاد بعضٌ من أهل بغداد أن يدفن موتاه خارج أسوارها، والبعض الآخر يدفن موتاه في النجف الأشرف [٣٩]، وهؤلاء أصحاب المذهب الشيعي، وتنقل الأموات إلى هذا المقر حتى من الأماكن البعيدة، ولا زالت هذه العادة متبعة ليومنا هذا، وذكر أن عضد الدولة الأمير البويهي(٣٦٧-٣٧٣هـ)(٩٧٨-٩٨٢م) نقل جثمانه إلى النجف الأشرف في القرن الرابع الهجري[٤٠]، وكذلك استمرت عادة قراءة القرآن على القبور لدى جميع طبقات المجتمع[٤١] .

٣- مجلس العزاء

أما مجلس العزاء الذي يقام على الأموات، فكان على نوعين، منها الخاص بالرجال والآخر بالنساء، يقرأ فيهما القرآن، ويختار لمجالس النساء قراء عميان أو قارئات[٤٢] يلبس فيها الثياب ذات اللون الأسود وهي تمثل شعار الحزن[٤٣].

لم تختلف مراسيم العزاء عند البغداديين كثيراً، فالنساء غالباً ما تكون في بيت المتوفى، يقام مجلس عزاء الرجال أما بنصب (خيمة) قرب بيت المتوفى اوفي احد الجوامع، ومن طقوس حزن النساء لدى البغداديين دعوة (ملاية)أو ما يطلق عليها (العدادة) الى مجلس العزاء. والملاية تنعى الميت بقراءة القصائد وتعديد صفاته الحميدة.

مجلس عزاء الرجال يستمر لثلاثة أيام متتالية، ويقدم طعام العشاء للحاضرين في اليوم الثالث من العزاء [٤٤]. وفي حالة وفاة شخصية كبيرة كالخليفة أو الأمير فالحزن يعم بغداد كلها، إذ تغلق الأسواق، وتعلق الأقمشة السود على جدرانها، وتقام المآتم في كل مكان، وحدث مثل ذلك في القرن الخامس الهجري عند وفاة الخليفة القائم بأمر الله(٤٢٢-٤٦٧هـ)(١٠٣١-١٠٧٥م) فأظهرت علائم الحزن لمدة ثلاثة أيام[٤٥] على المستوى الرسمي والشعبي[٤٦].

٤-ملابس العزاء

وعلى ذكر ثياب العزاء فإن المؤرخين وغيرهم من الكتاب لم يمدونا بمعلومات وافية عن لونها ووصفها، على أننا نستطيع أن نقول: إنه كان يغلب عليها اللون الأسود، وذلك على ضوء ما ذكره بعض المؤرخين عن وفاة الخليفة المستنصر العباسي عام(٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، وارتداء رجال الدولة الثياب السود في يوم وفاة



هذا الخليفة[٤٧]، ومــازال العراقيون الى يومنا هذا يلبســون الملابس الســود تعبيراً على مدى حزنهم[٤٨] .

وهناك صور أخرى تمثل نواحي الحياة في المجتمع .

كلنا شــاهد كيف يتم لف الطفل بقطع قماش كبيرة تســمى القماط بدءاً مــن الأكتاف حتى أسفل قدميه كي يكون عوده مظبوطاً ويبقى كذلــك حتى بلوغــه أربعين يومــاً، بالعادة أن تكــون كل ملابــس الأطفــال باللــون الأبيض للجنســين الأولاد والبنــات أمــا جهــاز الطفل ضمــن المتعارف عليه أن تشــتريه بالكامل أم الحامل، فمن الطقوس القديمة لأهل بغداد ان تزور المرأة التي تلد الحمام بعد اليوم الســابع مــن الــولادة وتؤخذ الحلــوى ووجبــة الغداء ونساء المحلة لتحميم ام الطفل وسط الزغاريد وتقديم التهئنة والتبركات لها[٤٩] .

عــادات الاحتفــال بختــان الأولاد واشــتهر في التاريخ الاحتفال الذي أقيم في ختان المعتز بن المتوكل، وكذلك ختان أولاد الخليفة المقتدر، إذ أنفقت أموال كثيرة في هذه المناسبة[٥٠]. وظلت عادة النثــار متبعة طيلة العهــد العباسي[٥١]، فشــوهدت في حفلي ختان المعز بن المتوكل[٥٢]، وأولاد الخليفة المقتــدر، حتى قيل إن النفقات بلغت في يوم ختان أولاد هذا الخليفة ســتمائة ألف دينــار، حيث وزعت دراهم وكســوة[٥٣]، وقــد اتبع ســائر الناس عــادة النثــار، واخذ البغداديــون العمــل بهــذه التقاليــد حيــث يتــم الاحتفــال بختــان الطفل وإقامــة مأدب الطعام[٥٤] .

● الخاتمة:

رغــم ما تعرضــت لــه العائلــة البغدادية من تطــورات اجتماعيــة وثقافيــة واقتصاديــة عميقة أكســبتها عــادات وتقاليــد جديدة مع الزمــن الجديد فقد ظلــت محتفظة ومحافظة عليهــا معتبرة إياها جزءاً مــن كيانها الروحي والعقائــدي الأمر الذي أدى بها إلى تقديســها واعتبار عدم الاحتفاء والتحذير بها أمرا سيئا ومرفوضًــا إجتماعيا وثقافيــا وحتى عقائديا، لا يــزال إحياؤها وتداولها حتــى اليوم، حيث يعملون بعفوية تامة على ترسيخها وتأصيلها في نفوس الأجيال وعقولهم.

●الهوامش

(١) الزَّبيــدي، محمّــد بــن محمّــد بن عبــد الرزّاق الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهــر القاموس، تحقيق: مجموعــة من المحققين، دار الهداية، الكويت، بلا. ت،ج٢، ص٥١٤.

(٢) العنتيــل، فوزي،الفلكــور دراســات في التراث الشعبي، دار الميسرة-القاهرة،١٩٨٧، ص١٩.

(٣) حبيب، رفيق، في فقه الحضارة الإســلامية احياء التقاليد العربية، دار الشروق-الأردن،٢٠٠٣،ص١٣.

(٤)الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٩، ص٦٩.

(٥) حبيب، في فقه الحضارة الإسلامية احياء التقاليد العربية، ص١٦.

(٦) ذيــاب، فوزية، القيم والعــادات الاجتماعية مع

بحث ميداني لبعض العادات، دار النهضة العربية- بيروت،١٩٨٠،ص ١٦٤.

(٧) إسـعد، فايزة، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسـط الحضري بـين التقليد والحداثـة، أطروحة دكتوراه منشورة، جامعة وهران،٢٠١٢،ص١٥٥.

(٨) مجهـول المؤلف، الحـوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق: بشار عواد معروف، عماد عبدالسلام رؤوف، ط١، شريعت - قم، ١٣٨٢،ص٨٢.

(٩) مجهـول المؤلـف، الحـوادث الجامعـة، ص١٧٧؛

البيروني أبو ريحان محمد بن احمد(ت٤٤٠ه/ ١٠٤٨م) ، الآثـار الباقية عن القـرون الخالية، وضع هوامشه، خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ص ٢٢٢.

(١٠) الغـلاف، عبـد الكريـم، بغدادالقديمـة، ط١، الـدار العربيـة للموسـوعات بـيروت ، ١٤٣٠هـــ / ١٩٩٩م،ص٧٨.

(١١) العـلاف، بغـداد القديمـة، ص٨٧، الحجية، عزيز جاسـم، بغداديات، وزارة الثقافة والارشـاد- بغداد، ١٩٦٧، ص١٠٦.

(١٢)ابـن الجوزي، أبو الفـرج عبد الرحمن بن علي بن محمـد (ت٥٩٧هـــ/١٢٠٠م)، تلبيس إبليس، تحقيق: محمد بن الحسـن بن إسماعيل، مسعد عبد الحميد السـعدني، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، بلا.ت، ص ١٤٠ – ٣٨٢.

(١٣) ابن الجوزي، أبـو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـــ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: جمع من الاسـاتذة، ط١، دار صادر - بيروت، ١٣٥٨هـ،ح ٧،ص ٢١٥.

(١٤) العلاف، بغداد القديمة، ص٨٩.

(١٥) القلقشندي، أحمد بن علي(٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشـا، تحقيق: يوسف علي طويل، ط١، دار الفكر - دمشـق، ١٩٨٧، ج ٢، ص ٤٢.

(١٦) مجهول المؤلف، الحوادث الجامعة، ص ١٧٧.

(١٧) مسـكويه، ابـو عـلي بـن احمـد بـن يعقوب (ت٤٢١هـــ/ ١٠٣٠م)، تجـارب الأمـم وتعاقـب المهـم، تحقيق:سـيد كـسروي حسـن،دار الكتب – بيروت،٢٠٠٣، ج ١،ص ١٥٥ – ١٥٦.

(١٨) مجهول المؤلف، الحوادث الجامعة،ص ٨٢.

(١٩) مجهول المؤلف، الحوادث الجامعة،ص ١٧٧.

(٢٠) مجهول المؤلف، الحوادث الجامعة، ص١١٩.

(٢١) مجهول المؤلف، الحوادث الجامعة، ص ٢١٢.

(٢٢) مجهول المؤلـف، الحوادث الجامعة،ص ٤٤ ؛ الشيبي، المؤرخ البغدادي، ج ٢، ص ١٠٦

(٢٣) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص ٣٨٢.

(٢٤) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص ١١٠.

(٢٥) مجهول المؤلف، الحوادث الجامعة،ص ١٠٠.

(٢٦) الخطيـب البغـدادي، أبو بكـر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـــ/١٠٥٤م)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، بلات، ج ١٢ ص ٧٦.

(٢٧) المـاوردي، أبـو الحسـن عـلي بـن محمد بن محمد بـن حبيب البـصري (ت٤٥٠هـ/١٥٠٨م)، الأحـكام السـلطانية، ط١، مكتبـة دار ابـن قتيبة- الكويت،١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ١٢٣، ٢٢٢.

(٢٨) ابـن الجـوزي، أبو الفـرج عبـد الرحمن بن علي بن محمـد (ت٥٩٧هـــ/١٢٠٠م)، ذم الهوى، تحقيق: احمد عبد السلام عطا، دار الكتب العلمية –



بيروت،٢٠١٢،ص ٣٦٦- ٣٨٦.

(٢٩) الحجية، بغداديات،ص١٢.

(٣٠) المصدر نفسه ،ص١٢.

(٣١) ابن الجوزي،الأذكياء،ص ٤٢٨.

(٣٢) السيوطى، تاريخ الخلفاء، ص ١٤٩.

(٣٣) ابن الجوزي، الأذكياء، ص ٧٧.

(٣٤) الشبيبي، محمد رضا،مؤرخ العراق ابن الفوطي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م،ج١،ص٩٧.

(٣٥) الحجية، بغداديات،ص١١.

(٣٦) مجهول المؤلف، الحوادث الجامعة، ص ٢٣٧؛ إبن الجوزي، المنتظم،ج ٧،ص ٣٤٠.

(٣٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠،ص ٤٦.

(٣٨) العلاف، بغداد القديمة،ص١٠٥.

(٣٩) مجهول المؤلف، الحوادث الجامعة، ص ١٩٤.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٤١) ابن الجوزي، المنتظم،ج ٧، ص ٣٦٢.

(٤٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر - بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م،ح١١، ص ٣٠١.

(٤٣) مجهول المؤلف، الحوادث الجامعة، ص٣٤١.

(٤٤) الحجية، بغداديات،ص٢٤٩.

(٤٥) مجهول المؤلف، الحوادث الجامعة،ص٢٤٩؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج ٨،ص ٢٩٥ .

(٤٦) المصدر نفسه،ص ٦٨.

(٤٧) المصدر نفسه، ص١١٩؛ ابن الجوزي، الأذكياء ص ٥٣.

(٤٨) الحجية، بغداديات،ص١٨٧.

(٤٩) مجهول المؤلف، الحوادث الجامعة، ص١٩٦.

(٥٠) المصدر نفسه، ص٤١١.

(٥١) الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل(ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، ثمار القلوب في المضاف المنسوب، شرح وتعليق:خالدعبد الغني محفوظ، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، بلا.ت، ص ٣١٩ – ٣٢١.

(٥٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، الأذكياء، تحقيق:محمد عبد الكريم الشمري،دار الكتب العلمية-بيروت،٢٠١٠، ص ١٨٢.

(٥٣) ابن الجوزي، الأذكياء، ص ١٨٣.

(٥٤) الحجية، بغداديات،ص٥٢.



The comparison between the Baghdadi traditions
And customs in the book of collecting Incidences
and the current reality

By: Assistant Tutor: Leqaa Amer Ashour
(Center of revival of Arabic science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

The Iraqis, especially Baghdadis, derived many customs and traditions that were rooted since the Abbasid era, some of which were dating back to before Islam, including what was borrowed from foreign nations, especially the Persians, and the author of the collecting Incidences Book presented a number of these customs and traditions of Baghdad that are still rooted in our society in Nowadays



الاستاذ الدكتور صالح مهدي عباس وجهوده في احياء التراث

أ.د. مجيد مخلف طراد*

● المقدمة:

يعد الاستاذ الدكتور صالح مهدي عباس احد الاساتذة الذين عملوا على احياء التراث العلمي العربي، و تجد ذلك في اعماله ونشاطاته الفكرية و الثقافية و الاكاديمية التي ركزت على هذا الجانب و تنوعت هذه الانشطة ما بين تأليف الكتب و تحقيق الرسائل التراثية او المشاركة في المؤتمرات و الندوات وورش العمل من خلال عمله مدة طويلة في مركز احياء التراث العلمي العربي .

إن إهمال التاريخ هو إهمال للإنسان وموت أو فقدان حملة التراث قبل توثيقه هو موت لذخائر المكتبات والمعارف التي توثق جهودهم وثقافتهم، وهذه هي رسالة المراكز البحثية المعنية بالتراث وتأكيدها على أهميته الثقافية والفكرية بعده مصدرا «ثقافيا وتاريخيا» للدول وعلى مر التاريخ وتقادم الأيام واختلاف الحقب برزت جهود علمية لشخصيات أكاديمية كان لها اثر واضح في بلورة وإحياء وتحديد ملامح الفكر التراثي العربي الإسلامي من خلال دراساتهم وبحوثهم ومشاركاتهم في المؤتمرات العلمية والندوات المتخصصة في هذا الشأن فكانت لهم رؤية حضارية شاملة ومتكاملة لمعطيات التراث .

ولعل من أولئك الأشخاص في العراق الأستاذ الدكتور صالح مهدي عباس الذي اتجه منذ نشأته وتكامل وعيه الثقافي والفكري نحو التراث وقد أعطته ثقافته المنهجية التي جمع فيها بين التراث واللغة والتاريخ قدرة على إبراز إشكالية المؤلفات التراثية بعدها قضية حضارية أولا وقبل كل شيء وقد تركت مؤلفاته وإسهاماته الفكرية والثقافية



* جامعة بغداد/ رئيس مركز احياء التراث العلمي العربي

أثـرا واضحا في التراث العربي، حتى عد واحدا مـن المفكرين المعدودين على مسـتوى تحقيق المخطوطـات والدراسـات التراثيـة في العراق لتميز إنتاجه المعرفي في هـذا المجال ومنهجيته الموضوعية في دراسة النص التراثي وتحقيقه .

إن الاطـلاع عـلى مؤلفات الأسـتاذ الدكتور صالح مهـدي وبحوثه المتعددة سـيرى أمامه زادا وافـرا مـن شـأنه أن يولد رغبـة محكمة للنظر فيما أمامه من الموضوعات المتنوعة التي تناولتها كتبه وبحوثه وهي بلا شـك تدخل في نطاق التراث من أوسع أبوابه وفيها تجد رسماً لصورة الماضي القريب ببنيته الفكرية متداخلة في لحظة الحاضر لقد مثلت الحقبة التي شهدت البنـاء الفكري للدكتور صالـح مهدي باكورة النهضـة الفكريـة والثقافيـة في العـراق التي انعكست آثارها على أسـلوبه وعلميته وثقافته فنجد له أسـلوب كتابة لا يشعر القارىء معها بالملل لبساطته ولتماسك أفكاره التي لا يكتنفها الغموض ولعل ما يجعله سلسا في مادته هو ما يتمتع به من ثقافة أكاديمية وخبرة معرفيه في التعاطـي مع المادة التي يكتبها، بحيث لا يتاح المجـال أمام المتطلع لقراءتها أن يغفل بعضها بـل ويجعل منه منتظرا لما يليها من طرح يعد بمثابـة إجابة عليهـا وبيانا لمعانيهـا ولعل ما اضفى من جمالية على لغته الكتابية والبحثية وأسـلوبها انه لم يضمن مؤلفاته بمصطلحات يجعل القارىء متميزا حيالها كما يفعل بعض الباحثين ظنا منهم أن هذه الوسـيلة ستضفي على كتاباتهم نوعاً مـن الأهمية في الوقت الذي سـتؤدي فيه هـذه المصطلحـات إلى إثقال أو تعثـر في فهم النص لا سـيما اذا كان بالإمكان الاسـتغناء عنها أو التقليل من إسـتخدامها إلا اذا دعت إليها الضرورة .

لقد عرف عن الأسـتاذ الدكتور صالح مهدي عبـاس علميتـه ودقتـه ورصانـة الدراسـات والبحـوث التـي انجزهـا ونشرها ممـا جعل كثـيراً مـن الدارسـين والباحثين يسترشـدون به عـن الـتراث والمخطوط وتحقيقـه ويرجع إليه طلبة العلم والدراسـة حتى عد واحداً من القامـات العلميـة التي يشـار إليهـا في خدمة الـتراث العربي والحفاظ على ثقافته من خلال معلوماته الموسـوعية والتاريخية الكبيرة وكل ذلـك لـم يجعل نفسـه نجمـا تحـت الأضواء لبسـاطته لان الهـدف الـذي سـخر لـه طول حياته وسـعى لأجلـه بلا صخب هـو العناية بتحقيق المخطوط العربي والحفاظ على قيمته الحضاريـة وإيصال ذلك كلـه إلى القارىء أو الباحث بأمانة سـاعده على ذلك ما يمتلكه من مخزون معلوماتي وتراثي واسع وقدرة كبيرة للتعامل مـع الكتاب أو النص التراثي بشـكل صحيح .

●السيرة الذاتية والعلمية:

في الواقع لا نهدف من وراء كتابة هذه السيرة رصد حياتـه الذاتية بالمعنـى التقليدي، وإنما سنقف عند حدود بعض المحطات المفصلية في حياته والتي كان لها دور مهم في تشكيل وعيه الثقافي والمعرفي وفي مجمل رؤاه الفكرية .

ولـد الدكتور صالـح في ١٩٤٥/٧/١[1] في ناحية سـومر وهي احدى النواحي التابعة الى قضـاء الدغارة بمحافظة القادسـية، وينحدر من أسرة عراقية عريقة النسب والحسب فأبوه مهـدي عباس علوان شـيخ نصير بن جاسـم بن نجـم بن شـايع بن خضير بـن عباس بن



عبد السـايد بن عيسى أبو دنبوسـين بن عبد الحسـين بن نجم بن هلال الخضيري الشمري الجعفري[٢] متزوج منذ عام ١٩٦٧ وله خمسة من البنين والبنات .
بدأ تعلمه بالدراسـة الابتدائية في مسقط رأسه بمدرسة الحصون واكملها عام ١٩٥٨ ثم دخل المتوسـطة في قضاء الدغارة بمتوسطة الدغارة للبنين وتخرج منها عام ١٩٦١ونتيجة لظرف العائلـة الخاص لـم يكمل دراسـته الإعدادية فانتقل إلى بغداد ليلتحق بمعهد المهن الصحية والـذي كان يسـمى آنذاك بمدرسـة الموظفين الصحيـة وتخـرج منه عـام ١٩٦٤ حيث كان يقـع في منطقة باب المعظم، خلف المستشـفى الجمهـوري، والتـي تحـول اسـمها فيما بعد إلى معهـد الصحة العالي ثـم ان كلية التقنيات العلمية الموجودة الآن في المنطقة ذاتها .
بعد حصوله على شـهادة معهد المهن الصحية تـم تعيينـه موظفاً صحيـاً في وزارة الصحة/ دائرة صحة الرصافة/ مستشـفى الجمهوري العام في ١٩٦٤[٣] بعدهـا دخل دورة التخدير التي أقامتها الـوزارة في عام ١٩٦٥ فاجتازها بنجـاح فتغـير عنوانـه الوظيفي إلى مسـاعد مخـدر[٤] . لكـن طموحه العلمـي والمعرفي لم يتوقـف عند حـد الحصول عـلى الوظيفة، بل كان ابعـد مـن ذلك، فسـعى إلى الحصول على الشـهادة الإعدادية / الفرع الأدبي عن طريق الامتحانـات الخارجيـة التـي كانـت تجريها وزارة التربيـة وبعـد محاولـة فشـل واحـدة اسـتطاع الحصـول عـلى هـذه الشـهادة عام ١٩٧٣ والتـي أهلتـه لدخـول كليـة الآداب/ جامعة بغداد/ الدراسـات المسـائية في قسـم اللغـة العربية للعام الـدراسي ١٩٧٣-١٩٧٤. فشـكل هذا القبول انعطافة تاريخية كبيرة في حياتـه العلميـة بعد ان تتلمذ فيها على اشـهر أساتذة اللغة العربية آنذاك نذكر منهم الأستاذ الدكتـور جـلال الخيـاط، والأسـتاذ الدكتور حسام النعيمي والأستاذ الدكتور عدنان محمد سلمان والأسـتاذ الدكتور عناد غزوان وغيرهم واسـتطاع أن يكمل دراسـته الجامعية بنجاح فحصـل عـلى شـهادة البكالوريـوس في اللغة العربية في عام ١٩٧٧[٥] ومن هنا بدأت المسيرة العلمية والأكاديميـة الحقيقية للدكتور صالح مهدي، بل كانت دافعا مهما له لمواصلة تعليمه والحصول على الشـهادات العليـا وفعلا تقدم لدراسة الدبلوم العالي في الجامعة المستنصرية في تحقيـق المخطوطـات وتـم قبولـه واكمـل دراسـته فنال هـذه الشـهادة في المخطوطات وتحقيـق النصوص عـام ١٩٨٠[٦] . على ضوء حصوله على الشهادة هذه وبعد محاولات عدة وجهـوده مضنية اسـتطاع نقـل خدماته من وزارة الصحة إلى وزارة التعليم العالي والبحث العلمـي، مركز إحيـاء التراث العلمـي العربي الذي كان يرأسه آنذاك الأستاذ الدكتور ياسين خليـل عـام ١٩٨٢بوظيفـة مسـاعد باحث[٧] فكانت هذه الخطوة من اهم الخطوات في حياته حيث فتحت لـه نوافذ مواصلـة تعليمه العالي من أوسـع أبوابها ولا سـيما لم يكن في المركز من التدريسيين سوى رمزية محمد الأطرقجي باختصـاص تاريخ إسـلامي والأسـتاذ ماجد عبد الله الشـمس ماجستير آثار والست نجلاء قاسم عباس ماجستير شريعة، إستمر الدكتور صالـح مواظبا على عمله في مركز إحياء التراث العلمي العربي . حتى تهيأت له فرصة دراسة الماجسـتير في الجامعـة المسـتنصرية / كليـة الآداب / قسـم اللغة العربية، فحصل على هذه الشهادة في عام ١٩٨٧[٨] عن رسالته الموسومة



(الوسيلة إلى كشــف العقلية لمؤلفها علم الدين علي بن محمد الســخاوي (ت ٦٤٣هـ) دراسة وتحقيــق بــإشراف الأســتاذ الدكتــور احمــد نصيــف الجنابي[٩]، وعلى ضوء هذه الشــهادة تم تغيير لقبه الوظيفي من مســاعد باحث إلى مدرس مســاعد[١٠]، واســتمر ســعيه لتحقيق طموحــه الأكــبر في الحصــول عــلى الدكتوراه فــكان له ذلك بعــد قبوله كطالــب دكتوراه في الكليــة ذاتها فحصل عليهــا في عام ١٩٩٢[١١] عــن أطروحتــه الموســومة (عمــدة الحفاظ في تفســير اشرف الألفاظ) لمؤلفها شــهاب الدين احمــد بن يوســف المعروف بالســمين الحلبي ت / ٧٥٦هـ دراســة مــع تحقيق الجزء الأول وبــإشراف الأســتاذ الدكتــور احمــد نصيــف الجنابي أيضا، ونتيجة لذلك تم تغيير لقبه من مدرس مســاعد إلى مــدرس[١٢] في عام١٩٩٢، ولــم يتوقــف تحصيله العلمي عنــد هذا الحد، بل ختمه بدراســة الدكتوراه في معهد التاريخ العربــي للدراســات العليــا التابــع إلى اتحــاد المؤرخين العرب في جامعة الدول العربية فنال شــهادة الدكتــوراه في التاريخ الإســلامي عن أطروحته الموســومة (الحياة الفكرية في مملكة غرناطة الإســلامية للمدة ٦٣٥هـ - ٨٩٧ هـ/ ١٢٣٨م - ١٤٩٢م) بإشراف الأستاذ الدكتور حســين أمــين وكان ذلــك في عــام ١٩٩٥[١٣] . واســتمر جهــده العلمــي في التأليــف وكتابة البحوث حتى ترقى إلى مرتبة الأســتاذ المساعد في عــام ١٩٩٥[١٤] ثــم نال لقب الأســتاذية في عام ٢٠٠١ [١٥] .

●جهوده العلمية في إحياء التراث:

لقد تنوعت نشاطات وجهود الأستاذ الدكتور صالح مهدي العلميــة في إحياء التراث العلمي العربــي خلال مســيرته التعليمية ســواء أكان ذلــك بالمركز بعده احد التدريســيين فيه أو في الجامعات الأخرى ما بــين التأليف والتدريس والإشراف عــلى الرســائل والأطاريح الجامعية ومناقشــتها والخبرة العلميــة واللغوية فضلا عن كتابة البحوث التي شــارك فيها بالندوات والمؤتمرات العلمية المحليــة والعربية والدولية وإســهاماته كمحــاضر في منهــج تحقيــق المخطوطات للدورات التي تعقد لهذا الشــأن، ويمكن تفصيل ذلك كالآتي:

أولا: التدريس الجامعي

قام الدكتور صالح بتدريس طلبة الدراسات الأولية (البكالوريــوس) في كليات متعددة من الجامعات العراقية ولا سيما في محافظة بغداد، وكان التدريس شرطا من شروط الحصول على المخصصات الجامعية بإكمال النصاب .

ولمــا كان مركز إحياء الــتراث يفتقر إلى وجود دراسة أولية أو عليا، فيضطر التدريسيون فيه إلى الحصــول على عدد من الســاعات لتدريس مــادة معينة من اختصاصــه في كلية أو معهد تابع إلى جامعة بغداد أو غيرها لإكمال النصاب وبناء على ذلك فقد مارس التدريس في الكليات الآتية:-

١- كلية الآداب - جامعة بغداد - قســم اللغة العربية - علوم القران .

٢- كلية الآداب - الجامعة المستنصرية - قسم اللغة العربية - علوم القران والتفسير .

٣- كلية التربية - الجامعة المستنصرية - قسم التاريخ - عربية عامة[١٦] .

٤- كليــة المأمــون الجامعة - نقابــة المعلمين العراقية - كلية الآداب - قسم اللغة العربية:

أ- علوم القران .

ب- علوم الحديث الشريف .

ج - علم اللغة .



د – كتاب قديم .
هـ – منهج البحث للمرحلة الرابعة .

ثانيا: الإشراف على الرسائل والأطاريح الجامعية ومناقشتها

أشرف الدكتور صالح على خمس وثلاثين رسالة ماجستير . و على ثماني عشرة أطروحة دكتوراه .

وقد توزعت هذه الرسائل والأطاريح على كلية الآداب – جامعة بغداد ومعهد التاريخ العربي للدراسات العليا – اتحاد المؤرخين العرب .

وناقش خمساً وعشرين ومائة رسالة وأطروحة دكتوراه توزعت على كلية الآداب – جامعة بغداد، وكلية التربية – جامعة بغداد، وكلية الآداب – الجامعة المستنصرية، وكلية التربية – الجامعة المستنصرية، وكلية الآداب – الجامعة العراقية، وكلية التربية – جامعة واسط، وكلية التربية – جامعة القادسية، وكلية التربية – جامعة الكوفة، ومعهد التاريخ العربي للدراسات العليا – بغداد .

وتوزعت موضوعات هذه الرسائل والأطاريح على معظم العلوم والمعارف من اللغة العربية وآدابها، والتاريخ الإسلامي بفروعه المتعددة، والعلوم الشرعية: الفقه والحديث الشريف، والتفسير، والقراءات القرآنية، وتحقيق المخطوطات، وموضوعات التراث العربي الإسلامي(١٧).

ثالثا: الخبرة العلمية واللغوية:

اعتنى الدكتور صالح بتقويم الرسائل والاطاريح الجامعية من الناحية العلمية في موضوعات اللغة العربية والتاريخ الإسلامي وتحقيق المخطوطات والعلوم الإسلامية، وكانت معظم تقويماته لتلك الرسائل والاطاريح دقيقة وصائبة، بحيث لا يكتفي بالإشارة إلى الخطأ العلمي الوارد في الرسالة، بل يضع إلى جانبه الصواب مع ذكر المصدر أو المصادر، فلا يدع مجالا للطالب في الاعتراض على ذلك، ويبتعد دائما عن وجهات النظر أو الآراء الشخصية التي يكون فيها مجال واسعا للرد أو القبول .

وفي هذا كله لا يبخس الطالب حقه في الدرجة، بل يعد جهد الطالب مشكورا وان كان خطأ ولاسيما في تحقيق المخطوطات التي تتطلب الكثير من الصبر والمثابرة للوصول إلى النص الصحيح .

أما الخبرة اللغوية في الرسائل والاطاريح الجامعية وبذل الجهد الكبير في تصحيحها فشيٌ لا يصدقه ألا صاحبة الرسالة أو الأطروحة، فمتابعة الدكتور صالح صفحات الرسالة صفحة صفحة وسطرا سطرا يفوق الوصف والإعجاب لاصطياد الأخطاء النحوية واللغوية والطباعية، وفي كثير من الأحيان يعمد إلى حذف عبارات كاملة لركاكة الأسلوب أو لتشتت فكرة الطالب وتباعدها بين هذه الأسطر . وهو يعد هذا العمل نوعاً من الأمانة العلمية التي يحاسب الله سبحانه وتعالى على التفريط بها .

وفي الخبرة العلمية لبحوث الترقية للتدريسيين ولا سيما في مرتبة الأستاذية تفرض الأمانة العلمية نفسها في مراجعته مصادر البحث ومراجعته ولو بالحد الأدنى ثلاثة مصادر أو مراجع ليكون على علم ودراية تامّين في صحة النقل والوثوق من التدريسيين في عدم الاستناد الكامل إلى ما كتب أصحاب هذه المصادر ونسبة النقل عنها . وهو في كل الأحوال يأخذ وقتا طويلا و جهدا كبيرا، من أجل عدم الحاق الحيف أو الضرر بالطالب نتيجة تسرع الحكم.



وهـذه المراجعة للمصادر تفيد الخبير العلمي في التعـرف عـلى منهجية هذه الكتـب وكيفية معالجـة مفـردات الموضـوع، ليكـون الخبير مطمئنا إلى عدم تقليد التدريسـيين لهذا المنهج والاقتباس الشامل لمادة البحث .

رابعا: البحوث العلمية:

كتـب الدكتور صالـح مائة وخمسـة وثمانين بحثـا (١٨٥) في موضوعات شـتى من العلوم والمعـارف العربيـة الإسـلامية، وشـارك في معظـم النـدوات والمؤتمـرات التـي يعقدهـا مركز إحيـاء التراث العلمي العربي، فضلا عن كثير مـن المؤتمرات الدوليـة التي تعقد خارج العراق وتمثل نشـاطا ثقافيا واسعا لكثير من المؤسسات والمعاهد والمراكز والكليات في البلاد العربية والإسلامية، وهي على هذا النحو:

١- بحوث الندوات المتخصصة:

وهي تلـك النـدوات التي اختصـت في فن من فنون التراث العربي الإسلامي وعقدت في مركز إحيـاء الـتراث العلمي العربـي بجامعة بغداد في عصورها الزاهية وقد شـارك فيها الدكتور صالح ببحث، وهي:

١-نـدوة: الحسـبة في التراث العربـي - بغداد -١٩٨٧. وعنوان بحثه (من رجال الحسـبة في القرنين السابع والثامن الهجريين)[١٨].

٢-ندوة: (التربة والزراعة عند العرب) بغداد – ١٩٨٨ م. وعنوان بحثه (أبو القاسـم الغساني والتعريـف بكتابة – حديقـة الأزهار في ماهية العشب والعقار)[١٩].

٣-دور المـرأة العربيـة في الحركـة العلمية – بغـداد – ١٩٨٨م . وعنـوان بحثـه (أثر المرأة العراقيـة في الحركة العلمية في القرن السـابع الهجري).

٤-الطب والصيدلة في المغرب العربي – بغداد – ١٩٩٠م، وعنوان بحثه (أبدال الأدوية المفردة عند الطبيب العربي أبي القاسم الغساني)[٢٠].

٥-ابن النديـم البغدادي – بغـداد – ١٩٩٢م وعنـوان بحثة: الموازنة بين كتابي (الفهرسـت لابن النديم) و (أنباه الرواة للقفطي).

٦-الجواهـر والأحجـار الكريمـة – بغـداد – ١٩٩٣ م، وعنوان بحثه (سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار لزين الدين الشماع) .

٧-مصنفـو العلوم في الـتراث العربي – بغداد – ١٩٩٧م وقـد أجلت – وعنوان بحثه (طاش كبري زاده ومنهجه في تصنيف العلوم) .

٨-التربيـة في الـتراث العربـي – بالتعـاون مـع جامعـة بابـل – ٢٠٠٠م، وعنـوان بحثه (آداب المعلمـين والمتعلمين – مـن كتب التربية الإسلامية).

٩-الكتاب في التراث العربي – بغداد – ٢٠٠٨ م، وعنـوان بحثه (بالاشـتراك) (أخبار الكتب وأوصافها في كتاب الفهرست لإبن النديم).

١٠-الرحلة في طلب العلم – بغداد – ٢٠٠٨م، وعنوان بحثه (برنامج ابن رشيد الفهري لعلماء القاهرة والإسكندرية في رحلته الحجازية).

٢-بحوث الندوات القطرية:

اعتاد مركز إحياء التراث العلمي العربي على عقد ندوات موسعة تحت اسم (الندوة القطرية الأولى و الثانيـة ...لتاريخ العلوم عند العرب). وقد شـارك الدكتـور صالح في عـدد من هذه الندوات القطرية، وهي:

١-النـدوة القطرية الخامسـة لتاريـخ العلوم عند العرب – بغـداد – ١٩٨٩م وعنوان بحثه (تصنيف العلوم العربية وتعريفها عند شمس الدين ابن الإكفاني)[٢١].

٢-النـدوة القطرية السادسـة لتاريـخ العلوم



عند العرب – بغـداد – ١٩٩٠م وعنوان بحثه (منافع الجواهر والأحجار في آثار شمس الدين ابن الإكفاني).
٣-الندوة القطريـة الثامنة لتاريخ العلوم عند العـرب – بغـداد – ١٩٩٢م وعنـوان بحثـه: منافـع النباتـات الطبيـة في المعجـم اللغـوي (شمس العلوم لنشوان الحميري).
٤-النـدوة القطرية التاسـعة لتاريـخ العلوم عند العـرب – بغداد – ١٩٩٣م وعنوان بحثه (فوائـد النباتـات الطبية) في كتـاب (الكافي في البيزرة – للبدري).

٣-بحوث تواريخ المدن العراقية:

دأب مركـز إحيـاء الـتراث العلمـي العربـي عـلى إقامة ندوات علمية تتنـاول تواريخ المدن العراقيـة لمـا لهذه المـدن من تاريـخ عريق في الحضـارة الإنسـانية وبما أنجبت مـن علماء أجـلاء قدموا للامة العربية الإسـلامية خلاصة أفكارهـم ونتاجهـم العلمي في صفـوف العلم والمعرفـة فضـلا عـن التصـدر للتدريـس في المسـاجد والجوامع والمـدارس أحيانا، واصبح تقليدا علميا في المركز أن تقام في كل سنه ندوة علميـة أو اكثر عن مدينة عراقيـة أو اكثر من مدينة، يتناول الباحثـون في بحوثهم الجوانب المتعـددة لمناحـي الحياة في تلـك المدينة فضلا عن التعريـف بأعلامها الأفذاذ وذكر مؤلفاتهم ونشـاطهم العلمـي . ولمدينـة بغـداد عاصمة العراق حرسـها اللـه تعالى ميـزة خاصة على سـائر المدن العراقية، فقد جـرى الاحتفاء بها في (يـوم بغـداد) تحـت عنوان (بغـداد مدينة السـلام) وقـد عقدت لهـا عدة ندوات شـارك فيها عدد كبـير من الباحثين والتدريسـيين في الجامعات العراقية والعربية .

وكان الدكتور صالح من اسهم بكتابة البحوث عن (بغداد مدينة السـلام) في جوانب متعددة من إشراقات هذه المدنية التي كانت تسمى (أم الدنيا) وفي أدناه:

أسماء هذه البحوث وتواريخ إلقائها:

١-بغداد مدينة السـلام – نيسـان – ١٩٩٠م وعنـوان بحثـه (أعيـان القـراء البغداديين في القـرن الرابـع الهجـري واثرهـم في الحركـة الفكرية)[٢٢].
٢-بغداد مدينة السـلام – نيسـان – ١٩٩٢م، وعنـوان بحثه (تاريخ بغـداد لدين النجار من مصادر سير أعلام النبلاء للذهبي) .
٣-بغداد مدينة السلام – ٢٥ نيسان ١٩٩٣م، وعنـوان بحثه: روايات ابن السـاعي البغدادي في كتاب (مجمع الآداب في معجم الألقاب) لابن الغوطي .
٤-بغـداد مدينة السـلام – نيسـان ١٩٩٤م، وعنـوان بحثـه: المـؤرخ البغـدادي احمـد بن صالح بن شافع الجيلي واهمية كتابه (التاريخ في الحياة الفكرية).
٥-بغـداد مدينة السلام – نيسـان ١٩٩٥م، وعنـوان بحثـه (تقي الديـن محمد بـن رافع السلامي من مؤرخي بغداد).
٦-بغداد مدينة السلام – ٢٣ نيسان ١٩٩٦م، وعنوان بحثه (مشـيخة ابن الجوزي دليل على مكانته الثقافية).
٧-بغداد مدينة السلام ٨ تشرين ثان ١٩٩٧م، وعنوان بحثه(مصادر ابن الصابوني) في كتابه (مكملة إكمال الإكمال).
٨-بغـداد مدينة السـلام – ٩ تشريـن ثاني – ١٩٩٨م، وعنوان بحثـه (المصنفات البغدادية في علـوم القـران وأثرهـا في الحيـاة الفكريـة بالأندلس).
٩-بغـداد مدينـة السـلام – ٣ تشريـن ثانـي



٢٠٠٠م، وعنوان بحثه (وصف بغداد في لرحلة جيمس ويند وستفليد).
١٠-بغداد مدينة السلام – تشرين ثاني ٢٠٠٢م، وعنوان بحثه (مدارس بغداد ومدرسوها) في وصف صاحب (الحوادث الجامعة).
١١-بغداد مدينة السلام – كانون الأول ٢٠١١م وعنوان بحثه (الإجازات العلمية عند علماء بغداد في القرن السادس الهجري – المشيخة البغدادية أنموذجا).
١٢-الموصل: ندوة (دور الموصل في التراث العربي)- ١٩٩٨م وعنوان بحثه (ابن باطيش الموصلي) وكتابة (التمييز والفصل بين المتفق في الخط والنقط والشكل)[٢٣].
١٣-تكريت: ندوة (تكريت في التراث العربي) ١٩٩١م وعنوان بحثه (آل الكويك أسرة عربية تكريتية أسهمت في الحضارة العربية الإسلامية في مصر).
١٤-واسط: ندوة (واسط ودورها في التراث العربي)١٩٩٣م وعنوان بحثه (عز الدين الفاروتي الواسطي (ت ٦٩٤هـ) شيخ القراء وعلامة الوقت .
١٥-الكوفة: ندوة (الكوفة في التراث العربي) ١٩٩٤م، وعنوان بحثه (روايات الإمام محمد بن علي العلوي الكوفي،ت٤٤٥هـ).
١٦-الحلة: ندوة (دور الحلة في التراث) ١٩٩٥م، وعنوان بحثه (نخبة من علماء الحلة في القرن السابع الهجري).
١٧-بعقوبة: ندوة (ديالى ودورها في التراث العربي)١٩٩٦م، وعنوان بحثة (شلة من علماء بعقوبة في القرن السابع الهجري).
١٨-هيت: ندوة (هيت في التراث العربي) ١٩٩٨م،وعنوان بحثه (هيت ونشاطها الثقافي)[٢٤].
١٩-حديثة: ندوة (حديثة وألوس في التراث) ١٩٩٩م، وعنوان بحثه (آل وضبان من البيوتات العلمية في حديثة).
٢٠-سامراء: ندوة(سامراء في التراث)٢٠٠٠م، وعنوان بحثه (روايات أبي احمد عبد الله بن الحسين بن حسنون السامرائي المقرئ ، ت ٣٨٦هـ).

٤-بحوث التاريخ الأندلسي:

١-الندوة العلمية الثالثة للأعشاب والنباتات الطبية – ١٩٩٣، وعنوان بحثة: النباتات الطبية في كتاب «الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام» للطبيب الأندلسي محمد بن علي بن فرج الفهري المعروف بالشفرة ت٧٦١هـ .
٢-ندوة: الجغرافية في التراث العربي – ١٩٩٦م، وعنوان بحثه (الرحالة الأندلسيون في مملكة غرناطة الأندلسية).
٣-ندوة: تراث الأندلس - ١٩٩٦م، وعنوان بحثه (صفحة مشرقة من تراث الأندلسيين في علوم الحديث الشريف في عصر مملكة غرناطة).
٤-ندوة: الشعر التعليمي – ١٩٩٦م، وعنوان بحثه (جهود علماء مملكة غرناطة الأندلسية في الشعر التعليمي).
٥-ندوة: تراث الأندلس – ١٩٩٦م،وعنوان بحثه (أبو الحسن الرعيني ومنهجه التاريخي في برنامج شيوخه).
٦-ندوة: علماء الأندلس – ١٩٩٧م، وعنوان بحثه (أبو عبد الله المالقي محمد بن علي بن خضر الغساني (ت٦٣٦ه) واثره في الدراسات التاريخية).
٧-وعنوان بحثه الثاني: (جهود علماء مملكة



غرناطة في القراءات القرآنية).
٨-ندوة: الإدارة في التراث العربي الإسلامي – ١٩٩٨م، وعنوان بحثه(النظام القضائي في مملكة غرناطة الأندلسية).
٩-ندوة: التجارة في التراث العربي – ١٩٩٨م، وعنوان بحثه (تجارة الأندلس الخارجية في عصر مملكة غرناطة).
١٠- ندوة: التجارة في التراث – ١٩٩٩م، وعنوان بحثه (مشاهير علماء الفلك والرياضيات في مملكة غرناطة).
١١- ندوة: دور الأندلس في تطوير الحضارة ونقلها – ٢٠٠٠م، وعنوان بحثه (مشاهير علماء الفلك والرياضيات في مملكة غرناطة).
١٢- ندوة: التجارة والحضارة -٢٠٠١م، وعنوان بحثه (أدب التجارة في كتاب « بدائع السلك في طبائع الملك» للشيخ محمد بن علي الغرناطي المعروف بابن الأزرق ت ٨٩٦ هـ).
١٣-ندوة: دور علماء الأندلس في الحياة الفكرية – ٢٠٠٥م، وعنوان البحث الأول تصنيف الأراضي الزراعية في كتاب (المقنع في الفلاحة) لإبن الحجاج الاشبيلي الاندلسي .
١٤- وعنوان البحث الثاني: أبو القاسم التجيجي ورحلته المسماة (مستفاد الرحلة والاغتراب) .

٥-بحوث المؤتمرات العلمية العراقية:

١-المؤتمر العلمي السادس لكلية المأمون الجامعة -٢٠٠٠م، وعنوان بحثه (أبو حنيفة الدينوري في كتابه (النبات)).
٢-المؤتمر العلمي الأول لمركز إحياء التراث العلمي العربي -٢٠٠٢م، وعنوان بحثة (الموازنة بين كتابي: المغني في البيطرة، والأقوال الصحافية في الأعمال الشافية).
٣-المؤتمر العلمي السنوي الثالث لكلية التربية الأساسية – بجامعة بابل في ٢٠٠٨م وعنوان بحثه (الإجازات العلمية عند علماء الحلة).
٤-المؤتمر العلمي السادس لكلية الدراسات التاريخية – جامعة البصرة – ٢٠٠٨م وعنوان بحثه (عجيبة بنت محمد البغدادية الباقدارية مسندة العراق (٥٥٤ هـ – ٦٤٧ هـ)).
٥-المؤتمر العلمي الثالث لكلية التربية الأساسية – جامعة بابل – ٢٠٠٩م وعنوان بحثه (شخصية العلامة الحلي الأديبة واللغوية من أسانيد موسوعاته ومروياته عن شيوخه).
٦-المؤتمر العلمي للسيد هبة الدين الشهرستاني – جامعة الكوفة – ٢٠١٠م وعنوان بحثه(هبة الدين ألشهرستاني ومنهجه في كتابة الأنساب – ذرى المعاني انموذجا).
٧-المؤتمر السنوي الأول للعتبة الكاظمية المقدسة – ٢٠١٠م، وعنوان بحثه (رعاية الإصحاب عند الأمام موسى بن جعفر عليهما السلام).
٨-المؤتمر العلمي الدولي عن شخصية الرسول الكريم (صل الله عليه واله وسلم) جامعة الكوفة – ١٧-١٨/٢/٢٠١١م. وعنوان بحثه (تسامح رسول الله صل الله عليه واله وسلم مع أعدائه وصبره على أذاهم).
٩-المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية التربية الأساسية – جامعة الكوفة – ٢٧-٢٨/٣/٢٠١١م، وعنوان بحثه (نهج البلاغة في أسانيد العلماء الرواة).
١٠-المؤتمر السنوي الثاني للعتبة الكاظمية المقدسة – ٢٠١١م. وعنوان بحثه (الأثر الفكري والعقائدي للإمام محمد بن على الجواد عليهما السلام في المجتمع الإسلامي).
١١-المؤتمر العلمي الثالث لكلية التربية للعلم الإنسانية – جامعة بابل – ٢٠١٢م وعنوان



بحثه (فقيه الحلة نجم الدين أبو القاسم المحقق الحلي سيرته وكتابه وشرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام).
١٢-المؤتمر السنوي الثاني لسلمان المحمدي ملتقى الأديان - ٢٠١٣م. وعنوان بحثه (بالاشتراك) (مرويات سلمان المحمدي في كتب التفسير).
١٣-المؤتمر الدولي الرابع للعتبة الكاظمية المقدسة - ٢٠١٣م وعنوان بحثه (فرض الإقامة الجبرية على الإمام علي الهادي عليه السلام في سامراء من مظاهر سياسة المتوكل ضد العلويين).
١٤-المؤتمر الدولي الأول للمزارات الشيعية المقدسة- ٢٠١٤م، وعنوان بحثه (بالاشتراك) (جمال الدين ابن طاووس الحسني:سيرته، مروياته، إجازاته العلمية لتلاميذه).
١٥-المؤتمر العلمي العالمي الخامس بين الحوزة والجامعة - النجف الأشرف ٢٠١٥م، وعنوان بحثه(بالاشتراك) (الجهاد بين المفهوم القرآني الأصيل والتأويل التكفيري الدخيل).
١٦-مؤتمر تاريخ العلوم عند العرب - مركز إحياء التراث العلمي العربي - ٢٠١٦م، وعنوان بحثه(بالاشتراك) (علم الحساب عند العرب: نشأته، أقسامه، التأليف فيه).
١٧-المؤتمر العلمي الثالث - الصيدلة والكيمياء في التراث - مركز إحياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد - ٢٠١٧م، وعنوان بحثه (الفوائد العلاجية للاطياب والرياحين).

٦-بحوث المؤتمرات الدولية:

١-الندوة العالمية السابعة لتاريخ العلوم عند العرب - الأمارات العربية المتحدة - مدينة العين - ٢٠٠٠م. وعنوان بحثه (أدوية الأمراض الجلدية في كتاب «حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار»).
٢-الندوة العالمية الرابعة لجمعية الآثاريين العرب - القاهرة - ٢٠٠١م وعنوان بحثه (كتب الرحلات واثرها في التبادل الحضاري بين مملكة غرناطة الأندلسية والمشرق العربي).
٣-المؤتمر الدولي السادس لتاريخ بلاد الشام - جامعة دمشق ٢٠٠١م وعنوان بحثه (مؤرخ الشام أبو شامة المنقدسي ومنهجه في كتابه (الذيل على الروضتين)).
٤-الملتقى المغربي السابع للرياضيات - مراكش - ٢٠٠٢م[٢٥]. وعنوان بحثه (الرياضيات في كتب تصنيف العلوم عند العرب).
٥-المؤتمر والعشرون لمعهد التراث العربي - جامعة حلب - ٢٠٠٢م، وعنوان بحثه (وصف نباتات دمشق في كتاب المراكب الإسلامية في الممالك الشامية - لابن كنان الصالحي).
٦-المؤتمر العلمي لمدينة زبيد - جامعة الحديدة- اليمن -٢٠٠٢م وعنوان بحثه (آل الزبيدي اليمنيون وآثارهم في الحياة الفكرية ببغداد).
٧-المؤتمر العلمي الأول - القاضي عبد الوهاب البغدادي - الإمارات العربية المتحدة - دبي - ٢٠٠٣م، وعنوان بحثه (الحياة العلمية ببغداد واثرها في القاضي عبد الوهاب البغدادي ونتاجه الفكري).
٨-الندوة العالمية للمخطوطات العربية - مكتبة الإسكندرية - ٢٠٠٥م، وعنوان بحثه (الفوائد المنتقاة من طباق سماع المخطوطات).
٩-ندوة النخيل في التراث العربي - معهد التراث العلمي العربي - جامعة حلب -٢٠٠٦م، وعنوان بحثه (النخيل في المعجمات



اللغوية).
١٠-النـدوة الدوليـة حـول (النتـاج الفكري والعلمي لمدينة حلب – ٢٠٠٦م ، وعنوان بحثه (جهود السمين الحلبي في كتابه عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ).
١١-ندوة الحركة العلمية والأدبية والفكرية في حلب – ٢٠٠٦م، وعنـوان بحثه (جمال الدين القفطـي ومنهجـه التاريخي في كتابـه (أنباه الرواة على أنباه النحاة)).
١٢-المؤتمر السادس للجمعية الأردنية لتاريخ العلـوم – عمـان – ٢٠٠٦م، وعنـوان بحثـه (التعريف بعلماء المسـلمين وأسامي مؤلفاتهم في التنجيم).
١٣-المؤتمـر العلمـي لجامعة دمشـق ومعهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب – دمشـق – ٢٠٠٨م، وعنـوان بحثـه (الجهـد العلمـي لأطبـاء العرب والمسـلمين في دراسـة المؤلفات الطبية اليونانية).
١٤-الندوة الدولية حول بغداد مدينة السـلام في الحضـارة الإسـلامية – جامعـة مرمـرة – تركيا- إسطنبول – ٢٠٠٨م[٢٦]، وعنوان بحثه (اتجاهـات التأليـف اللغوي ببغـداد في القرن الرابع الهجري).
١٥-مؤتمر العراق وايران – التفاعل الحضاري والتراث المشـترك – طهران -٢٠١١م، وعنوان بحثـه (بالاشـتراك) (العلاقـات الثقافيـة بين ايـران والعـراق في القرن الخامـس الهجري- المنتخب من السـياق لتاريخ نيسـابور – لعبد الفاخر الفارسي انموذجا»).
١٦-المؤتمـر العالمي الأول للتراث المشـترك بين ايران والعراق – قم المقدسـة ٢٠١٥م، وعنوان بحثه (الصلات الثقافيـة بين ايران والعراق – «الشيخ أبو إسحاق الشيرازي انموذجا»).
١٧-المؤتمر الثاني للتراث العربي الإسـلامي في جامعة قناة السـويس – القاهـرة -٢٠١٨م، وعنوان بحثه (شرف الدين الدمياطي ورحلته العلمية إلى بغداد).

خامساً: الكتب المؤلفة:

ألـف الدكتـور صالـح مجموعة مـن الكتب في موضوعـات متعـددة مـن الـتراث العربي الإسـلامي من علـوم الشريعة واللغـة العربية والتاريخ الإسلامي وجغرافية المدن، والقراءات القرآنيـة والخـط العربـي والفكـر التربـوي الإسـلامي والأحجار الكريمة والطب والنباتات الطبيـة والعلـوم العربيـة والتصنيـف فيهـا والرحلات العلمية ، بعضها كان في الأصل بحثا في ندوة من الندوات، أو في مؤتمر من المؤتمرات العلميـة أضـاف إليـه وزاد فيه سـنذكر أولا الكتب المطبوعة التي حصلنا على نسـخة منها ثـم العناوين الأخـرى التي هـي مطبوعة ولم نحصل على نسـخه منهـا أو مخطوطة أو هي قيد الطبع .

أولا: الكتب المطبوعة:

١-الوفيـات – لتقـي الديـن محمد بـن رافع السلمي (ت ٧٧٤هـ)[٢٧] .
٢-معرفة القراء الكبار على الإعصار والأمصار – لشـمس الدين محمـد بن احمد بـن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)[٢٨].
٣-تاريخ الإسـلام ووفيات المشاهير والأعلام – لشمس الدين الذهبي دراسة وتحقيق [٢٩].
٤-الذيـل على العبر في خبر مَن عبر- لولي الدين احمد بـن عبد الرحيـم من الحسـين العراقي (ت٨٢٦هـ)[٣٠] دراسة وتحقيق.
٥-غنيـة اللبيـب عند غيبة الطبيب – لشـمس الديـن محمد بن إبراهيم بن سـاعد الأنصاري المعروف بابن الاكفاني (ت٧٤٩ هـ)[٣١].



٦-ابن رافع السلامي وكتابه (الوفيات)[٣٢].
٧-برهان الدين الجعبري وفهرسة مصنفاته – دراسة وتحقيق – (الهبات الهنيات في المصنفات الجعبريات) دراسة وتحقيق[٣٣].
٨-الوسيلة الى كشف العقيلة (في رسم المصحف الشريف) لعلم الدين على بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ)[٣٤] دراسة وتحقيق .
٩-الحياة الفكرية في مملكة غرناطة الأندلسية[٣٥].
١٠-ثلاث رسائل محققة في القران الكريم [٣٦].

ثانيا: الكتب والرسائل المحققة وغير المطبوعة:

تنوعت الكتب والرسائل الخطية التي حققها الدكتور صالح فشملت معظم التراث العربي الإسلامي من علوم الشريعة واللغة العربية والتاريخ الإسلامي، وجغرافية المدن، والقراءات القرآنية، والخط العربي، الطبية، والعلوم العربية والتصنيف فيها، والرحلات العلمية ......

وقد رتبتها على وفق حروف المعجم، وهي:
١-خمس صفحات خطية في النباتات الطبية الأندلسية – ٢٠٠٨م .
٢-الدر النظيم في أحوال العلوم والتعليم – لابن ساعد السنجاري – ١٩٨٩م.
٣-الذرية الطاهرة .
٤-ذيل سير أعلام النبلاء- لشمس الدين الذهبي .
٥-رسالة في أحكام المد والقصر – لزين الدين الهيثمي – ٢٠٠١م .
٦-رسالة في صناعة خطابات الشعر – لمؤلف غير معروف – ١٩٩٣م.
٧-روايات الإمام محمد بن علي العلوي الكوفي (ت ٤٤٥هـ) -١٩٩٤م.
٨-السكن وحفظ الصحة باختيار المساكن -١٩٩٧م .
٩-السيرة النبوية – لشرف الدين الدمياطي .
١٠-العرائس المجلوة بذكر أولياء قوة – للزبيدي – ١٩٨٦م.
١١-عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ – للسمين الحلبي – ١٩٩٢م.
١٢-قطر في كتب التراث والأثر – لمؤلف غير معروف – ١٩٩٦م.
١٣-كيفية أداء الضاد المعجمة – للمرعشي – ٢٠٠١م.
١٤-اللؤلؤ المنظوم في معرفة حدود العلوم – للسيوطي – ١٩٩٤م.
١٥-مرشد القارىء إلى تحقيق معالم المقارىء- لابن الطحان – ٢٠١١م.
١٦-المشيخة البغدادية – لرشيد الدين احمد بن المفرج – ١٩٨٩م.
١٧-معجم شيوخ الذهبي – محمد بن احمد بن عثمان – ١٩٨٨م.
١٨-ملخص سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار – للشماع الحلبي – ١٩٩٣م.
١٩-منتخب المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار – للسلامي – ١٩٨٣م.
٢٠-منتخب معجم شيوخ ابن رافع السلامي -١٩٨٣م.
٢١-منهاج الإصابة في معرفة الخطوط والآت الكتابة – ١٩٨٦م.
٢٢-منهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق – للسخاوي – ١٩٨٨م.
٢٣-نزهة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين – لابن الفاصح – ٢٠٠٢م .
٢٤-نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولاده وأسلافه – الدمياطي- ١٩٨٧م.

٢٥-الهبات المعينـات في المصنفات الجعبريات – ١٩٨٤م.
٢٦-الوسيلة إلى كشف العقيلة – للسخاوي – ١٩٨٧م.
٢٧-الوفيـات – لتقـي الدين محمـد بن رافع السلامي – ١٩٨٢م.
٢٨-محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، سيرته وشجاعته، بغداد ١٩٧٧م.
٢٩-الحافـظ عبـد الغنـي المقـدسي، سـيرته، ومؤلفاته – بغداد – ١٩٨٤م .
٣٠-ولي الدين العراقي ومنهجه في كتابه (الذيل على العبر في خبر من عبر) – بغداد –١٩٩٠ .
٣١-ولاة قطر والبحرين في العصر الراشدي – بغداد – ١٩٩٦م .
٣٢-عـز الديـن الفاروتي الواسـطي سـيرته ومؤلفاته – بغداد – ١٩٩٧م .
٣٣-الحسـين بـن المبـارك الزبيـدي وروايته الصحيح البخاري في بلاد الشام – ٢٠٠٥م.
٣٤-ابـن مكتـوم القيـسي ومنهجه في رسـاله (ذيل تراجم القراء الذهبي) بغداد – ٢٠٠٧ م .

سادسـا: محـاضرات في منهـج تحقيـق المخطوطات:

كان لمركز إحياء التراث العلمي العربي قصب السـبق في إقامـة دورات تدريبيـة في تحقيـق المخطوطات إنضم اليها طلبة الدراسات العليا في الجامعات العراقية ولا سيما في بغداد، وطلبة الدراسـات الأولية في الكليات، ولا سيما أقسام اللغـة العربيـة والشريعة والتاريخ، واسـتمر المركز في عقد هذه الدورات التدريبية إلى اليوم بحيث زادت عـلى دورة، حاضر فيها عدد كبير من الأسـاتذة والمحققين على مدى اسبوعين ثم شـهر ثم شهرين فاكثر . وكان الدكتور صالح واحدا من أولئك الاسـاتذة الذين يحاضرون في هذه الدورات[٣٧].

ومـن هـذه المحـاضرات وغيرهـا كانـت هذه الحصيلة من النشـاط العلمي في منهج تحقيق المخطوطات وهي:

١-ضرورة التعليـق عـلى النـص المحقـق – ١٩٩١م.
٢-الفهارس العلمية للمخطوط – ١٩٩٨م.
٣-المدخـل الى تحقيـق المخطوطـات العربيـة – محـاضرة على طلبة اقسـام اللغـة العربية والتاريخ في كلية المأمون الجامعة – ١٩٩٩م.
٤-الفوائد المنتقاة من طباق سماع المخطوطات – نـدوة المخطوطات في مكتبة الاسـكندرية – مصر – ٢٠٠٥م.
٥-فهرسـة المخطـوط قبـل التحقيـق وبعده – نـدوة (المخطوطـات العربية وعلـم الحفظ والوثائق) بيت الحكمة – بغداد- ٢٠١٢م.
٦-تحقيـق النـص: تخريجاتـه، وهوامشـه، نظرة منهجية- محاضرة على طلبة الدراسات العليا في كلية الاداب – الجامعة المستنصرية – ٢٠١٤م.
٧- خطـوات تحقيق النـص التأريخي – كلية الاداب – الجامعـة المسـتنصرية – طلبـة الدراسات العليا – ٢٠١٥م.
٨- أهميـة مراجعـة مصـادر المخطـوط عند تحقيقه – المؤتمـر الدولي الثاني للمخطوطات في العتبة العباسية المقدسة – ٢٠١٥م.
٩- تحقيـق المخطوطـات التاريخية والحديثة – دورة المخطوطـات في مركـز احيـاء التراث العلمي العربي – ٢٠١٦/٣/٢٠.
١٠- خطـورة تحقيـق النسـخة الفريـدة المضطربة الاوراق – سير اعلام النبلاء انموذجا – مركـز احيـاء الـتراث العلمـي العربـي – ٢٠١٦/٤/٢٧.



١١- جهـود التدريسـيين بجامعـة بغـداد في تحقيـق النصـوص التراثيـة – مركـز احياء التراث العلمي العربي – ١/٣/٢٠١٧م.
١٢- منهـج تحقيـق مخطوطـات الحديـث النبـوي الشريـف والفقه الاسـلامي – الدورة الخامسـة عشرة للمخطوطـات في مركز احياء التراث العلمي العربي – ١٠/٤/٢٠١٧.
١٣- عنايـة العراقيـين بالمخطـوط العربـي الاسلامي – كلية الاداب – الجامعة المستنصرية – وحدة المخطوطات – ٢٧/١١/٢٠١٧.

سـابعا: المدرسـة العراقيـة في تحقيـق المخطوطات:

بـدأت حركة تحقيق المخطوطـات في العراق في اواخـر القرن التاسـع عشر وبدايـة القرن العشريـن، ثم نشـطت هذه الحركة واتسـعت وازدهرت وكثر عدد المحققين العراقيين الذين مثلوا الرعيل الاول لحركة تحقيق المخطوطات وهم: الدكتور مصطفى جواد والدكتور محمد بهجـت الاثري والدكتور حسـين علي محفوظ والدكتور جميل سـعيد والأب انسـتاس ماري الكرمـلي، وعبـاس العـزاوي والسـيد محمـد صـادق بحـر العلوم والسـيد محمـد صادق الخرسـان، والسـيد عبد المجيد الملا، والسـيد محمـد الهاشـمي، والشـيخ محمد حسـن ال ياسين وغيرهم . وقد بدأت ملامح هذه المدرسة تـبرز في اعمـال هـؤلاء الـرواد وتتضح شـيئا فشـيئا، وقد سـاعدت الكليـات العراقية التي تخرج اعدادا كبيرة من الطلبة سـنويا على رفد حركـة التحقيق بهـولاء الشـباب الذين احيوا التراث واخلصـوا له، فاصبح الاسـتاذ يدرس الطالب والطالب يتبنى فكرة الاسـتاذ ورغبته في تحقيق المخطوطات حتى اصبحت عنوانات الرسائل والاطاريح الجامعية مرصعة باسماء مؤلفات السـلف الصالح مـن علمائنا الاجلاء، وزاد في اتسـاع هـذه الحركة ظهـور المطابع الحديثة وانتشارها في المحافظات العراقية، مما سـاعد على اقتناء الكتب المحققه ورواجها على المثقفـين، ونشر الاعلانـات في الصحف تعرف المواطنين بصدور الكتاب الفلاني المحقق.....

هذا كله سـاعد على خلـق وعي لدى المحققين في الحفـاظ عـلى مـا تعارفوا عليـه من اصول التحقيق وسـماته التي تميزهم من غيرهم من محققـي البـلاد العربيه الاسـلامية و فاصبح الالتزام بها يرسـخ ملامح هذه المدرسة، وشاء اللـه تعـالى ان تكون كذلـك .... ومن سـمات هذه المدرسـة العراقية في تحقيق المخطوطات ماتواطأ المحققون على اقراره من ضوابط على النحو الاتي:

١-ضبط النـص، وتحريـر ألفاظـه، وتقويم أوده، بإزالـة اللبس عن الألفـاظ التي تحتمل الخطـأ بتقييدهـا بالحـروف أو الحـركات . وكتابـة النـص كتابه حديثة، ووضـع النقاط والفواصـل والأقـواس وعلامـات الاسـتفهام والتعجـب ... وكل مـا من شـأنه خدمة النص ليسهل على القارىء فهمه .

٢-تثبيت مصادر التخريج ومراجعته حسـب التسلسـل الزمني الأقـدم فالأقـدم ويجب أن تكـون المصادر قريبـة من النـص زمانا، فلا يعقـل أن النص يتحـدث عن معن بـن زائدة وحاتم الطائـي و المثنى بن حارثـة، والمحقق يعـرف بهم مـن شـذرات الذهب لابـن عماد الحنبـلي (ت ١٠٨٩هـــ) أو من كتـاب الأعلام للزركلي (ت ١٩٧٦هــ) .

٣-تخريج الشعر يجب أن يكون من الدواوين الشعرية المطبوعة محققة كانت أم مجموعة، و الإشارة إلى الخلاف في الرواية إن وجد، و ليس



بالمحقق حاجة إلى حشد عدد من المصادر التي وردت فيها الأبيات الشعرية ما دامت موجودة في الديوان .

٤-يلجأ بعض المحققين الى التعريف بالأعلام المشهورة بمصادر كثيرة و يتوسع في هذا التعريف فيتجاوز صفحة و ربما صفحتين في علم له حيز واسع في التراث من قبل: أعيان الصحابة أو القضاة المشهورين أو الخلفاء و الملوك و السلاطين الذين طفقت شهرتهم آفاق الدنيا، وفي الوقت نفسه يهمل الأعلام المغمورين الذين يتلهف القارىء إلى معرفتهم و الوقوف عند أخبارهم، لصعوبة العثور على تراجمهم .

٥-تخريج النصوص يجب أن يكون من المصادر المعنية بالنص والاعتماد عليها دون الرجوع إلى المصادر العامة، فالأمثال يرجع المحقق إلى كتب الأمثال لتخريجها، و القراءات القرآنية إلى كتب القراءات السبع أو العشر وهي كثيرة، وأن الرجوع إلى كتب التفسير لتخريج القراءات المتواترة لا يعد صحيحاً مع وجود كتب القراءات، وكذلك الحال في المصطلحات الطبية و أسماء الأمراض يجب الرجوع إلى كتب الطب المعنية بهذا الشأن، وليس صحيحاً الرجوع إلى معجمات اللغة لكشف معنى تلك المصطلحات . وهذا يصلح في كل علم و فن بالرجوع إلى مصادره المعنية به .

٦-تراجم الأعلام يجب الرجوع فيها إلى كتب التراجم المتخصصة، فالقراء يرجع في تخريج تراجمهم من كتب: معرفة القراء الكبار للذهبي، وغاية النهاية لابن الجزري، وتراجم النحاة إلى الكتب المعنية بتراجمهم مثل: مراتب النحويين، وأنباه الرواة على أنباه النحاة، وبغية الوعاة، وغيرها، أما أعلام المذاهب الإسلامية مثل: الحنفية و الشافعية و المالكية و الحنابلة و الإمامية و الزيدية و الإسماعيلية والإباضية فيجب الرجوع إلى كتب طبقات كل مذهب و تخريج أعلام ذلك المذهب من تلك الكتب .

٧-يجب أن يتحلى المحقق بالأمانة العلمية و أن يكون صادقاً في تعامله مع النص و المؤلف، ولا يتجاوز على حرمات المؤلف، وان التلاعب بالنص حذفا أو اختصاراً أو تقديماً أو تأخيراً، أو إبدال كلمة مكان أخرى ... عمل شائن مخالف للأمانة و الذوق السليم، نعم يحق للمحقق تصحيح الآيات القرآنية اذا وردت في النص مخالفة للقرآن الكريم، و لم تكن قراءة شاذة جاء بها المؤلف شاهداً على مسألة لغوية.

ويقول الدكتور صالح أن هذه الخطوات قد التزمت بها جميعا في كل كتاب او رسالة حققتها، وأصبحت سمة بارزة في جميع ما حققت .

●الهوامش

(١)حسب هوية الاحوال المدنية الصادرة عن دائرة الاحوال المدنية المرقمة ٠٠٤٥٦٠٤١ والمؤرخ في ٢٠٠٧/١/٧ والصادرة عن دائرة الاحوال المدنية في الدغارة .

(٢)نقلا عن الدكتور صالح في مقابلة شخصية معه بتاريخ ٢٠١٩/٣/٥ .

(٣)بموجب الامر الاداري المرقم ٣٤٥٣ في ١٩٦٤/٨/٦ والصادر عن وزارة الصحة .

(٤)بموجب الامر الاداري المرقم ١١٢٥ في ١٩٦٥/٩/٥ والصادر عن وزارة الصحة .

(٥)كتاب عمادة كلية الآداب/ جامعة بغداد، المرقم ١٠٥١٥ والمؤرخ في ١٩٧٧/٧/٢.

(٦)الامر الجامعي الصادر عن الجامعة المستنصرية والمرقم ٣٨٥٦٤/٨/٣ والمؤرخ في ١٩٨١/١٢/٢٤.

(٧)الامر الجامعي الصادر من جامعة بغداد



والمرقم٢٢٦٥٣ والمؤرخ في٢٢/١٢/١٩٨٢.
(٨)بموجب الامر الجامعي / الصادر عن الجامعة المستنصرية /كلية الاداب المرقم ٠٧٨٠ والمؤرخ في ٦/٤/١٩٨٧.
(٩)عباس، صالح مهدي، مخطوط رساله الماجستير التي قدمت الى كلية الاداب / الجامعة المستنصرية، عام ١٩٨٧.
(١٠)بموجب الامر الجامعي الصادر عن جامعة بغداد المرقم ٦٢٢٣ والمؤرخ في ٢٧/٤/١٩٨٧.
(١١)الامر الجامعي الصادر عن رئاسة الجامعة المستنصرية/قسم الشؤون العلمية والدراسات العليا والمرقم ٣١٩٧ والمؤرخ في ١١/٤/١٩٩٢.
(١٢)عباس، صالح مهدي، مخطوط اطروحة الدكتوراه، التي قدمت الي كلية الاداب / الجامعة المستنصرية، عام ١٩٩٢، بموجب الامر الاداري المرقم ٢٦١ في ١٦/٤/١٩٩٢.
(١٣)عباس، صالح، مخطوط اطروحة الدكتوراه . التي قدمت الى معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، عام ١٩٩٥.
(١٤)بموجب الامر الجامعي الصادر من رئاسة جامعة بغداد، المرقم ٩٣٣١ والمؤرخ في ٢/٧/١٩٩٥.
(١٥)بموجب الامر الجامعي الصادر عن رئاسة جامعة بغداد والمرقم ٤١٧٩ والمؤرخ في ١٧/١١/٢٠٠٢ .
(١٦)ينظر: الاوامر الادارية الصادرة بتكليفه بالتدريس في كلية التربية والمرقمة ٢٢٨١ في ٦/٩/١٩٩٢، وكذلك ٦١٥ في ١/٩/١٩٩٢.
(١٧)مقابلة شخصية مع الدكتور صالح بتاريخ ١/٩/١٩٩٢.
(١٨)ينظر: كتاب الحسبة في التراث من اصدارات مركز احياء التراث العلمي العربي في جامعة بغداد /١٩٧٨ ص١٨٥ – ٢١٥ .
(١٩)ينظر: كتاب التربة والزراعة عند العرب، من اصدارات مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، ١٩٨٨، ص ١٨٧-٣٠٢ .
(٢٠)ينظر: كتاب الطب والصيدلية عند العرب، من اصدارات مركز احياء التراث العلمي العربي في جامعة بغداد، ١٩٩٠،ص١٠٠-١٣٠.
(٢١)ينظر: كتاب تصنيف العلوم عند العرب، من اصدارات مركز احياء التراث العلمي العربي، في جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص١٢٥- ١٥٠.
(٢٢)ينظر: كتاب بغداد مدينة السلام، من اصدارات مركز احياء التراث العلمي لعربي،١٩٩٢،ص٣٥٠-٣٨٨ .
(٢٣)ينظر: كتاب دور الموصل في التراث العربي، اصدارات مركز احياء التراث العلمي العربي، ١٩٨٨، ص٣٠٥ -٣٢٧ .
(٢٤)ينظر: كتاب هيت في التراث العربي، من اصدارات مركز احياء التراث العلمي العربي، ١٩٩٨، ص١١٤-١٤٥.
(٢٥)بموجب الامر الجامعي المرقم ٨٢٥٤والمؤرخ في ١٣/٥/٢٠٠٢ .
(٢٦)بموجب الامر الجامعي المرقم ٢٥٧٩٤ والمؤرخ في ١٩/١/٢٠٠٨ .
(٢٧)عباس، صالح مهدي و الوفيات لتقي الدين محمد بن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ) دراسة وتحقيق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢ في مجلدين .
(٢٨)عباس، صالح مهدي، معرفة القراء الكبار على الاعصار والامصار، لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)دراسة وتحقيق، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٨٤ في مجلدين .
(٢٩)عباس، صالح مهدي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام لشمس الدين الذهبي، دراسة وتحقيق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨ في ٤ مجلدات.
(٣٠)عباس، صالح مهدي، الذيل على العبر في خبر من عبر، لولي الدين احمد بن عبد الرحيم بن الحسين



العراقي (ت ٨٢٦ هـ)دراسة وتحقيق، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩ في ثلاثة مجلدات .
(٣١)عباس، صالح مهدي، غنية اللبيب عند غيبة الطبيب لشمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري المعروف بابن الاكفاني (ت ٧٤٩ هـ) بغداد، مطبعة العمال المركزية، من اصدارات مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٨٩ .
(٣٢)عباس، صالح مهدي، ابن رافع السلامي وكتابه الوفيات من اصدارات مركز احياء التراث العلمي العربي، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٩ .
(٣٣)عباس، صالح مهدي، برهان الدين الجعبري وفهرسة مصنفاته (الهبات الهينات في المصنفات الجعبريات) دراسة وتحقيق، من اصدارات مركزاحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٨٤.
(٣٤)عباس، صالح مهدي، الوسيلة الى كشف العقيلة (في رسم المصحف الشريف) لعلم الدين على بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) دراسة وتحقيق، بغداد ١٩٨٧.
(٣٥)عباس، صالح مهدي، الحياة الفكرية في مملكة غرناطة الاندلسية بغداد، ١٩٩٥.
(٣٦)عباس، صالح مهدي، ثلاث رسائل محققة في القرآن الكريم، بغداد، مكتب احمد الدباغ، ٢٠٠١م .
(٣٧)بموجب الامر الاداري المرقم ٣٠٩ والمؤرخ في ٢٠١٩/٦/٣ والصادر من مركز احياء التراث العربي في جامعة بغداد .

●المصادر

- عباس، صالح مهدي، الوسيلة الى كشف العقيلة، دراسة وتحقيق بغداد ١٩٨٧.
- عباس، صالح مهدي، عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الالفاظ . مخطوط اطروحة دكتوراه، كلية الاداب / الجامعة المستنصرية ١٩٩٢.
- مركز احياء التراث، الحسبة في التراث، بغداد، ١٩٨٧.
-مركز احياء التراث، التربة والزراعة عندالعرب، بغداد، ١٩٨٨.
- مركز احياء التراث، الطب والصيدلة عند العرب، بغداد،١٩٩٠.
- مركز احياء التراث، تصنيف العلوم عند العرب، بغداد،١٩٨٩.
- مركز احياء التراث، بغداد مدينة السلام، بغداد، ١٩٩٢.
- مركز احياء التراث، دور الموصل في التراث العربي، بغداد،١٩٨٨.
٩-مركز احياءالتراث، هيت في التراث العربي، بغداد، ١٩٩٨.
- عباس، صالح مهدي، الوفيات لتقي الدين محمد بن رافع السلامي، بيروت ١٩٨٢.
- عباس، صالح مهدي، معرفة القراء الكبار على الاعصار والامصار، بيروت، ١٩٨٤.
- عباس، صالح مهدي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاسلام ودراسة وتحقيق، بيروت، ١٩٨٨.
- عباس، صالح مهدي، غنية اللبيب عند غيبية الطبيب، بغداد، ١٩٨٩.
- عباس، صالح مهدي، الذيل على العبر في خبر من عبر، دراسة وتحقيق، بيروت، ١٩٨٩.
- عباس، صالح مهدي، ابن رافع السلامي وكتابه الوفيات، الموصل، ١٩٨٩.
- عباس، صالح مهدي، برهان الدين الجعبري وفهرسة مصنفاته، دراسة وتحقيق، بغداد، ١٩٨٤.
- عباس، صالح مهدي، الحياة الفكرية في مملكة غرناطة الاندلسية، بغداد،١٩٩٥.
- عباس، صالح مهدي، ثلاث رسائل محققة في القران الكريم، بغداد، ٢٠٠١ .



Prof. Dr. Salih Mahdi Abbas

with his efforts in revival heritage

Prof. Dr. Majeed Mikhlif Trad
(The chief of revival of Arabian science Heritage Center)
University of Baghdad

Abstract:

Prof. Dr. Salih Mahdi Abbas considers one of the most important professors who they worked on revival Arabic scientific heritage، this is a touch that can be found in his works،his thoughtful،cultural، Academic activities that concentrated on this side، in addition to vary them between writing books and achieving heritage messages as well as participating in conferences، seminars and workshops through his long period in the center of revival heritage.



مقاربة التراث
في منجز الدكتور (جلال الخيّاط)
وأبعاده الأكاديمية والتربوية



أ.د. علي حداد*

• على سبيل التقديم:

يضع – من يتقصى الجهد الأكاديمي العراقي في مراحله الناضجة – يد التيقن على إنتاج معرفي حصيف ومتسع في تراكم منجز قدمته أسماء أكاديمية عراقية جديرة بالإشادة والتبجيل والذكر الذي لا ينقطع مدده.

إن من يتأمل الدراسات الأدبية والنقدية العراقية ذات السمت الأكاديمي بمختلف مجالاتها سوف تند أمامه شاخصة أسماء: د.علي جواد الطاهر، ود.علي الزبيدي، ود. جلال الخيّاط، ود.عناد غزوان، ود.محسن جمال الدين، ود. صلاح خالص، ود. داود سلوم، ود. نوري حمودي القيسي، ود. هادي الحمداني، ود. جميل نصيف، ود.علي عباس علوان.

لقد كانت ميزة هؤلاء الأساتذة الكبار الحيوية اللافتة والدور الثقافي المعطاء وسعة المنجز المعرفي وتعدديته . فلقد أغنوا الساحة الادبية بكل ما كان بوسعهم إنجازه على وفق قناعات منهجية، حرصوا على إشاعتها وكرسوا جهودهم لأن تصل إلى أجيال لاحقة من طلابهم سواء في الدراسات الأولية أو العليا.

---

* جامعة بغداد /مركز إحياء التراث العلمي العربي

أشرف هؤلاء الأساتذة على مئات الرسائل والبحوث العلمية وناقشوا أضعافها عددا. وأفضت بهم قدراتهم المعطاء إلى أن يخرجوا بمنجزاتهم الكتابية إلى فضاءات معرفية عميقة الروح والوعي، تتسع لمختلف أنماط الدرس الأدبي ومجالاته، فقدموا فيه جهداً ثراً، رسخ لأسمائهم بصمات تميزها في الثقافة العراقية ومنجزها المعاصر، وكرس لحضورهم مكانته من خلال عشرات الكتب التي نشرتها لهم المطابع في البلدان العربية وأضعاف ذلك عدداً من الدراسات المعمقة التي حفلت بها الصحف والمجلات العراقية والعربية المختلفة. وبين ذلك كله يبقى دورهم الأكثر تأثيراً وسطوعاً في الترسيخ الذي لا يجارى للدرس الجامعي وإشاعة مفاهيمه وقيمه من حيث التأطير المنهجي ودقة المسعى وموضوعيته الحريصة على طرائق البحث العلمي واستنطاق وسائله والتمسك المعن باشتراطاته . بما أرسى ـ وعلى نحو لافت ـ دعائم مدرسة عراقية خاصة في الدراسات الأكاديمية، يمكن لكل من يطلع عليها أو يقترب منها أن يشير إلى هويتها والمواضعات المعرفية الجادة التي تفصح عنها.



توزعت هؤلاء الأساتذة الأجلاء اختصاصات الدراسات الجامعية والأدبية المختلفة، تلك التي شرعوا أبواب اشتغالاتهم عليها إلى مديات قرائية متسعة، فكان لهم فيها أن قاربوا الدرس الأدبي الحديث ونقده، إلى جانب استقصاء مضامين مهمة من التراث الأدبي والنقدي العربي والاحتفاء بقراءته وتفحصه، مقدمين فيها مؤلفات لها حضورها الدال في مجالات ما أنجزته.

ولعل ثنائية التدارس هذه كانت ناصعة التمثل لدى الأكاديميين العراقيين الذين تخصصوا في الدراسات الحديثة والمعاصرة أكثر من زملائهم الآخرين، إذ لم يتوقفوا ـ في معظمهم ـ عند اختصاصهم الأكاديمي المعين وحده، بل كانت لهم استشرافاتهم البحثية الرصينة والمهمة في دراسة التراث وقراءته بأدوات منهجية حصيفة، مستفيدين من اطلاعهم على الدرس النقدي الحديث ومدارسه، لينجزوا في هذا السياق توصلات قرائية مهمة، هيّأت لهم أن يتجاوزا تقليدية الدرس الأكاديمي الذي هيمن على منجز زملائهم من ذوي التخصصات التراثية الذين لم يتح لهم الاطلاع على تلك المنهجيات أو التواصل معها، فانغلقت أبحاثهم على تقليدية في التدارس والاستنتاج.

وكان الدكتور(جلال الخياط) من بين تلك الفئة من الأكاديميين الذين تخصصوا في الدراسات الأدبية الحديثة، ولكنهم أنتجوا في مساوقة المسار نفسه أبحاثاً مهمة استوعبت موضوعة التراث ورصدتها عبر منهجيات بحثية وخبرات معرفية متميزة .

(١)

ولد الدكتور (جلال أيوب صبري الخيّاط) في مدينة الموصل سنة ١٩٣٢م. وكان والده من التربويين المعروفين في مدينتهم، مما وفّر لولده تنشئة طيبة وجواً ثقافيا عايشته شخصيته،

واستوعبت كثيراً من قيمه مبكراً[١].

أكمل الخياط دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس الموصل، ثم دخل دار المعلمين العالية (كلية التربية) ببغداد، وتخرج فيها سنة ١٩٥٥م، متفوقاً على أقرانه[٢]، ليعيّن مدرساً لمادة اللغة العربية في بعض المدارس الثانوية لخمس سنوات لاحقة . وفي سنة ١٩٦١م قيض له أن يكون ضمن بعثة الطلبة التي أرسلتها وزارة التربية إلى بريطانيا، حيث التحق بجامعة (كمبردج) الشهيرة التي أنجز فيها - بعد ثلاث سنوات - أطروحته للدكتوراه التي تخيّر لها أن تكون عن (مفهوم الحداثة في الشعر العراقي)[٣]، عاد بعدها الى العراق، لينتسب سنة ١٩٦٥م مدرساً في قسم اللغة العربية بكلية الآداب/ جامعة بغداد التي بقي فيها تدريسياً في مراحلها الأولية والعليا - ومحاضراً في جامعات عراقية أخرى - ومشرفا ومناقشاً لعدد كبير من الرسائل والأطاريح، وخلال مدة تجاوزت الثلاثين سنة، أصيب في أواخرها ـ وتحديداً عام ١٩٩٧م ـ بمرض عضال أثر في قدراته البدنية[٤]، ولم يكن ليجد من يسأل عنه أو يراعاه من الجهات الثقافية والأكاديمية في ظل النظام السابق، وهو المثقف والأستاذ الذي كان بعيدا عن هيئات النظام الثقافية وأبواقها، فواجهته في أحايين كثيرة بالتجاهل ومحاولات التغييب عن المهرجانات والفعاليات التي طالما احتضنت صغار الأدباء والكتبة. ولم يكن ليشغله ذلك، أو يأبه له، بل لقد كان ذلك مما يشعره بالرضا عن نفسه والتزامها بالقيم التي اختطها مساراً لها.

وحين جاءته الدعوة من قبل إحدى الجامعات الأردنية إلى مؤتمر أدبي عقد هناك، تحامل على ما يكابده من وطأة المرض وغادر إليها، تاركا خلفه ما كان قد أستكان إليه من دفء العائلة الصغيرة والبيت والمكتبة، ومكانته في قسم اللغة العربية بكلية الآداب، ودرسه وطلابه وأصدقائه، ليقيم في الأردن أياما معدودات، يحصل بعدها ـ وعلى نحو لم يصدقه هو قبل غيره[٥]ـ على تأشيرة دخول إلى بريطانيا التي كان قد أقام فيها قبل أربعين عاما دارسا للأدب في جامعة (كمبردج)، كما مرّ ذكره.

وفي لندن عاش سنواته الست الأخيرة في ظروف قاسية ولكنه كان يواجهها بشهامة لا حدّ لها، فيرفض كثيرا من العروض التي تقدم له من أصدقائه، منزوياً في غرفته الضيقة، أو راقداً في المشافي لأكثر من مرة. وخلال ذلك كان يغافل مرضه ليشارك في بعض الفعاليات الثقافية، وينشر مقالاته في صحف ومجلات عربية[٦]، ويتحدث لبعض القنوات الفضائية، كي يسد حاجته من الدواء ولوازم العيش الأخرى[٧].

وفي سنة ٢٠٠٤م اشتد عليه المرض ولم يكن لجسمه المنهك أن يغالبه، فرحل عن عالمنا الأرضي أوائل العام اللاحق، ليدفن في مقبرة بغرب لندن، بعد أن عايش في منفاه الاختياري الغربة والمرض والوحدة، حتى أشبع منهم وأشبعوا منه[٨].

(٢)

أنجز الدكتور (جلال الخيّاط) عدداً من



المؤلفـات المهمـة في مجـال الدراسـات الأدبية والنقدية منها:
- الشـعر العراقـي الحديث، مرحلـة وتطور، بيروت، ١٩٧٠م، و بيروت ١٩٨٧م.
- التكسب بالشعر، بيروت، ١٩٧٠م .
- الشعر والزمن، بغداد، ١٩٧٥م .
- المثـال والتحـول في شـعر المتنبـي وحياته، بغداد، ١٩٧٧م، و بيروت، ١٩٨٧م.
- الأعمال الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي غـير المنشـورة (تقديـم وتحقيـق)، بغـداد، ١٩٧٧م .
- الأصـول الدرامية في الشـعر العربي، بغداد، ١٩٨٢م .
- أحمـد الصـافي النجفـي، عالم حـر، بغداد، ١٩٨٧م .
- المنفـى ـ الملكوت، كلمات في الشـعر والنقد، بغداد، ١٩٨٩م .
- المتاهات، بغداد ٢٠٠٠م.
- الجنون في الشعر٢٠٠٦م[٩].

وقد أبانـت هذه المؤلفـات المتنوعة الاشـتغال الأدبي والنقدي عـن طبائع تجربة هذا المثقف والأكاديمي المتميز.

وإذا تركنـا أمـر الحديث عن طبيعـة التوجه المنهجـي والمعالجات الفكريـة والثقافية لتلك المؤلفـات جميعهـا وذهبنـا مقتصرين في ذلك على ما تسـعى إليه هـذه القـراءة ـ قراءتنا ـ من تأمل لما كان فيها من مقاربات للموضوعة التراثية، فسـتكون بـين أيدينـا حصيلة طيبة تبين عـن طبائع الوجهة المعرفية التي أسـس عليهـا الدكتور (جلال الخياط) اشـتغالاته في هذا المجال. وسـتكون عينتنـا في ذلك مؤلفاته الآتية:
- التكسب بالشعر.
- الشعر والزمن.
- المثال والتحول في شعر المتنبي وحياته.
- الأصول الدرامية في الشعر العربي.
- المنفى ـ الملكوت، كلمات في الشعر والنقد.
- المتاهات .
- الجنون في الشعر.

وسـوف يتأكد لنا ـ ونحن نسـتعيد تأمل تلك المؤلفـات ـ أن العدد الأكبر منهـا هو ما كانت الموضوعـة التراثيـة وجهـة إهتمامـه. ولكنها لا تأتـي عنـد الخيّـاط ـ باسـتثناء كتابه عن المتنبـي المذكور في أعلاه ـ مسـتقلة بذاتها، بل ضمن معالجات للظواهـر الفكرية والأدبية في كشـوفاتها القديمة الموروثـة وكذلك المعاصرة الراهنة.

(٣)

لـن يكـون موضوعيـاً القـول أن ظروفـاً مختلفة عن سواه هي ما توفر للدكتور (جلال الخيـاط) ابتنـى مـن خلالهـا خصوصيـات شـخصيته الأكاديمية وتلمسـها. إنها ظروف مماثلة لما توفر لغيره من الأكاديميين العراقيين الآخريـن، كالدراسـة في أوروبـا، إذ هو خريج جامعة (كمـبردج) البريطانيـة. وحين عاد إلى العـراق فقد مـارس التدريس ـ كما أسـاتذة آخريـن مثله ـ في جامعة بغداد، واسـتمر فيه حتى سنوات متأخرة من عمره.



ولكـن ذلك جـاء متلازمـاً عنده مـع مكونات ثقافيـة ذاتيـة كان رسـخ اشـتراطاتها في شخصيته ووعيه وذائقته، تلك التي لم تبن عند سواه بالوضوح ذاته التي هي عليه عنده.

إن الاشتغال المعرفي النقدي المتعدد، المؤسس على ما يرتضيه الوعي وتتمثله الذات، والحساسـية والـذوق العاليين هي عدّة الخيـاط فيما اتجه لقراءتـه وتدارسـه، فكانـت مخرجـات تلـك العوامـل مجتمعة هي التـي صنعت الحاضنة المعرفيـة والجمالية المتميزة في متحقق الخياط الأكاديمي والنقدي ودراساته الأدبية.

(٤)

يذهب الدكتور (جلال الخياط) ـ من ثنائية الرؤية التـي تعاضد(التراث) بـــ (المعاصرة) تلـك التي أسـس مجمل جهـده القرائي عليها – لتفحـص فعل المـاضي في الحاضر من جهة، وإمكانية الحاضر في اسـتعادة الماضي بوصفه فعالية مؤثرة ونسغ امتداد وتواصل بينهما من جهة أخرى.

لقـد أرسى الخيّـاط رؤيتـه على تلـك الثنائية التـي رأى: أن موضوعهـا مجـال «لا ينتهـي، وأهميـة قصوى لاتحد، فاتسـعت فيهـا الآراء وتشعبت وتكررت، وإن كنا نستطيع أن ننهيه بحكم بسـيط قاطـع يؤدي إلى أن الإنسـان في أي عصر أو زمان وارث لكل ما قدمه أسـلافه، يسـتفيد من خير ما فيه لتطوير حاضره وبناء مسـتقبله. وليس من طبيعة الأشياء أن يطغى الماضي على الحـاضر أو يلغي الحاضر الماضي، لأنهما متداخلان، ولا يلبث المسـتقبل أن ينضم إليهما . وتسير الحياة»[١٠].

إن الإنسـان ـ طبقاً لما يقرره الخيّاط ـ في أي عـصر أو زمان « وريث لكل ما قدمه أسـلافه، يسـتفيد من خير ما فيه لتطوير حاضره وبناء مستقبله»[١١].

وعلى هذا فنحن ندرس القديم، «ليتم التواصل الزمنـي والفكـري بـين الأجيـال المتعاقبـة، ولنتمثـل خلاصـة جيدة لأعمـال الماضين، وما أضفوا على التجربة البشرية من إسهام وإنجاز وتطوير»[١٢].

إن الـتراث ـ يقـول الخيّـاط ـ «عالم واسـع محرض، لا يحتويه زمان أو مكان. ولو ارتبط بـأي منهما تحديـداً لانحـسر وفقـد حيويته وطاقتـه . إنـه يرفـض الازدواجيـة الزمانيـة والمكانية، ويحيـا بنا ونعيش فيه بلا توقف أو انغلاق أو أسوار»[١٣].

وعـبر هـذا التيقن فقد أمسى مـن واجب وارث ذلك التراث «الكشـف عن جوهـر التراث، وبما يظهـر الجوانب المشرقـة فيه لتبقـى ماثلة في الحـاضر، خالـدة مع الدهـر، متوجـة بإبداع المعاصر»[١٤]. إذ لا يمكن أن تكون الشـخصية الراهنـة وليدة ظرفهـا المحايث « إنهـا وراثة الأجيال المتعاقبـة عبر التاريخ، ونتيجة ما قدم الماضون جميعاً»[١٥].

ومن هـذه الرؤية المكتسـية بعقلانيـة التمثل لتعالقات الماضي بالحـاضر ينتهي الخيّاط إلى القـول: «إن الرفـض المطلق للمـاضي لا يمكن أن يسـوغه منحى أو اتجاه فكـري. وإن إلغاء الحـاضر الـكلي والعيش في المـاضي وللماضي



مسـألة غريبة تزري بمنطق الزمـن والتاريخ والإنسان، وتشلّ الحاضر وتميت المستقبل»[١٦]. ومـن منطلق قوله من « إن المعاصرة لا تولد في فـراغ ولا تتكون من عبث . إنهـا امتداد الزمن الموغل في القدم إلى الحاضر والآتي»[١٧].

ينتهي الخيّاط إلى القـول بحركية التراث التي تواصل تقديـم معطياتها عبر مسـيرة الزمان الدائبـة التي ناقلـت وجوده من كونـه إنتاجاً لفاعليـة معـاصرة لزمانها إلى حيث اسـتحال تراثاً تلقفتـه الأجيال اللاحقة، إذ «ليس التراث حكراً على الماضين . إنها عملية مسـتمرة تمتد إلى الحاضر والمسـتقبل»[١٨]، الأمر الذي يجعل ممـن ينتـج ذلـك الـتراث ـ الذي أطلـق عليه الخيّـاط وصف (التراثـي القديـم والمعاصر) ـ «قـادراً على الحضور في الحـاضر والبقاء في المسـتقبل، يصنع زمنه وكل الأزمنة . لا يجمد على مـا كان أو يكون . يرفض قدسـية المثال، ويقدم رؤية متجددة»[١٩].

لاشـك في أن مـن يتأمل طروحـات الدكتور (جلال الخيّاط) عن التراث سيكتنفه اليقين أن رؤيته تتبنى أفقـاً من القراءة الموضوعية التي تمثلهـا قبله ومعـه كثير من مفكـري العصر الحديث ومثقفيـه الذين أبدوا موقفـاً عقلانياً وسطياً بين تيارين آخرين شغلا بالتراث وحددا موقفهما منه، كان الأول منهما يتشبث بالتراث العربي القديم ومتحققـه الحضاري والثقافي، ويريـد أن يجعل منه نقطـة الانطلاق نحو أي إصلاح أو تطور يـراد نيله في العصر الراهن. مـن منطلق أن في عودة العرب إلى تراثهم ـ كل تراثهم ـ ما يحفظ وجودهم، ويقيهم اسـتلاب الحضارة الغربية[٢٠].

وعـلى الطرف الآخـر وقـف أنصـار الاهتمام بثقافـة الغرب التي أذهلهـم منجزها منكرين الماضي وتراثه، و متعصبين ضده، حتى ليقول أحدهم: «لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بتراً، وعشـنا مع من يعيشـون في عصرنا علماً وحضارة ووجهة نظر إلى الإنسان والعالم»[٢١].

أمـا الاتجـاه العقلاني ـ الـذي يعـدّ الدكتور (جـلال الخيّاط) من المناديـن برؤيته ـ فيرى أن «العـودة إلى الـتراث لا تجـدد شـيئاً، لكن بالانطلاق منه وبالإضافة إليه تجدد قوته»[٢٢]. وإذا كان بنـاء الحـاضر «يقوم على محاسـن الماضي ومسـاوئه، نسـتفيد من هذه ونتجنب تلـك»[٢٣]ـ كمـا يؤكـد الخياط ذلـك ـ فإن في الحضارة الإنسانية الحديثة مما لابد أن نضمّه إلى مسـيرة حاضرنا، شرط عـدم تعارضه مع خاصيـة وجودنا وشـخصيتنا القوميـة التي يمدّها تراثنا بسـماتها الواضحة، إذ «لا يمكن أن تكون الشخصية المتميزة وليدة رغبة فورية وإرادة معينـة وحقبـة محـددة، إنهـا وارثـة الأجيـال المتعاقبة عبر التاريخ، ونتيجة ما قدم الماضون جميعاً»[٢٤].

(٥)

ذهبـت مقاصـد الدكتور (جلال الخيّاط) القرائيـة منبتة ـ في معظمها ـ عند الاشـتغال على المنجز الشعري العربي ـ قديمه وحديثه ـ أكثر من أي مجال إبداعي آخر. وقد تبدى الأمر



ذاته فيما أنجـزه من قراءات نظرية وتطبيقية جعل من قضيـة التراث مناط اشـتغالها، تلك التي كان الشـعر العربي القديم وحده منطقة استعادتها عنده. وعندنا فإن ذلك متأسس على جملة مواضعات راسخة التثبت لديه، أساسها ما نمتلكه من تراث شـعري باذخ دخل نسـغاً فاعـلاً في بنية الثقافة العربيـة المعاصرة، فمن «حيوية الموضوع الشعري التراثي أنه لا يغيب عن ذائقـة المتلقين، لأن حيويتـه بديهية، وإن انتهى زمنه قبل أكثر من أربعة عشر قرناً»[٢٥]، حتى لقد أمسى «البـكاء على الأطلال الموضوع الخالـد الذي يحتوينـا ويحزننا، ولا من حبيب ضائـع في الصحـراء، ولكنه ضائـع في الإهاب، يتـلاشى في الخلايا ولا تندثر، وفي الذكريات ولا تزول»[٢٦].

وسـيكون منطقياً ـ من جانب آخـر، واستناداً إلى الرؤيـة التـي يتعاضـد فيهـا الـتراث مع المعـاصرة عنـد الخيّـاط ـ أن يجد في الشـعر العربـي القديم الذي اسـتنطقه قرائياً أنماطاً حيوية من تشكلات العلاقة بينهما، تلك التي لا نجدها بالتكيف ذاته في الفنون الأدبية الأخرى التي غلـب على منجزها جدتهـا، وتمثلها لقيم الحداثة ووافد تجاربها من الأدب الغربي أكثر مما كان عليه الحال في مسار الشعرية العربية.

تتبدى اسـتراتيجية قـراءة الدكـتور (جلال الخيـاط) للتجارب الشـعرية القديمـة ـ التي أمسـت عنده السجل الشـعري الموروث الأكثر سـطوعاً وخلـوداً ـ في تجـاوزه الوقـوف عند تجارب الشـعراء من منطلـق تاريخي، أو من أفـق الاعجاب الذاتي والانشـداد إلى شـعر هذا الشـاعر أو ذاك. بل لقد جاء ذلك عنده مؤسساً على تيقن معرفي عمـاده البحث في (موضوعة) محـددة التمثل، يريد أن يسـتجلي كشـوفاتها عنـد أجيال الشـعرية العربيـة الموروثة، كتلك التي اسـتعاد فيها مقاربة إشـكالية (الزمن)، أو قضيـة (التكسـب في الشـعر)،أوفي تقـصي (الأصـول الدرامية) في الشـعر العربي. أو عبر الاشـتغال على فاعلية سـلوكية بـارزة التجلي عند شـاعر عربي بعينه، كما كان له في (المثال والتحول) عند المتنبي.

(٦)

اسـتوقفت الدكتور (جلال الخيّاط) في كتابه (الشـعر والزمـن) الفاعلية الزمنيـة بوصفها منطلق مكاشـفة ذات أبعاد رؤيوية ونفسـية لدى الشاعر، كما لدى سـواه، فـ «لكل إنسان زمنه الخاص، وعليه ـ إن افتقده ـ أن يصنعه. والشـاعر إذ يعبر عن ذاك الإنسـان فـرداً من النـوع، تضيـع قدراتـه ومواهبـه وتضطرب مواقفـه وآراؤه من دون زمنيـة متميزة وفهم واضح لها»[٢٧]، يصنع من خلالها مسـار تميز لتجربته الشعرية ويرتقي بها ويطورها عبره، إذ أن «الركـون يعنـي الموت، والتغيير أسـاس الحياة . وبين هذين البعدين يلعب الزمن لعبته العجيبة»[٢٨].

ومـع مـا يراه الخيـاط مـن أن «الفرق بين الشـاعر المبـدع والشـاعر المتخلـف يكمـن في موقفهمـا إزاء الزمـن وصـدور ردود أفعـال عندهما عن أفعال حقيقية أو مفتعلة»[٢٩]، فإنه لا يعد ذلك «مقياسـاً وحيداً للحكم على شـاعر وقدرتـه الإبداعيـة، وإنما هـي توضيح لموقفه



إزاء الأشــياء، ومدى تفهمه للحضــارة ولدور الإنســان في الحياة. ومن خــلال ذلك يمكن أن نلقي ضوءاً ما عــلى جزء من إنتاجه»(٣٠).. وقد جعــل من تلك المحددات مجســه في قراءة عدد من التجارب الشــعرية القديمة والحديثة التي عكــس وقوفه عندها ســمة نقديــة في التخيّر واشتراطاته عنده .

يســتقرىء الدكتور الخياط ـ عبر موضوعة الزمــن وفاعليتــه ـ عصــور الشــعر العربي، متأملاً إياها في تسلســلها التاريخي، راصداً ما كان فيها من ظواهر وتكشفات لتلك الفاعلية، ليقرر ـ وهو يبحث عن رصيدها، مبتدئاً بعصر ما قبل الإســلام الذي اســتعاد قيمه من خلال قراءة موجزه ـ الآتي: «يعانق الزمن الصحراء بتشــكيلة رائعــة تعكســها الشــمس بلــوراً متوهجــاً، ويحــاول الجاهلي أن يفــك عنه هذا المزيج المتماســك فلا يســتطيع . وترتد المسألة إلى شوق شديد نحو مستقر من الأرض، ويتيه به الزمن عبر رحلات طويلة لا قرار لها. وتشتد المعانــاة، ويكون الماضي هو البديــل، ولكنه لا يحمل ســوى الذكريات، وبين الذكرى والحلم والرحلة الدائمة عاش ذاك الإنسان الذي وقف واســتوقف، وبكى واســتبكى، وترك لنــا أثراً باقياً ما زلنا نحكي عنه ونتأمله»(٣١).

وكان اللافــت إلا يقــف الخيــاط طويلاً عند المرحلــة الإســلامية الأولى (مرحلــة النبــوة والخلافة الراشــدة)، ومــا انتابها من متغيرات حــادة في الفاعلية الزمنية، وهو الذي رأى ـ في كتاب لاحق من كتبه ـ أن ظهور الإســلام كان « ثــورة في الجزيرة العربيــة، بشريعة وتقاليد وأســس اجتماعيــة وسياســية جديــدة، وقام صراع هائل بين مرحلتي ما قبل الإيمان وبعده أحدثــا تأثيراً كبيراً في الفكر والأدب حتى يومنا هذا»(٣٢).

لقــد انتقــل بتأملاته مبــاشرة نحــو (المرحلة الأموية) التي رأى أن شــاعرها «ورث عصرين يمكن أن يشــكلا بدايتين تدور حياته بينهما، وتختلط أحداثهما في أفكاره وتتزاوج وتتشابك لتنتجــا شــخصية جديــدة ورؤى متميــزة، وانطلاقــة ذات ســمات خاصــة»(٣٣). وقصــد بالعصرين: الإســلامي وما قبله. ولكن ذلك لم يحصل واقعــاً . ليغرق المجتمــع في تناقضاته التي كثيراً ما اســتعادت قيماً وممارسات كان الإســلام قد نهــى عنهــا وجبّها، «ليســتشري الانقســام القبلــي والطبقــي والســياسي، وما تبعــه من حروب ومنازعات احتــل جزءاً كبيراً مــن العقلية الأموية، ولم تنفتح ســوى ثغرات تتعدى حــدود الزمن المعاصر إلى أزمنة مكثفة آتية أخرى»(٣٤).

وقد انغمس الشــعر الأمــوي بذلك كله، فصرنا «نجــد في ثنايــا القصائــد والأشــعار أفــكاراً محددة تتناول المصير والزمن الضائع والدهر الذي اشــتدت على الشــعراء مصائبــه ... ولولا الهجاء والمديح اللذان اســتنفدا جزءاً كبيراً من طاقات الشــعراء، وكون الشاعر معبراً عن فئة أو قبيلــة بحدود المصلحــة الآنية الضيقة دون ســعة وشــمول، لحصلنــا في مســيرتنا المتعبة التي تبحث عن الزمنية عند الشــعراء على مادة



شــعرية جيدة تشكل تطوراً واضحاً في سلسلة الأفــكار التي يتوارثها الانســان عــبر العصور المتعاقبة»[٣٥].

تتجــلى الفاعلية الزمنية في العصر العباسي ـ طبقــاً لتأمل الخيّاط لها ـ في عدد من التجارب الشــعرية البارزة التي تخيّرها، مبتدئاً بــ (أبي نواس) ومسعاه لتأســيس زمنه الخاص الذي لم يسعف إليه، فقد «عانى الشاعر من العذاب والقلق والوحــدة والتفرد، وانعكس كل ذلك في حياته»[٣٦].

وكان الدكتــور الخيــاط يقــف بجانــب مــن تشــكك بالتصورات المتداولة عن شخصية أبي نــواس ووقائــع حضورها الإنســاني والأدبي، إذ «كانــت بعــض المســائل النواســية موضع نقاش واختلاف»[٣٧]. ولاســيما قضية الخمرة وانغماســه في لذائذها الآنية التي أحال الخياط أمرهــا إلى أفــق مــن المعايشــة عميقــة التمثل الرؤيــوي، فقد «حول النــواسي الدنيا إلى حانة والزمــن إلى ســاق، وارتــضى الشــعر نديماً ... حتــى تنتهي الرحلة إلى شــاطئ المــوت، فكان ظاهرة مميزة في عالم الشــعر والإنســان»[٣٨]. منتهيــاً إلى رأي متيقن عنده مفاده : «إخلاص الشــاعر لنفسه وشــعره، وأنه حاول جهده أن يتمســك بمزاج خاص في ظروف بيئية لا تتيح له مجال التحرك إلا بحدود»[٣٩].

وإذا كان أبــو نــواس قــد عانى ـ في مســارات وجــوده ـ من تقاطعات في الرؤى والمواقف مع عصره وقيمه الشــعرية فــإن (أبا تمام) حاول «أن يكتب قصائده بمداد عصره، وأن يســتعير بعــض معانيه من إشــعاعات عصــور أخرى أمدتــه بهــا مطالعاتــه واطلاعاتــه المتنوعة في عوالم الإنســان والخليقــة والحياة، وأن ينطلق شعره متميزاً في دنيا الفكر والتأمل والفلسفة . ولكن معطيات دهره حالت دون ذلك، وحددت مــن مضامينه وأجوائه. وطوتــه الموت ولم يتم الرحلة»[٤٠].

وإذ اســتغرقت قصائد المديح ثلاثة أرباع شعر أبي تمام فــإن الربع المتبقــي ـ طبقاً لتأملات الخيّاط ـ يقدم موقفاً فكرياً واضحاً من قضايا الزمن والموت والحياة[٤١].

ويقرر الخــيّاط ـ وهو يتأمل شخصية المتنبي من منظور الفاعلية الزمنية ـ أنه «عاش صراعاً، وظــل طيلة حياته يعبر عنه، ويحاول أن يفهم بواعثه...وكان الزمن قطب ذلك الصراع عنده، فدارت في مخيلته خواطر تمثله عدواً لا يقاوم، يحمــل في طياته المصائــب والكوارث، ويقلص الأعمار يوماً بعد يوم، ويحيل الســعادة ـ فيما يضيــع من الوجود المحدود على الأرض ـ وهماً يتضمنه شقاء دائم وأحزان لا تنتهي»[٤٢].

وإذ «يضع العصر العباسي ثقل أفكاره وتجربة أبنائه وأخيلة شعرائه في أبي العلاء المعري»[٤٣]. فإن ذلك ســيكون مدعــاة لأن «يختلط المنطق بالإبــداع والبراعــة اللغويــة بالخيــال والقصة بالفلســفة والشــعر بالنثــر في شــموخ وتميز وتحد، يبهر الباحثين بالعمق، ويرفد الدارسين بالكشف، ويقدم خلاصة مكثفة لما توصل إليه إنسان القرون الهجرية الأربعة»[٤٤].

وعبر ذلك كله يكاشف المعري متلقيه برؤى عن



الزمن والدهر والحياة والموت تحيل إليه وحده، و «تتجمع في ظـلال من المعاني مكثفة تقترب مـن العمل الأدبي المتكامل. ولم تتسرب طاقته الفكريـة في حكمـة عابـرة أو عظـة غير ذات جدوى تحتمها مناسـبة أو رثـاء بارد لا ينفع معه غير الحديث عن الفناء والخلود ـ كما فعل شعراء كثيرون ـ بل اتخذت لها أشكالاً واضحة في أبيـات، وتضمنتها مقطوعـات و قصائد لم يسـعفها الزمن بنمو وتطوير في أجواء متميزة قائمـة بذاتهـا، ولكنهـا أفصحت عـن موقف الشاعر الثابت إزاء الكون والحياة. فأفكاره لم تكن طارئة عليـه أو وسيلة للتفلسف، ولكنها صبغت حياته كلها بإطار متماسك»(٤٥).

(٧)

يضـع منجـز الدكتور(جـلال الخيـاط) النقـدي متلقيـه على حـدّ التيقن مـن أنه كان ميـالاً في رصده وكشـفه إلى البحث في الشـعر العربـي ـ بعصـوره كلها ـ عما هـو أبعد من غنائيتـه، ولأجـل هـذه الغاية فقـد ذهب ـ في كتابـه (الأصـول الدرامية في الشـعر العربي) الصـادر سـنة ١٩٨٢م ـ إلى معاينة ما يمكن لـه أن يخبر عن سـمات (نزعـة درامية) كان يمكـن لها أن تجاور النزعـة الغنائية المهيمنة على الشعر العربي، وأن تتنامى مع مسيرة هذا الشـعر عبر العصور المتعاقبة، «فالشـعر يبدأ غنائياً مطلقاً، ثم غنائياً مقيداً بحدث، ثم يميل إلى الحكاية والحبكة والسرد والروح القصصي والملحمي، ثم يقـترب من الدراما عفوياً، فتولد فيه جذور تعد النـواة الدرامية الأولى، وتتعقد فتستقل الغنائية عما تفرع منها أنواعاً شعرية أخرى»(٤٦).

تضمـن كتـاب (الأصـول الدرامية في الشـعر العربي) أربعة فصول، سنتجاوز الحديث عن فصلها الأول ـ كونه اشتمل على ملاحقة نظرية لمسألة (الشـعر والدراما) ـ لنقف عند الفصل الثاني الذي كان تقصياً لبعض مظاهر التمثيل عند العرب، ذهبً الخياط إليها من قناعته «إن الأصول أو الجذور الدرامية في الشـعر العربي ـ إن وجدت ـ لابـد أن تقترن بمظاهر تمثيلية معينـة»(٤٧). الذي «يبيح لنـا ذلك أن نتابع أي مظهـر درامي أو تمثيـلي عندنـا، ومهما كان محدوداً، لعله يقترن برأي أو اكتشـاف جديد يغنينا في البحث التاريخي»(٤٨).

وبعد أن يذهب الخيّاط بعيداً في ملاحقة الملامح ذات الإشـارات الدرامية في المـاضي الاجتماعي والثقافي العربي، يسـتوقف فصل كتابه الثالث عند الأصول الدرامية في الشعر العربي القديم، فيخبر عن وجود أشكال درامية «اتخذت طريق القصص الشـعري بسرد حادثـة أو حوادث ـ مع وصف أو إفصاح عن شعور وموقف ورأي . وكان للشـاعر أن يطـور حكايتـه لـو وجد الدافـع أو أدرك أبعاد الأجناس والأنواع الأدبية المختلفة»(٤٩).

وقد وجد في قصيدة الشـاعر الأموي (مالك بن الريب) التي رثى فيها نفسه التي مطلعها:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بوادي الغضا أزجي القلاص النواجيا

ما يتمثـل ذلك ويخبر عنه، فهـي «قصة حياة



كاملة من خلال حدث معين، استطاع الشعر الغنائي أن يحتويها بأبيات . وتتمثل قضية الشاعر في تشرده ولصوصيته وبطولاته بما يمكن أن يمده بأجواء درامية»[٥٠].

ولعل هذا النزوع الشعوري في هذه القصيدة هو الذي محضها تميزاً وخلود ذكر و «ليس لأن الشاعر مرض في الغربة، ورثى نفسه قبل ساعات من موته، ولكن لتميزها بمنحى درامي نادر وقدرتها على التجدد، وتلخيصها لحياة الفارس الفاتك بأبيات مؤثرة باقية، ومن طبيعتها هذه أن تصبح مصدر وحي لقصائد أخرى وفنون أدبية وغير أدبية مختلفة»[٥١].

(٨)

رأى الدكتور (جلال الخياط) في شعر المتنبي منطلقاً لبروز القصيدة الفكرية، فأبو الطيّب «هو الذي وطّأ لهذا وذاك من الشعراء أن يطوروا القصيدة الفكرية، وأن يوجهوها إلى صلب هذه الحياة وألغازها ومبتداها ومنتهاها وغاياتها، بعيداً عن الأغراض التقليدية التي استهلكتها المعاني المكررة»[٥٢].

ولعله ـ ومن منطلق تلك الاعتبارات وسواها عنده ـ كان المتنبي الشاعر الوحيد من بين شعراء عصور الشعرية العربية الموروثة الذي أفرد له الخيّاط دراسة شغلت به وحده. فكان كتابه (المثال والتحول في شعر المتنبي وحياته) الصادر بطبعته الأولى سنة ١٩٧٧م، مشتملاً على المباحث الآتية: (المتنبي والنقد الأدبي / المتنبي وحاسدوه / المتنبي والحكمة / رثاء الإنسان / صفات السيف والنزعة الحربية في شعر المتنبي / المتنبي وكافور / الشاعر والمرأة / غربة كافور).

والمتنبي ـ على وفق مكانته في القراءة التراثية للدكتور الخيّاط ـ «شاعر نبع من التراث تراثياً فأصبح تراثاً، ولكنه شاعر كل العصور»[٥٣].

وهو الشاعر الثائر الذي كان شعره «إدانة مستمرة لعصره وأحداث زمانه، يتضح فيها اغتراب معقد جعله ينأى بنفسه عن الآخرين أو يقع ضحية أحابيلهم»[٥٤].

وهكذا قيض للمتنبي أن يستحيل ظاهرة متكاملة في عالم الشعر العربي، إذ لا يماثله أحد بتفرده وتميّزه، وما ينضحه شعره من أصالة، ويصدر عنه من أفعال»[٥٥].

وفي قراءة (سايكولوجية) حصيفة لجوانب من شخصية المتنبي يرى الدكتور الخيّاط أن «انفراد الشاعر في شخصيته وآماله ومواهبه وردود أفعاله أورثه الاغتراب والتوحد. وتفصح أشعاره عن الانفصال الذي تم بينه وبين مجتمعه وممدوحيه وأحداث زمانه . وهو يضع لنفسه دوماً مثالاً يتحول عنه أو إليه . ففي مطلع شبابه يريد أن يحقق مجداً ورفعة بإشاعة أهداف معينة، ويلتف حوله الأعراب ويسجن، فيترك ذلك. ويتخذ من (سيف الدولة) مثالاً للرجولة والفروسية والمروءة، فيحوله حساده عنه . ويدرج في أشعاره خلاصة تجاربه، فيحيل الشراح عالمه الفكري الخاص المتكامل أبياتاً مفردة أو أنصاف أبيات يسمونها حكماً»[٥٦].

وحين يقف الخيّاط عند التوجهات الشعرية



المائزة لشاعرية المتنبي كتلك المساحة الفياضة واللافتة لشعر الحكمة عند المتنبي يرى أن هذه القضية «تتطلب درساً وأناة، لأن المتنبي ابتدع شكلاً من الرمز في الحكمة للتعبير عن معان لا يستطيع أن يؤديها أداء مباشراً . فهو ليس بشاعر حكمة مجردة، ولكنه صاحب أسلوب خاص في الحكمة . وإن أصررنا أن يكون شاعراً حكيماً ففي موقفه من الزمن ورثائه للإنسان وصراعه مع الدهر»(٥٧).

وقد تنبه الخيّاط إلى ما في مطالع المتنبي الشعرية من مغايرة نوعية في توجيهها إلى غير ما استهلكه الشاعر العربي القديم في مقدماته التقليدية، فحين «دعا أبو نواس إلى أن يعبر الشاعر عن أحاسيسه الحقيقية، وألا يكون متبعاً أو معبراً عن تجربة لم يعرفها في حياته، ثار عليه نقاد عصره، ودعوا إلى ضرورة افتتاح القصيدة بالطلل، حتى ظهر المتنبي فأبطل أي نقاش حول المسألة. وكان في مطالع قصائده غير متبع لقديم أو جديد . وترك لكل قصيدة من قصائده أن تبدأ البداية المناسبة لها»(٥٨).

ولعل في قراءة الدكتور الخيّاط لشخصية المتنبي وشاعريته ما يمكن تأمله، فهي تستعيد ما ترسخ من أفكار تواترت عن المتنبي وتفصيلات حياته، لتكررها وكأنها تسلم بصحتها . وهو الأمر الذي وجدناه قبلاً في قراءته لشعر أبي نواس وجوانب من حياته. وبدا أن الخياط على تيقن من حالة التماهي التي عايشها شعر المتنبي مع ما تكرس في وقائع وجوده الإنساني، فالمتنبي ـ طبقاً لما قرّ عنده ممن «يتحد شعره وتاريخ حياته، بشكل غريب، يصعب أن نرى قريناً له، وتصح لديه الحقيقة النقدية بضرورة دراسة الشعر من خلال حياة الشاعر وموقفه من عصره»(٥٩).



(٩)

استوقفت تجارب شعراء العصر الحديث الدكتور (جلال الخيّاط) طويلاً، فقرأها نقدياً في مجمل كتبه، ومن جوانب عدّة. وكان بين قراءاته لها تواصل أولئك الشعراء مع تراث أسلافهم، من حيث موقفهم منه، وفهمهم لطبائعه، ومساحة تناسغه في منجزهم الشعري الجديد.

● **وقد وضع الخيّاط أولئك الشعراء ـ وعبر المنطلقات أعلاه ـ في أربعة أنماط**(٦٠):

ـ ميتون في التراث، وأمثلتهم ـ من عصور سبقت القرن العشرين وأعقبت انتهاء العباسيين ـ كثير.

ـ شعراء يظنون أنهم أحيوا التراث فأماتهم، لأنهم حاولوا بفنائهم إحياءه.

ـ شعراء انتفضوا على الأموات ـ وحسبوا أنهم يجددون ـ شعراً ـ بما يلاحقون من أي أمر أو مخترع حديث طرأ على الدنيا منذ أواخر القرن التاسع عشر، ولكنهم نأوا بعد أن أوغل الزمن واقترب القرن الواحد والعشرون، فتواروا في زاوية تاريخية، وتبوأوا في متحف(الشمع الشعري) أماكن مرموقة.

ـ شعراء أحيوا من التراث جذوة جوهره، فظلوا متوهجين به ومتقداً بهم... أحالوا خيبة ضياع الماضي إلى انتصار الوجود المعاصر.

وحين يناقل تلك الأنماط إلى معاينة فضاء التمثل الذي يندرج فيه شعراء العصر الحديث، سيجد بعضهم ـ مع تمسكه بكثير من اشتراطات الشعرية العربية القديمة ـ غير ذي علاقة بالتراث، ومثاله في ذلك الشاعر (معروف الرصافي) الذي كان الشاعر المصلح، المعلم المرشد «ولكنه كان نتيجة محدودة للتراث. ولا من خلود لشعره إلا بما تبقيه القيمة التاريخية»(٦١).

وفي معالجة تطبيقية أخرى يتساءل الخيّاط: «من الشاعر التراثي منذ أن بدأ هذا القرن العشرون، وقلب بجنونه أعالي الزمن وأسافله... أحمد شوقي أم صلاح عبد الصبور؟»(٦٢).

ولتبيان تفصيلات تلك الموازنة بين الشاعرين يضع مسرحية (مجنون ليلى) لشوقي بإزاء مسرحية (مأساة الحلاج) لعبد الصبور. ففي الأولى جاءت الوقائع المستمدة من حكاية (قيس وليلى) الموروثة وقد نظمت وزناً وقافية «فلا رؤية معاصرة فيها، ولا معرفة للدراما في الشعر، ولا إدراك للصراع»(٦٣).

أما الحلاج ـ عند عبد الصبور فقد أمسى «شهيد كل العصور، الظل والأصل، القناع والحقيقة ...دفع عبد الصبور الماضي إلى الحاضر، وأرجع الحاضر إلى الماضي»(٦٤).

وحين يغادر الخيّاط حديث الدراما إلى الشعر الغنائي يكون شعر السيّاب بين يديه حاضراً، حيث «التراث أهم مصادر شعر السيّاب، منه استمد موضوعات قصائد ومقاطع له، وعليه اتكأ في بعض صوره الشعرية»(٦٥). وبذلك كان السيّاب أقدر شعراء جيله على الإفادة من العناصر الحية في التراث يستوعبها ويتمثلها، ويجمع بينها وبين الأداء الجديد.

●في الختام:

نالت دراسات التراث حصة خصيبة في المنجز القرائي النقدي للأستاذ الدكتور(جلال الخيّاط) أستاذ الأدب الحديث ونقده، فكانت فرصة باذخة الادلال على شخصية بحثية حصيفة استثمرت بعض ما تهيأ لها تمثله من فكر المنهجيات الحديثة وطروحاتها لإنتاج قراءة مغايرة ـ ما أمكن لها ذلك ـ في فضاءات التراث وكشوفاته التنظيرية والتطبيقية.

وتمثلاً للمنهجية القرائية التي تخيّرها الخيّاط فقد كان في مقارباته دارس ظواهر تراثية لا شخصيات وأسماء. ولأنه كذلك فهو لم يتوقف عند عصر بعينه بل مدّ أفق بصيرته القرائية لتتفحص عصور الإبداع العربي كلها، وتستجلي منها ما تبتغيه من المضامين والقيم. وفي معظم ما اشتغل عليه الخياط من استعادات قرائية لمضامين التراث كانت ذاتيته منطلقه للتخيّر والكشف والمعالجة . تلك التي نأت بمنجزه عن التمثل المقنن لمنهجية نقدية بعينها. فكان ذلك دأباً قرائياً خاصاً تمثله الخيّاط وتمسك به في كل ما كتبه، معلنا في ذلك عن رسوخ من التمثل المنهجي الخاص الذي لم يغادره، «ليس من باب التعصب أو الجمود بل من باب اليقين النقدي القائم على الذوق والدربة والتجربة»(٦٦).



وكانت عدّة الخيّاط الكتابية لغة حديثة طيّعة ومأنوسة، تذهب إلى مداليلها بذات الايجاز والتكثيف الذي كان التزامهما سمة أسلوبية انمازت بها كتابات الخيّاط، ورسخت لها مثالها الدال عليها .

●هوامش وإحالات:

(١) ينظر: د. بشرى موسى، منطق كالحرير- جلال الخيّاط ناقداً، بغداد٢٠١٠م، ص٩. وتنظر مصادره.
(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص١٠، حيث يرد الآتي: «وعن مرحلة سنوات الدار الأربع يعلق ناقدنا بطريقته المتواضعة الموجزة الميالة إلى الطرافة قائلاً : وجدت نفسي فجأة الأول في الكلية».
(٣) أصبحت لاحقاً أول كتب الخيّاط المطبوعة وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٠م تحت عنوان: الشعر العراقي الحديث ـ مرحلة وتطور.
(٤) أصيب الدكتور (جلال الخياط) بمرض غريب وصفه لي حينها في إحدى رسائله بقوله: «إنه يدعى بـ وهن العضلات الجسيم .. يؤثر في العضلات من غير انتظام، فأحيانا يصيب جهاز النطق فأخرس، وأحيانا المضغ، فأمتنع عن الطعام والشراب، وأحدث عندي ازدواجية في النظر... وهو مرض نادر جداً». من رسالة خاصة بتاريخ ٢٦/ ٣/ ١٩٩٧م بعثها إليّ الدكتور الخيّاط من بغداد حين كنت مقيماً في اليمن .
(٥) أشار إلى ذلك في رسالة بعثها إليّ من لندن بتاريخ ٢٧/ ٩/ ١٩٩٨م.
(٦) نشر عدداً طيباً من المقالات في صحيفة (الشرق الأوسط) الصادرة بلندن. وكان بعضها مما سبق له نشره في صحف ومجلات عراقية.
(٧) ظهر مرة على شاشة إحدى الفضائيات العربية، ليتحدث عن الشاعر الكبير (عبد الوهاب البياتي) في ليلة وفاته في .. وحين أشرت في إحدى رسائلي إلى ذلك أجابني: «سرر أنك شاهدتني في التلفزيون .. قبل ظهوري بأيام كسرت يدي اليمنى ولكنني وضعتها تحت الثوب . ولا أعتقد أن أحداً لاحظ ذلك . أما دوافع ظهوري، وأنا المبتعد عن ذاك : فالمناسبة ثم أنهم يدفعون أجوراً . وفعلا دفعوا لي سبعين باوناً كانت أيام الإفلاس ـ آنذاك ثروة». من رسالته التي وردتني من لندن بتاريخ ٢٩/ ٤/ ٢٠٠١م.
(٨) توفى الدكتور (جلال الخيّاط) في كانون الثاني من سنة٢٠٠٥ م.
(٩) جمع الدكتور (جلال الخيّاط) فصول كتابه هذا وعنونه، ولكنه توفي قبل طبعه فتولى ذلك الدكتور (عبد الواحد لؤلؤة) وكتب له مقدمته وصدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة٢٠٠٦م.
(١٠) د. جلال الخياط، المتاهات، ص٤٢.
(١١) د. جلال الخيّاط، التراث زمن متجدد، مجلة المورد، العدد٢، ص٩٣.
(١٢) د. جلال الخيّاط، المثال والتحول، ص٥.
(١٣) المتاهات،ص٥٨.
(١٤) الخيّاط، التراث زمن متجدد، ص٩٤.
(١٥) المصدر نفسه.
(١٦) المتاهات، ص٤٣.
(١٧) المصدر نفسه، ص٥٨.
(١٨) المصدر نفسه، ص٤٤.
(١٩) المصدر نفسه، ص٥٨.
(٢٠) ينظر: علي حدّاد، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، ص١٧ وما بعدها.
(٢١) د. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، بيروت ١٩٧٨م، ص١٢.
(٢٢) جبرا إبراهيم جبرا، ينابيع الرؤيا، بيروت ١٩٧٩م، ص١٤١.
(٢٣) د. جلال الخيّاط، التكسب بالشعر، ص٦.
(٢٤) الخيّاط، المورد، ص٩٣.
(٢٥) المتاهات، ص٤٨.
(٢٦) المصدر نفسه.
(٢٧) د. جلال الخياط، الشعر والزمن، ص٦.
(٢٨) المصدر نفسه، ص٩.
(٢٩) المصدر نفسه، ص٥.
(٣٠) المصدر نفسه، ص٢٠.
(٣١) الشعر والزمن، ص٢٠.
(٣٢) د. جلال الخيّاط، الأصول الدرامية في الشعر

العربي، ص٦١.
(٣٣) الشعر والزمن، ص٢٤.
(٣٤) المصدر نفسه .
(٣٥) المصدر نفسه، ص٢٧.
(٣٦) المصدر نفسه، ص٢٩.
(٣٧) المصدر نفسه، ص٢٩.
(٣٨) المصدر نفسه، ص٣٠.
(٣٩) المصدر نفسه، ص٢٩.
(٤٠) المصدر نفسه، ص٣٥.
(٤١) ينظر: المصدر نفسه.
(٤٢) المصدر نفسه، ص٤٠.
(٤٣) المصدر نفسه، ص٤٨.
(٤٤) المصدر نفسه.
(٤٥) المصدر نفسه، ص٥٣.
(٤٦) الخيّـاط، الأصـول الدرامية في الشـعر العربي، ص٥٧.
(٤٧) المصدر نفسه، ص٣٧.
(٤٨) المصدر نفسه، ص٣٨.
(٤٩) المصدر نفسه، ص٦٥.
(٥٠) المصدر نفسه، ص ٧٢.
(٥١) الخيّاط، المنفى والملكوت،ص٧٥.
(٥٢) الشعر والزمن، ص٤٥.
(٥٣) المتاهات، ص٤٨.
(٥٤) المنفى والملكوت، ص١٨.
(٥٥) ينظر: المثال والتحول، ص .
(٥٦) المصدر نفسه، ص٨.
(٥٧) المصدر نفسه ص٧ .
(٥٨) المصدر نفسه، ص١٠.
(٥٩) المصدر نفسه، ص
(٦٠) المتاهات، ص٥٤.
(٦١) المصدر نفسه، ص٤٨.
(٦٢) المصدر نفسه.
(٦٣) المصدر نفسه، ص ٥٢ .
(٦٤) المصدر نفسه.
(٦٥) المصدر نفسه، ص٥٣.
(٦٦) صالح، ص٤٥.

●مصادر القراءة ومراجعها:

● جبرا، إبراهيم جبرا :
- ينابيع الرؤيا، المؤسسـة العربية للدراسـات والنشر، بيروت ١٩٧٩م.
● حداد، د.علي:
- أثر التراث في الشـعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م.
● الخيّاط، د. جلال :
- الأصـول الدراميـة في الشـعر العربي، دار الرشـيد للنشر، بغداد١٩٨٤م.
- الـتراث زمن متجـدد، مجلة المورد، العـدد٢، بغداد ١٩٧٨م.
- التكسب بالشعر، دار الآداب، بيروت١٩٧٠م.
- الشعر والزمن، دار الحرية، بغداد ١٩٧٥م.
- المتاهات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد٢٠٠٠م.
- المثال والتحول في شـعر المتنبـي وحياته، دار الرائد العربي، بيروت١٩٨٧م.
- المنفـى والملكـوت، شركـة المعرفة للنـشر والتوزيع، بغداد ١٩٨٩م.
● صالح، د. بشرى موسى:
- منطق كالحرير_ جلال الخيّاط ناقداً، دار الشـؤون الثقافية، بغداد٢٠١٠م .
● محمود، د. زكي نجيب:
- تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت ١٩٧٨م
● وثائق:
- رسـائل خاصة بعثها الدكتور الخيّاط إلى المؤلف من بغداد ولندن.

The Heritage Approach in the Achievement of
Dr. (Jalal Al Khayyat)
And its academic and educational dimensions

By: Prof. Dr. Ali Haddad
(Center of revival of Arabic science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

Reading the heritage – especially the Arab literary heritage – represents one of the serious research tasks, examining carefully and empowering methodological tools that prepare the Iraqi academic student to work on during his mature stages full of deep systematic extrapolation carried out by prominent evident professors of attendance and status.

This reading seeks to clarify the nature of this achievement – which is close to the heritage and is exposed by the sensors of its detection – through the efforts of Professor Dr. (Jalal Al-Khayyat) – the Iraqi academic strenuousness of attendance, with its evident knowledge effort, distinguished awareness disclosures, and peculiarities in the character of the writing and its declared style. For a distinct aesthetic destination.



العلاّمة العفكاوي النجفي
وجهوده الإصلاحية في حوزة النجف الأشرف

أ.م.د. إيمان صالح مهدي*

● المقدمة:

لا يخفى على أحد ما لهذه المدينة الدينية والعلمية والثقافية من أثر في نشر العلوم والمعارف، فقد كان لمدارسها ومكتباتها وحوزتها الدينية الأثر الأكبر في رفد الحركة العلمية بقوافل من العلماء و الأدباء و الشعراء و المفكرين والكتّاب الذين كانت لأغلبهم وقفات مشرفة يشهد لها القاصي والداني، فالنجف أخذت على عاتقها القيام بأعباء كل علم، ولاسيما علمي الفقه والأصول فهي السباقة فيهما والمؤسسة لهما فضلا عن العلوم الأخرى، فهي حازت الرياسة العلمية، والزعامة الدينية، فكثر ازدحام أهل العلم ورجال الأدب من كل حدب وصوب، تسبق افكارهم أقدامهم، وتتسابق أقلامهم في حلبة التصنيف والتأليف فشقت عباب كل علم بفكر صائب وذهن متقد، ولا سيما في القرن الثاني عشر الذي ازدلف فيه العلماء إلى النجف الأشرف من كل بقاع الارض يحثون الركاب إليها لتتلاقح الأفكار وتتبادل الآراء لينتج عنها فيما بعد ما هو أقوم وأكثر أبداعا ليضيف تمييزا آخر لتلك البقعة المباركة في كل الميادين .

ومن العلماء الذين وفدوا على تلك البقعة المباركة، لينهل منها ويدلو بدلوه فيها هو العلامة خضر بن شلال العفكاوي النجفي، والذي سيسلط البحث الضوء على سيرته العطرة ، وجهوده في حوزة النجف الأشرف .

* جامعة بغداد/ مركز إحياء التراث العلمي العربي



لذلك سيقسم البحث على قسمين هما الأول:حياة المؤلف، والثاني جهوده الاصلاحية في الحوزة .

المبحث الأول: حياة المؤلف

● أولاً: اسمه وولادته، ونسبه:

هو الشيخ خضر بن شلال بن حطّاب الباهلي آل خدّام العفكاوي النجفي، ولد في عفك سنة ١١٨٠ هـ .

ينتسب ابن شلّال إلى آل خدام، وهم فخذ من آل شيبة الذين هم من باهلة، وباهلة قبيلة من قيس عيلان و ـ باهلة ـ اسم امرأة من همدان كانت زوجة معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده إليها، وقولهم: باهلة بن أعصر ؛ إنما هو كقولهم: تميم بن مرة .فالتذكير باعتبار الحي،والتأنيث للقبيلة،ولا فرق بين كون الاسم في الأصل لرجل أو امرأة[١].

وينقل صاحب أعيان الشيعة: وفي كتاب الأنساب للسيد مهدي القزويني آل شيبة قبيلة من عفك باهلة[٢].

و العفكاوي نسبة إلى عفك بعين مهملة مكسورة وفاء مفتوحة وتُسَكَّن عند النسبة، ومدينة عفك وتلفظ باللهجة المحلية عفج هي مركز قضاء عفك التابع لمحافظة القادسية (الديوانية) الواقعة في إقليم الفرات الأوسط من العراق أو جنوب وسط العراق. وتبعد عن مدينة الديوانية حوالي ٢٥ كم شمال شرق، وعن بغداد العاصمة بحوالي ١٧٠ كم جنوبا.

● ثانياً:هجرته إلى النجف

هاجر من عفك إلى النجف للالتحاق بالحوزة العلمية، فدرس فيها حتى أكمل العلوم العربية وحضر الدروس العالية على مشايخ عصره، ولم تذكر المصادر التي، ترجمت له أنه ترك النجف أو عاد إلى عفك أو إلى أي مدينة أخرى فكأنه وجد ضالته في تلك البقعة المباركة .كما أغفلت المصادر عن ذكر عمره حال دخوله النجف الأشرف، والذي يبدو لي أنه دخلها وهو في العشرينات من عمره معتمداًعلى سنة والدته وتتلمذ على السيد مهدي بحر العلوم (قدس الله سره)، فتعلم فيها المبادئ وأتقن الأوليات، وجدّ في تحصيل العلم .

● ثالثاً: نشأته العلمية، شيوخه وتلامذته

ما هجرة الشيخ خضربن شلال من مدينته عفك إلى النجف الأشرف إلا لتحصيل العلم، فالتحق بحوزتها وتلقى العلم على علمائها والتلمذة على شيوخها المعروفين في زمنه، فدرس فيها حتى أكمل العلوم العربية وحضر الدروس العالية على مشايخ عصره، حتى برز في الفضل بين معاصريه،وأصبح في طليعة فقهاء عصره الأكابر،ومراجعه المقدمين، ومن أشهر شيوخه:

١ـ السيد محمد مهدي الطباطبائي المعروف بالسيد بحر العلوم (١١٥٥-١٢١٢هـ) الذي أصبح صاحب سره.

٢ـ الشيخ جعفر الكبير صاحب (كاشف الغطاء) (١١٥٦ هـ – ١٢٢٨ هـ) والذي أصبح الشيخ خضر من أجل تلاميذه .

٣ـ الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء(١١٨٠-١٢٤١ هـ).

٤ـ الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء(١٢٥٣ هـ) .

٥ـ الشيخ موسى آل محبوبة[٣].



٦ـ الشيخ علي آل محبوبة.

● تلامذته

تتلمذ عليه العديد من الأعلام الذين صاروا فيما بعد شيوخا لهم مكانتهم في ميادين العلم والمعرفة، أجاز لبعضهم رواية بعض كتبه،ومنهم:

١ـ الشيخ عبد الكريم الكرماني النجفي، وحصل منه على إجازة علمية في جمادي الأولى عام ١٢٤٧ هـ، متوسطة يروي فيها عن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء وعد فيها جملة من تصانيفه، التحفة الغروية في شرح اللمعة الدمشقية، جنة الخلد، معجز الامامية، أبواب الجنان مصباح الرشاد، نجم الهداية، هداية المسترشدين، مصباح الحجيج، مصباح المتمتع، عصام الدين، وغير ذلك [٤].

٢ـ السيد محمد بن الحسين بن محمد رضا التنكابني[٥].

٣ـ السيد علي ابن السيد إسماعيل الغريفي الموسوي البحراني(ت ١٢٤٦هـ)[٦].

٤ـ الشيخ حسن بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المحسني الإحسائي الفلاحي(١٢١٣ ١٢٧٢ هـ)[٧].

● رابعاً: مؤلفاته

ترك الشيخ خضر (رحمه الله تعالى) العديد من المؤلفات [٨]، التي تكشف بصورة واضحة عن المقام العلمي الذي كان يتمتع به في مدرسة النجف الأشرف في القرن الثالث عشر الهجري فكانت آثاره جليلة إلا أن من المؤسف أنها لم تر النور، فما زالت تنتظر من ينفض عنها غبار الزمن ليحققها وليخرجها إلى عالم الطباعة والنشر، وهي كالآتي:

أولًا: في الفقه والأصول

١- التحفة الغروية في شرح اللمعة الدمشقية وقد وصل في شرحه إلى كتاب الحج[٩].

٢- رسالة في عمل المقلِّدين .

٣- رسالة في الفقه .

٤- عصام الدين: ذكره في إجازته للشيخ عبد الكريم الكرماني عام ١٢٤٧ هـ .

٥- كتاب سحر الإمامية[١٠].

٦- كتاب معجز الإمامية .

٧- مصباح الحجيج .

٨- مصباح الرشاد .

٩- مصباح المتمتع في مناسك حج التمتع.

١٠- مختصر شرح اللمعة من أول الطهارة إلى تمام الصلاة .

ثانيًا: علم الكلام وأصول الدين

١- جنة الخلد في أصول الدين وفروعه وهو رسالة عملية [١١].

٢- كتاب المعجز .

ثالثًا: الأدعية والزيارات

١- أبواب الجنان وبشائر الرضوان، وهو في الزيارات وأعمال السنة وسائر الأحراز والأدعية ويعرف باسم (مزار الشيخ خضر شلال) وقد رتبه على مقدمة في فضل مكة وسائر المشاهد وأبواب ثمانية تشبيهًا للكتاب بالجنان وترغيبا في اتخاذه جُنَّة عن النيران وقد تفرعت من كل باب عدة فصول وفرغ منه في شعبان عام ١٢٤٢ هـ [١٢]. قال فيه الشيخ خضر:إن أبواب الجنان هذا كتاب لم يسمح الدهر بمثله[١٣].

٢- كتاب الأدعية، أو مجموعة الأدعية .

٣- هداية المسترشدين (هدية الزائرين).



٤- نتيجة الهداية .
٥- نجم الهداية وهو شرح على كتاب هدية المسترشدين .
أفرد الشيخ المحقق أغا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة عنوان (المزار) ككتاب مُستقل عن كتاب أبواب الجنان، لكن مصادر أخرى أشارت إلى أن المزار أو مزار الشيخ خضر هو اسمٌ متداول لكتاب أبواب الجنان وليس كتاباً آخر.

●خامساً: ذريته

لم يُعقّب الشيخ خضر (رحمه الله تعالى) بعده إلا بنتاً واحدة تزوّجت من السيد سلمان بن هاشم الرفيعي وهو أحد أشرافهم سادن الروضة الحيدرية، وكانت من الكمال والإيمان بمراتب، وأنجبت منه: السيد عزيز، والسيد كريم، والسيد هاشم، وكل واحد من هؤلاء له أولاد.[١٤] وللشيخ أخ فاضل أديب وهو الشيخ محمد شلال، والد الشيخ موسى شلال[١٥].

● سادساً: كراماته

فالكرامة في اللغة:اسم يوضع للإكرام، كما وضعت الطاعة موضع الإطاعة، ويقال:كرم الشيء الكريم كرما وكرّم فلان علينا كرامة [١٦].
الكرامة في الاصطلاح: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة [١٧].
كان شيخنا العفكاوي من الذين أظهر الله تعالى على أيديهم الكرامات الواضحات، وما ذلك إلا لقوة إيمانه ويقينه، وقد ذكرت مصادر ترجمته أخباراً عن كراماته، منها:

١-كرامة الاستسقاء

اشتكت النجف الأشرف عاماً من الجدب والجفاف فلجأ الناس إلى كبير علمائهم في عصره وهو العلامة الشيخ خضر شلال .
قال الشيخ النوري: حدثني الثقة الصالح التقي السيد مرتضى النجفي،قال: حبست السماء قطرها في بعض السنين،فضاق الأمر على الناس،واشتدت الحال بالمواشي؛ فخرج الشيخ للاستسقاء في جماعة كبيرة من الرجال والنساء والصبيان وكنت معهم،فأتينا معه إلى المقبرة المعروفة بوادي السلام خارج النجف الأشرف فصلى ودعا،فأمنا وتضرعنا،ولما قرب أوان رجوعنا إذا بجماعة من العامة من أهل بغداد أتوا من كربلاء، وفيهم بعض القضاة الكبار والمفتين من كلاب النار، وقاضي القضاة الذي كان مقيما في بغداد من قبل سلطان الروم،وقد عزل، وأتى إلى المشهد ليزور ويودع ويرجع .
فلما قربوا من المشهد وصعدوا على التل المماس بسور البلد المشرف على القبور وشاهدوا الاجتماع والغوغاء وأصوات الباكين وتضرعهم، سألوا عن القضية ؟ فأُخبروا بسببه،فوقفوا مستهزئين مستنكرين متعجبين من احتمال استجابة الدعاء من الروافض الذين هم عندهم من الأشرار الذين يسألون عنهم في النار قائلين: **(مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ* أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ)**[١٨]. وقيل لهم: إن لهم شيخا هو المقدم في السؤال والدعاء الذي يرجون بدعائه كشف ما بهم من البؤس والأدواء،فأخذوا يضحكون



ويسخرون،ونزل القاضي وأمر ببسط فراشه فقعد عليه واشتغل بشرب الغليان وسبِّ أهل الإيمان .

فاطلع الشيخ بما هم فيه من الهزءِ والمسخرة والسب، وكان الناس آيسين متوقعين رجوعه ورجوعهم، فتغيّرت حال الشيخ وهاج غضبه، وتحركت غيرته ونادى الناس: إلى أين تذهبون وهؤلاء الكلاب والخنازير يستهزئون بنا؟ ولا نرضى بأن نكون ناكسي الرؤوس عندهم؛ فو صاحب هذه القبة الشريفة لا نرجع إلى البلد إلّا أن نستقى هذه الساعة أو نتفرق في هذه البراري والقفار، فنموت عن آخرنا؛ فوقف الناس فأمر الناس بكشف الرؤوس فكشفوا وصرخوا جميعا صرخة واحدة، فقام فيهم وقال: يا رب كنت أستسقي إلى هذه الساعة متضرعا مستكينا، والآن وقد اطلع علينا هؤلاء النُّصاب أستسقي مستحقاً، فو عزتك لا ندخل البلد إلا بعد الاستجابة،ولا نرضى بافتضاحنا بينهم في بلادهم .

قال: فو الله الذي لا إله إلا هو ما تمَّ كلامه إلا وقد ظهر سحاب مقدار الكف، وما مضت خمس دقائق إلّا وملأ الأفق ! فخرج الودق من خلاله كالميازيب وأراد الناس أن يتفرقوا فمنعهم الشيخ، وقال: لا، حتى تبتلوا جميعا، واشتد المطر بحيث لم يقدر القاضي على الركوب، وكان يتعجب ويقول: استسقى أهل بغداد وكربلاء، فما استجيب لهم ! فكيف استجيب لهؤلاء الروافض ؟فقيل له: إنك صرت سبب الإجابة بما فعلت من الهزء والسب، فأحب الاجتماع مع الشيخ، فاجتمع، فقيل: إنه رجع إلى الحق، والله العالم(١٩).

أقول: وهذه كرامة كبيرة له من الله تعالى لا تعطى إلا لمن كان وجيهاً عند الله، فاستجابة الدعاء والقبول عند الله تعالى مرتبة عالية لا يحصل عليها إلا من أخلص لله تعالى في سره وعلنه ويؤكد ذلك الحديث القدسي الشريف: « عبدي أطعني تكن مَثَلي تقول للشيء كن فيكون» يعني تكون لك القدرة التي يعطيك الله اياها إذا كنت مطيعا لله ذائبا فيه تعالى تكون لك كرامة عنده وهي استجابة الدعاء في كل وقت وحين . وشيخنا العفكاوي كان مثالا أعلى يحتذى به في يقينه وإيمانه وتقواه وثقته بالله تعالى ويضرب به المثل في الزهد والورع والعبادة فكان من الأخيار الأبرار.

٢-القلم المهدى له من أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام)

قال الشيخ أغا بزرك الطهراني (رحمه الله تعالى): ذكرنا ما سمعناه عن بعض المعاصرين من أن الشيخ خضر (رحمه الله تعالى) قد كتب كتابه أبواب الجنان بالقلم الذي كتب به جملة من مجلدات التحفة وهو القلم الذي أعطاه إياه أمير المؤمنين (ع) في المنام فوجده بيده بعد الانتباه: فقلنا إن ذلك من كراماته قدس الله سره ولكن رأيت بخط يده ما يدل على أن الرؤيا ليست له وإنما رواها عن بعض إخوانه، فهو في كتابه التحفة الغروية قال في أواخر كتاب الميراث منه: «وقد عرض على أمير المؤمنين (ع) بعض إخواني في العالم الذي من رآهم فيه فقد رآهم جملة من طهارة هذا الشرح فأعطاني بعد أن نظر فيه بعين الرضا أشياء نفيسة منها قلم لم ير الراؤون مثله» وهو صريح الدلالة على أن الرائي أحد إخوانه



المؤمنين وأن اعطاء القلم في عالم الرؤيا لا في اليقظة؛ وببركة هذا القلم المعطى له في الرؤيا التي راها بعض إخوانه سهل الله عليه تأليف عدة مجلدات في الفقه في مدة غير طويلة[٢٠].

٣-علمه وهو ميت بطلب المجاهد شيخ الشريعة الأصفهاني (ت ١٣٣٩هـ) قال الشيخ المجاهد شيخ الشريعة الأصفهاني: كنت أيام دراستي ضعيف الحال، وإذا احتجت إلى مراجعة كتاب لم أتمكن من شرائه أذهب إلى شيخنا الأستاذ الفقيه الأكبر الشيخ محمد حسين الكاظمي (رحمه الله) صاحب (البغية) فأستعيره منه،فاتفق مرة أن احتجت إلى بعض الكتب، وكان الوقت ظهرا وفي أيام الصيف، فقصدت دار الاستاذ، فلما مررت على مقبرة الشيخ خضر فكرت في الأمر، وخشيت أن يكون الشيخ الأستاذ نائما، فوقفت عند القبر وقرأت سورة (يس) رجاء أن يفوت الوقت قليلا، ولئلا يكون رواحي في ذلك الوقت مزعجا للشيخ .

ولما انتهيت منها ذهبت إلى دار الأستاذ،فطرقت الباب ولم يجبني أحد،فتأخرت قليلا ثم طرقتها من جديد،وإذا بالشيخ الأستاذ نفسه وبيده الكتاب الذي أنا طالبه،فاستغربتُ الحالة، وقلت للشيخ: من أعلمك أنني على الباب؟ ومن قال لك إني أريد هذا الكتاب؟



فقال: كنت نائما، فرأيت الشيخ خضر العفكاوي في عالم الرؤيا فقال لي: سيجيؤك فلان وهو بحاجة إلى الكتاب الكذائي فقم وهيأه له، فانتبهت وذهبت إلى المكتبة، فأحضرت الكتاب، ولما طرقت الباب في المرة الأولى كنتُ أفتش عنه بين الكتب، فذهلت ُونقلتُ له ما كان من أمري مع الشيخ أعلى الله مقامه[٢١].

٤-صاحب سر السيد مهدي بحر العلوم(قدس الله سره).

نقل الشيخ خضر (رحمه الله) بنفسه حادثة له مع السيد بحر العلوم، حيث أنه لما وصل الباب الخامس من كتابه خذا (أبواب الجنان) إلى فضل زيارة العسكريين (عليهما السلام) وذكر زيارتهما ووداعهما، قال: « نعم، لا ريب في ارجحية التأخر عن ضريح الهادي (عليه السلام) بمقدار ذراع أو أزيد عند زيارته (عليه السلام) لِما بلغنا من أنه مقدم على الشباك المنصوب في عصرنا، ويرشد إليه أنّي تشرفت بزيارته مع جماعة من العلماء والصلحاء وفيهم من يحمل العلم من العلويين،فأخبرني بما يقتضي بتشويشه واضطرابه من أنّه وقف قريبا من الضريح المشرّف مستدبرا للقبلة، وإذا بصوت من الضريح يأمره بالتنحي عن موقفه،وما ذلك إلّا لذلك»[٢٢].

ويظهر من القرائن العديدة أن المراد بالعلوي الحامل للعلم هو السيد مهدي بحر العلوم، ثم حكى ما سمعه صريحا من شيخه وفقيه عصره الشيخ عبد الحسين الطهراني طاب ثراه من أنه السيد بحر العلوم، ويظهر من أخبار السيد له خاصة دون سائر من معه من العلماء أنه كان من أصحاب سره [٢٣].

وهذه منزلة للشيخ أكبر من أن ينالها نائل أو يخدشها خادش، وكراماته إلى اليوم تناقلها الناس، فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّا.

● **سابعاً: أقوال العلماء فيه**

وقد عرف الشيخ خضر بن شلال بتقواه وزهده وكان يتمتع بالصفاء والبساطة،. وأنه كان من العلماء المجتهدين المقلَّدين وأشارت المصادر إلى علميته وفقهه، وزهده وعبادته، كثير الأُنس بمسجد الكوفة، لذلك ترك أثرا طيبا في نفس كل من عرفه، من العلماء وبسطاء الناس،لذلك قيل فيه:

وصفه الميرزا النوري بقوله: «الشيخ المحقق الجليل والعالم المدقق النبيل صاحب الكرامات الباهرة المعروفة كان من أعيان هذه الطائفة وعلمائها الربانيين الذين يضرب بهم المثل في الزهد والتقوى واستجابة الدعاء»[٢٤].

وقال السيد الأمين في الأعيان: «كان عالماً فقيهاً زاهداً ورعاً تنسب إليه كرامات، ومن أجلّ تلاميذ الشيخ جعفر صاحب كاشف الغطاء له كتب قيمة ومتنوعة توفي سنة ١٢٥٥ هـ»[٢٥].

قال عنه الشيخ حرز الدين في المعارف: «العلاّمة العابد والتقيّ الزاهد الورع، وممّن يُستسقى به الغمام إذا منعت السماء قطرها . حريٌّ بأن يُوسَم بمعجز الشيعة وحافظ الشريعة . وروى الكثيرُ عنه الكرامات والصفات العالية» [٢٦] .

يقول الشيخ أغا بزرك الطهراني: «أنه كان من أهل التقى في عصره وأبرزهم في الزهد والصلاح وسلامة الباطن»[٢٧].

وقال الشيخ آل محبوبة: «كان عالمًا عاملًا فقيهًا أصوليًا ثقة عدلًا صادقًا صافي القلب خيّرا ديّنا ورعا زاهدا عابدا» [٢٨].

يقول الشيخ عباس القمي: « أنه عالم فاضل جليل وفقيه نبيه نبيل ومحدث ماهر»[٢٩].

● **ثامناً: وفاته**

توفي الشيخ (قدس الله سره) وقد ناهز الثمانين سنة[٣٠]في مدينة النجف الأشرف عام ١٢٥٥ هـ - ١٨٣٩ م . ودفن فيها، وقال الشيخ آل محبوبة عن قبره: «وله مرقدٌ ظاهرٌ مشهور يُزار ويُتبرّك به عند ابتداء شارع السلام مقابل مدرسة الحاج ميرزا حسين الخليلي الكبيرة يقرأ له الفاتحة الرائح والغادي»[٣١].

وكان قبره مشهوراً ومعروفاً ويُزار في (محلة العمارة) بداره الكبيرة في غرفة منها مطلة على الشارع المعروف بشارع السلام، وفي السنوات الأخيرة ١٩٨٩م فتحت الدولة شارعاً جديداً في النجف الأشرف فهدّمت الكثير من مقابر العلماء وكانت منها مقبرة الشيخ خضر شلاّل فأخرج من قبره طريّاً لم تغيّر المائة والخمسون سنة منه شيئاً فشُيّع تشييعاً عظيماً اشترك فيه جلّ أهل النجف وتنازعت عدّة عشائر في أن تحظى بدفنه في مقابرها مدعية معه الرحم والقرابة [٣٢].

وشاهد قبره مكتوب عليه اسمه،وسنة وفاته، وبيتين من الشعر في مدحه رحمه الله تعالى:

هو الخِضرُ في فيه ماء الحياة
وفي فضله تشهد الكائنات
فكم من سجايا له صالحات
لحشر الورى في الملا باقيات[٣٣]

المبحث الثاني: جهوده الاصلاحية .

بعد أن وقفنا في المبحث الأول على سيرة الشيخ الجليل وتعرفنا على مقامه العالي، ومكانته الكبيرة عند الخاصة والعامة، وعلمنا قربه من الله تعالى وما خصه به من



كرامـات، ومـا حصوله عـلى هذا القـرب إلا بطرائـق متعـددة و وسـائل متبددة،نال بها قرب معشـوقه الواحد الأحـد، وكان أوضحها سـبيلاً و برهاناً، وأعلاها شرفـاً ومكاناً، ذلك الطريق الذي سـلكه رابـع الأئمة المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) الإمام زين العابدين عليه السلام ألا وهو الدعاء فهو المنهج العلمي والعملي ذو الآثار المتعددة لشموليته واتساعه، فهو للدنيا والآخرة، ولأهميته البالغة أكد عليه اللـه تعالى في أكثر من موضع في كتابه العزيز كقوله تعالى:(**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**)[البقرة /١٨٦]، وقوله تعالى: (**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ**) [النمل/٦٢]وقولـه تعالى:(**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَره الْكَافِرُونَ**) [غافر/١٤]،وقوله تعالى: (**قلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّـي لَـوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَـدْ كَذَّبْتُمْ فَسَـوْفَ يَكُونُ لِزَامًا**)[الفرقان /٧٧] وغيرها كثير .

وأكد رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على أهمية الدعـاء في أكثر من حديث شريف، كقولـه (صلى الله عليه وآله وسـلم) « الدعاء مفتـاح الرحمـة، والوضـوء مفتـاح الصلاة، والصـلاة مفتاح الجنـة»[٣٤]، وقوله: « الدعاء جُنُـدٌ من أجناد الله مُجندٌ يردُ القضاءَ بعد أن يـبرم»[٣٥]، وقوله: « الدعاء هـو العبادة»[٣٦]، و«الدعاء يرد البلاء، والدعاء سلاح المؤمن»[٣٧]. فهو سـلاح الأنبيـاء والمؤمنين،لإصلاح العباد والنفـس، فهـو يعلمنـا التـأدب والخضوع عنـد مناجـاة اللـه تعـالى، ويعلمنـا تجاوز الأفـق الضيـق للنفـس الإنسـانية وأنانيتها لأنـه يحث على شـمول الآخرين بـه والصفح عنهم والتجـاوز عن أخطائهـم، والدعاء لهم في قضـاء حاجاتهـم، فقـد ورد عـن الزهراء فاطمة(صلـوات الله وسـلامه عليها) أنها إذا دعـت تدعـو للمؤمنـين والمؤمنـات ولا تدعو لنفسها، فقيل لها، فقالت:الجار ثم الدار.

والنفـوس التـي تتربـى على هـذه المفاهيم سـتكون إنموذجا صادقا للسـلام والأمان في المجتمع، فهي تملك مقومات تؤهلها لإصلاح المجتمـع في كل وقت ومن أي مكان بعيداً كان أم قريبـاً، وإن المتتبـع لسـيرة الأئمة الأطهار (عليهـم الصلاة والسـلام) يجد نفسـه أمام سلسـلة مترابطة متصلة من المبادئ والأفكار والرؤى، فكل منهم يكمّل الآخر لذلك تعددت أدوارهم وتوحد هدفهم.

لذلك نجـد الإمام زين العابدين (عليه الصلاة والسـلام) اتخذ مـن الدعاء منهجـاً لإصلاح الأمـة، لأنه – الدعـاء- هو الأنسـب للإصلاح في وقتـه، والأوقع في النفـوس، فكانت أدعيته ومناجاته مصـدراً للعطاء ومشـعلاً للهداية ليس في وقت وجوده (عليه الصلاة والسـلام) فقط،بـل أصبحـت الصحيفـة السـجادية مدرسة لمن أراد أن يتعلم كل ما يرقى به نحو السمو والرفعة، وستظل كذلك لأن ما كان لله تعالى ينمو، يقول السـيد الشهيد محمد باقر الصـدر (قدس الله نفسـه الزكية) في تقديمه للصحيفة السجادية الكاملة: «... وأما الخطر الآخر: فقد نجم عن موجة الرخاء التي سادت المجتمـع الإسـلامي في أعقـاب ذلـك الامتداد



الهائل، لأن موجات الرخاء تعرّض أي مجتمع إلى خطر الانسياق مع ملذات الدنيا والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة وانطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله تعالى واليوم الآخر وبما تضعه هذه الصلة أمام الإنسان من أهداف كبيرة...»، وهذا ما وقع فعلا، وتكفي نظرة واحدة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ليتضح الحال. وقد أحس الإمام علي بن الحسين بهذا الخطر وبدأ بعلاجه واتخذ من الدعاء أساساً لهذا العلاج .وكانت الصحيفة السجادية التي بين يديك من نتائج ذلك . فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما أوتي من بلاغة فريدة وقدرة فائقة على أساليب التعبير العربي وذهنية ربانية تتفتق عن أروع المعاني وأدقها في تصوير صلة الإنسان بربه ووجده بخالقه وتعلقه بمبدئه ومعاده وتجسيد ما يعبر عنه ذلك من قيم خلقية وحقوق وواجبات، أقول: قد استطاع الإمام علي بن الحسين بما أوتي من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدعاء جواً روحياً في المجتمع الإسلامي يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات وشده إلى ربه حينما تجره الأرض إليها وتأكيد ما نشأ عليه من قيم روحية لكي يظل أميناَ عليها في عصر الغنى والثروة كما كان أمينا عليها وهو يشد حجر المجاعة على بطنه .

وقد جاء في سيرة الإمام أنه كان يخطب الناس في كل جمعة ويعظهم ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة ويقرع اسماعهم بتلك القطع الفنية من ألوان الدعاء والحمد والثناء التي تمثل العبودية المخلصة لله سبحانه وحده لا شريك له.

وهكذا نعرف أن الصحيفة السجادية تعبر عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام إضافة إلى كونها تراثاً ربانياً فريداً يظل على مدى الدهر مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظل الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمدي العلوي وتزداد حاجة كلما ازداد الشيطان إغراء والدنيا فتنة.

فسلام على إمامنا زين العابدين يوم ولد ويوم أدى رسالته ويوم مات ويوم يبعث حياً»[٣٨].

لكل ما تقدم يتضح لنا أن الشيخ خضر العفكاوي اتبع في إصلاحه منهج الإمام زين العابدين (عليه الصلاة والسلام)، إذ اتخذ من الدعاء وسيلة لإصلاح الناس، تنبؤنا بذلك أغلب مؤلفاته التي تتناول الدعاء والزيارة مبينة فضلهما، واهميتهما، وعلو مكانتهما، وبما أنه لم يصل إلينا من مؤلفات الشيخ خضر العفكاوي إلا كتابه أبواب الجنان وبشائر الرضوان، لذلك سيسلط البحث الضوء عليه.

أن أبواب الجنان هذا كتاب لم يسمح الدهر بمثله هذا ما قاله الشيخ خضر عن مؤلفه وذكر أنه كتبه بالقلم الذي كتب به جملة من مجلدات شرحه المسمى التحفة الغروية في شرح اللمعة الدمشقية وهو القلم الذي أعطاه إياه أمير المؤمنين(عليه السلام) في المنام فوجده بيده بعد الانتباه وذلك من كراماته قدس الله سره .



وكان فراغــه مــن شرح المــيراث في كتابه التحفــة الغرويــة ســنة ١٢٤٥، فيظهــر أن تأليف أبــواب الجنان كان قبل هــذا التأريخ، لوجود نســخة منــه ناقصة الآخــر في خزانة كتب الســيد أبي محمد الحسن صدر الدين، قال في أوله: «الحمد لله اللطيف بعبادة حيث أمرهــم بعبادته إلخ « ذكر فيــه أنه لما بلغ في كتاب شرح اللمعة الموســوم بالتحفة الغروية إلى آخر كتاب الحج كان المناســب بيان زيارة النبي وســائر ألائمة(عليهم الســلام) وبعض الأدعيــة والأعمال فكتــب أبــواب الجنان هذا مترتبًــا على مقدمة في فضل مكة والمســجدين وســائر المشــاهد للائمة(عليهــم الســلام) ثم أبواب ثمانية تشبيها للكتاب بالجنان وترغيبا في اتخاذه جُنّة عن النيران وكل باب مرتب على فصول وذكر فهرس الأبواب والفصول في أوله هكذا:

(البــاب الأول) في فضــل الزيــارات وآدابها في فصلين.

(البــاب الثانــي) فيما يتعلــق بالمدينة في أحد عشر فصلًا.

(البــاب الثالث) في زيارة النجــف والكوفة في اثني عشر فصلًا.

(الباب الرابــع) في زيارة الحائــر الشريف في اثني عشر فصلًا.

(الباب الخامس) في زيارة الكاظمية وسامراء في أربعة فصول.

(البــاب الســادس) في الزيــارات الجماعــة والاستغاثات في سبعة فصول .

(البــاب الســابع) في أعمال الشــهور في اثني عشر فصلًا.

(الباب الثامن) في النوادر في ثلاثة فصول من أدعيــة اليوم والليلــة، والتعقيبات وغيرها من أعمال النيروز، وبعــض الأدعية والأحراز مما لا يختص بوقت خاص، وتوجد نسخة أخرى أيضــا ناقصة في بيت الســادة آل الخرســان في النجف والنســخة التامــة توجد في الخزانة الرضوية، فرغ منه من شعبان سنة ١٢٤٢.

ويضع شــيخنا المؤلف منهجاً لنفســه يســير عليــه في كتابــه ، فيقــول في أولــه: «وقد ذكر علماؤنا وأسلافنا ـ طاب مثواهم ـ جملة منها أي مــن الأعمال والآداب وما أرشــد الشــارع إلى التحصين بها في كتبهــم الفقهية الفرعية، وألفوا في نبذة منها كتبا مستقلات،مختصرات ومطولات،لكنها غير نقية مــن خلل،إما بذكر مالا مســتند له يســوغ به العمل،وإما بإطالة تبعث على طول الملل.

فحدثتني نفسي مــراراً أن أخلّد في ذلك مزاراً، أقتــصر فيه على ما تأكد اســتحبابه ... وصح التعويل عندي عليه ،بنســبه إلى أهل العصمة ومنبع الحكمة أو فتوى العلماء القدماء الذين ســجيتهم الفتوى بمعاني الاخبار ومضامين الآثار،أو ما اقتضاه الاحتياط مؤيدا بالاعتبار، غــير أنــه شــغلني عنه اشــتغالي بمــا لزمني تحريره مــن المســائل الشرعيــة في العبادات البدنية والمالي»[٣٩].

وقراءة متأنية في كتابه تطلعك على التزامه بما ألزم به نفسه من:

١-الاختصار وعدم الإطالة .

٢-نقل الصحيح من المرويات المعوّل عليها .



٣-لـم يذكر في كتابه ما ليـس مروياً عن أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام).
٤-التركيز على ذكر المفيد والمهم من كل مطلب
٥-معاملة مرويات الزيارات والأدعية معاملة المرويات الفقهية من حيث الاستنباط، والابانة، والجمع، والطرح، والترجيح، وتحكيم القواعد والأصول، ثم الخروج بالنتيجة المتوخاة .
وعـلى هذا يعلق محقـق الكتاب قائلا: «وذلك مالم يسـبقه إليـه أحد،فإنه بذلـك زاوج بين الفقه والمـزارات، وفتح للعلماء وللفضلاء بابا جديدا في هذا المضمار، وإن كنا لا ننكر إكثاره الاستفادة من إفادات العلامة المجلسي (رحمه الله) في البحار وزاد المعاد وتحفة الزائر، لكن مـا أتى بـه هو شيء آخر تلحـظ فيه بصمات الفقيه بكل وضوح»[٤٠].

●هوامش البحث

(١) طبقات أعلام الشيعة:ج ١١/ص٤٩٨.
(٢) أعيان الشـيعة. محسـن الأمين، طبـع بيروت - لبنان، منشورات دار التعارف، ١٩٥٠.
(٣) ذكـر محبوبـة في مـاضي النجـف أن صاحـب الحصون قال بأنه حضر على الشيخ موسى ومن بعده على أخيه الشيخ علي، ج٢/ص ٢٦٥.
(٤) الذريعة:ج ١/ص٣٩٠ .
(٥) ينظر: مسـتدرك أعيان الشـيعة، السـيد حسن الأمـين ج٣/ص٢٥٠ وتراجم الرجال: للسـيد احمد الحسيني، ج١/ص ٥٠٢.
(٦) أعيان الشيعة ج٨/ص١٦٧.
(٧) الشيخ حسن بن الشـيخ أحمد بن الشيخ محمد المحسني الأحسـائي الفلاحي (١٢١٣ - ١٢٧٢هـ)، من أعلام الفلاحية بخوزسـتان، من مؤلفاته: تعليقة على جواهر الـكلام، وتعليقة عـلى الحدائق، وتعليقة على كفاية السبزواري، وتعليقة على مفاتيح الشرائع، وحاشـية على البحار، وحاشـية على وسائل الشيعة، وديوان شعر، ورسالة في أجوبة مسائل الشيخ محمد الصحـاف، ورسـالة في حل أخبار الطينة، والمسـائل الجبارية، ومناسك الحج، ومنظومة في أصول الفقه .
(٨) ينظـر: مقدمة المحقق لكتاب أبواب الجنان، كما ذكـر لي الدكتور محمـد عزيز عبد الأمـير الوحيد أن أغلب مؤلفات الشـيخ هي مازالت مخطوطات لم ير النـور منها إلا قليلاً ككتابه أبواب الجنان، وأن العمل جار في قم المقدسة على إخراج كتابه التحفة الغروية .
(٩) يقـول الشـيخ الطهراني: أن كتـاب الميراث من اللمعـة الدمشـقية هو الذي سـماه بالتحفة الغروية ويقـع الكتاب في عدة مجلدات فرغ مـن المجلد الأول عام ١٢٢٩ هـ ومن المجلد الثاني عام ١٢٣٤ هـ ومن المجلد الثالث عام ١٢٣٦هـ . ويقول السيد الأمين:أنه فـرغ من كتاب الحج عـام ١٢٤٠هـ ووجد جزء منه في شرح كتـاب المواريث فرغ منه عام ١٢٤٥ هـ ولم يعلم أنه أتمه أملاءه ، ينظر: طبقات أعلام الشيعة:ج ١١/ص٤٩٧، أعيان الشيعة:ج٦/ص ٣٢٢.
(١٠) ذكـره آل محبوبـة في مـاضي النجـف وحاضرها:ج٢/ص ٢٦٥.
(١١) ذكـره آغا بـزرك الطهرانـي في ذريعته بقوله: رسـالة عملية مرتبـة على مطلبـين؛ أولهما في أصول الدين، وثانيهما في فروعه من الطهارة إلى آخر الصلاة وأشار الطهراني إلى أن الشيخ خضر قد أهدى نسخة مـن الكتاب إلى الفاضل المولى محمد الجاوجاني الذي كان في النجف في سنة ١٢٤٤ هـ . وقد فرغ من تأليفه في سـنة ١٢٤٣ هـ الذريعة ج ١٣ ص ٢٥٨، وينظر: طبقات أعلام الشيعة:ج١١/ص ٤٩٨.



(١٢) ينظر: الذريعة ج ٢٠/ص ٣١٨.
(١٣) المصدران السابقان.
(١٤) ينظر: طبقات أعلام الشيعة:ج١١/ص٤٩٦.
(١٥) ينظر: أبواب الجنان:مقدمة المحقق.
(١٦) لسان العرب: كرم.
(١٧) التعريفات:ص ١٤٩.
(١٨) سورة ص /الآية ٦٢ـ ٦٣.
(١٩) أبواب الجنان: مقدمة المحقق.
(٢٠) طبقات أعلام الشيعة:ج١١/ص ٤٩٧.
(٢١) المصدر نفسه: ج١١/ص٤٩٥.
(٢٢) أبواب الجنان: ص٢٠ـ٢١.
(٢٣) طبقات أعلام الشيعة:ج١١/ص٢٩٤.
(٢٤) أعيان الشيعة: ج٦/ص ٣٢٢.
(٢٥) المصدر نفسه:ج٦/ص٣٢١.
(٢٦) معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء: ج ٢/ص١٣٥.
(٢٧) طبقات أعلام الشيعة :ج١١/ص٤٩٤.
(٢٨) ماضي النجف وحاضرها: ج٢/ص٢٦٤.
(٢٩) الفوائد الرضوية: ص١٦٨.
(٣٠) ذهب السيد الأمين في الأعيان انه تجاوز السبعين، وكذلك الشيخ آل محبوبة.
(٣١) ماضي النجف وحاضرها:ج ٢/ص٢٦٥.
(٣٢) ينظر: النجفيات: ص ١٦٠ـ ١٦١ .
(٣٣) مراقد المعار:ج١/ص٢٧٦.
(٣٤) جامع الأحاديث:ج١٣/ص٣.
(٣٥) الجامع الصغير:ج٢/ص ١٥٦ رقم الحديث ٤٢٦٤.
(٣٦) سنن أبي داود:ج٢/ص٧٦ رقم الحديث ١٤٧٩.
(٣٧) طبقات المحدثين باصبهان والواردين عليها: ج٥/ص ٣٧ رقم الحديث ١٣٧١.
(٣٨) الصحيفة السجادية الكاملة: ص١٥ـ ١٨ .
(٣٩) أبواب الجنان: ج ٤٢.
(٤٠) المصدر نفسه: ص ٢٨.

● المصادر

- أبواب الجنان وبشائر الرضوان: تأليف الشيخ خضر بن شلال آل خدّام العفكاوي (ت ١٢٥٥هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ قيس بهجت العطار، مؤسسة عاشوراء، ط١، ٢٠٠٩م.
- أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين العاملي (١٣٧١هـ)، حققه وأخرجه وعلق عليه السيد حسن الأمين، منشورات دار التعارف،بيروت – لبنان، ١٩٨٣م.
- تراجم الرجال: تأليف السيد أحمد الحسني، مجمع الذخائر الإسلامية، قم إيران،(د.ت).
- التعريفات: للسيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٨٦م.
- جامع الأحاديث: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق عباس أحمد صقر وأحمد عبد الجواد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٤م.
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت .
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة. آغا بزرگ الطهراني، منشورات دار الأضواء، طبع بيروت – لبنان ١٩٨٣ م.
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت،(د .ت).

- الصحيفة السجادية الكاملة: من أدعية الإمام زين العابدين(عليه السلام)، تقديم سماحة الإمام السيد محمد باقر الصدر، مكتبة الشرق، باريس، ٢٠٠٩م.
- طبقات أعلام الشيعة: تأليف الشيخ أغا بزرك الطهراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- طبقات المحدثين باصبهان والواردين عليها: أبو عبد الله محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ) تحقيق عبد الغفورعبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٢م.
- الفوائد الرضوية في أحوال علماء الجعفرية: تأليف الشيخ عباس القمي، تحقيق: باصر باقري بيد هندي، نشر مؤسسة بوستان، إيران، ط١، ١٣٨٥هـ.ق.
- لسان العرب: محمد إبن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة، طبعة مصورة عن طبعة بولاق،١٣٠٠هـ.
- ماضي النجف وحاضرها: تأليف الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (ت ١٣٧٧هـ)، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.
- مراقد المعارف: محمد أمين حرز الدين، دار المعارف، النجف،١٩٧١م.
- مستدرك أعيان الشيعة: السيد حسن الأمين العاملي، دار التعارف، بيروت، ١٤١٨هـ.ق .
- معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء: للشيخ محمد حرز الدين، تعليق محمد حسين حرز الدين، النجف الأشرف، ١٩٦٤.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار مطابع الشعب، القاهرة،١٣٧٨هـ.
- النجفيات: علي محمد علي دخيّل، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ .



The scientist Al-Afkawi Al-Najafi and his reform efforts in the Al-Najaf Al-Ashraf Hawza

By: Prof. Dr. Iman Saleh Mahdi
(Center of revival of Arabic science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

This research deals with the scientists who came to the Al-Najaf Al-Ashraf into Al-Hawza Al-›Ilmiyya that had the greatest impact on supplementing the scientific movement with convoys of scholars, writers, poets, thinkers and writers in various fields of science, And the scientists Khidr Bin Shallal Al-Afkawi Al-Najafi was one of the most prominent scholars who will shed light on his biography Because of its remarkable role in Al-Hawza, The research divided his work into two studies, the first deals with the life of the scholar and the second is concerned with his reform efforts in the Al-Hawza.



السيد ابراهيم القزويني ودوره الاجتماعي في كربلاء



أ.م.د. زينب كامل كريم*

● المقدمة :

السيد ابراهيم ابن السيد محمد باقر الموسوي ، من الشخصيات الكربلائية البارزة والعلامات المميزة في تاريخ وتراثها كربلاء اشتهر في الاوساط العلمية وعرف بالتحقيق ودقة النظر ثم تفرد أخر أيامه بالتدريس في كربلاء له مكانته بالتدريس وتصنيف المؤلفات فهو صاحب (ضوابط الاصول وهو في مجلدين) .

له دور بارز في الحياة الاجتماعية في كربلاء سواء ان كانت على الصعيد الفكري الاجتماعي ام على صعيد التحركات السياسية في كربلاء والتي ألقت بظلها على الحياة وما شهدته الحياة الاجتماعية في كربلاء من ظروف اقتصادية بائسة أدت الى أزمة كبيرة وحصار ظالم فرض على المدينة المقدسة وذلك في فترة نجيب باشا وتمخضت هذه الازمة عن اشعال فتيل ونار الحرب التي شنتها الحكومة العثمانية والتي أدت الى اقتحام المدينة عنوة من قبل الجيش العثماني بعد تدميرها والاعتداء عليها .

وكان قسم من الثوار يتبعون السيد ابراهيم الموسوي كما أشار الى ذلك سلمان هادي طعمة ، يقول: ولكن وجد العلماء في انقسام (اليارمز) الى شطرين احدهما مع الزعيم الديني الشهير كاظم الرشتي والآخر مع زعيم ديني آخر يدعى السيد ابراهيم القزويني. وبذلك فقد قضى القزويني حياته ما بين الدرس والتصنيف ومنح الاجازات وبين قيادة الثوار وتولي الزعامة بوصفه زعيما دينيا ، ومن هنا وجدنا أن من الضروري دراسة

---

* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي



هذه الشخصية وهذه الحقبة بوصفهما اضافة مهمة لتراث وتاريخ مدينة كربلاء .

●اسمه:

هـو السـيد ابراهيـم ابن السـيد محمـد باقر الموسوي القزويني(١٢١٤ - ١٢٦٤ - ١٢٦٢ هـ) المجاور للحائر الحسـيني على مشرفة السلام، فقيهـا إماميـا مجتهـدا ، أصوليا ، مـن أكابر المحقّقين ومشاهير المدرّسين [١].

اسـتاذ هذه البسيطة له الشـهرة في كل الديار وحيـد الامصـار تضلـع في الفقـه والاصـول والرجال ، ولد في ذي الحجّة سـنة أربع عشرة ومائتين وألف وتوفي في كربلاء سنة(١٢٦٤) سنة أربـع وسـتين ومائتين وألف ، وقيـل : اثنتين وسـتين عن عمر ناهز الخمسين ، توفى بسبب الكولـيرا ودفن في مقبرة بجانب داره قريبا من المشهد الحسيني الشريف[٢] .

كان أبـوه مـن أهـل خومـين إحـدى القـرى الخمس المعروفة بمحال قزوين وسكن قزوين وانتقـل المترجم مع أبيه مـن محال قزوين إلى كرمانشاه وقرأ مبادئ العلوم على من فيها من المدرسـين وأقام أبوه في كرمانشـاه عند محمد عـلي ميرزا من امراء العائلـة المالكة القاجارية التـي كان حاكما فيهـا وصار معلمـا لأولاده ثـم انتقل مـع ولده المترجـم إلى كربـلاء فقرأ ولده أولا على السـيد علي صاحـب الرياض في أواخـر أيامه ثـم لازم درس شريف العلماء في الأصول ثم هاجر إلى النجف فقرأ على الشـيخ علي ابـن الشـيخ جعفرصاحب كتاب كشـف الغطاء في الفقه نحو ثمانية أشـهر أو سـبعة عشر شهرا وعلى أخيه الشيخ موسى ثم عاد إلى كربلاء فابتدأ أستاذه شريف العلماء يدرس في الفقه بعد أن كان درسه مقصورا على الأصول وشرع في بحـث البيع الفضولي فبقي أسـتاذه نحو ثمانية أشـهر ثـم تـوفى[٣] وكان المترجم قد اشـتغل بالتدريـس في حياة أسـتاذه حتى اجتمع في مجلس درسه نحو المائة طالب وبعد وفاة أسـتاذه اسـتقل بالتدريس وكان يدرس في مسـجد مدرسـة سردار المتصلـة بالصحن الحسـيني الشريـف ويجتمع في حلقة درسـه سبعمائة طالب إلى ثمانمائة إلى ألف وفيهم من فحول العلماء كما سيأتي عند ذكر تلاميذه[٤] ، وفي بعض الأوقات كان يمتلئ المسجد ويضيق عن المسـتمعين فتفتح الأبواب ويجلس الناس في صحـن المدرسـة فيمتلئ إلى قريـب نصفه كان يدرس درسين أحدهما في الأصول عنوانه كتاب نتائج الأفكار من تأليفه والآخر في الفقه عنوانه شرائع المحقـق الحلي وفي أكثر الأوقات يدرس الفقه حسـب ترتيب شرحه على شرائع الاسلام المسمى بدلائل الاحكام فيكتب الشرح . فيقـرؤه في الدرس وكان في أكثر الأوقات يقول إذا كان لأحد كلام أو رد أوبحث أو دليل زائد على ما ذكرنـاه فليتكلم وإذا ناظره أحد في مجلس الـدرس يجيبه فـإذا رأى أن الطـرف المقابل غرضـه المجادلـة لا فهم الحقيقة يسـكت عن جوابه[٥] وكان معاصرا للشـيخ محمد حسين صاحب الفصول وتجـري بينهما مباحثات في المجلـس وكان صاحب الفصول قليل الحظ في التدريس فاتفق ان سافر المترجم فحضر كثير من تلاميذه درس صاحـب الفصول فلما عاد المترجـم من سـفره عادوا إليـه وبقي صاحب الفصـول في تلاميذه الأولين فقـال لهم مازحا وأنتم أيضا إذا شئتم ان تذهبوا فلا مانع .

●نشأته :

وانتقل - مع أبيه - من قزوين إلى كرمانشاه ، وقرأ بها مبادئ العلوم .

ثمّ ارتحل إلى العراق ، فأخذ في الحائر(كربلاء)



عن السيد محمد المجاهد ابن علي الطباطبائي الحائري وغيره ولازم درس محمد شريف بن حسن علي المازندراني الحائري الشهير بشريف العلماء ، وتخرّج عنده في أصول الفقه .

وتوجّه إلى النجف الأشرف ، فحضر في الفقه على موسى بن جعفر كاشف الغطاء ، وانتفع به كثيرا ، وعاد إلى كربلاء بعد أن نال قسطا وافرا من العلوم ، وشرع في التدريس في حياة أستاذه شريف العلماء (المتوفّى ١٢٤٥ هـ)[٦] .

واشتهر في الأوساط العلمية ، وعرف بالتحقيق ودقة النظر ثمّ تفرّد آخر أيّامه بالتدريس في كربلاء ، وكان يدرّس درسين أحدهما في الأصول والآخر في الفقه ، فيحضر حلقة درسه المئات وفيهم عدد من فحول العلماء ،أشهرهم: زين العابدين البارفروشي المازندراني، والسيد أسد اللّه بن حجّة الإسلام محمد باقر الأصفهاني، وعبد الحسين بن علي الطهراني الحائري ، وملا علي الكني ، والسيد محمد باقر الخونساري صاحب «روضات الجنات»، ومحمد صالح بن محمد مهدي بن محمد جعفر النوري الحائري (المتوفّى ١٢٨٨ هـ) ومهدي الكجوري ، وحسين الأردكاني ، ومحمد التنكابني صاحب « قصص العلماء » ، والسيد أبو الحسن بن علي بن عبد الباقي التنكابني القزويني ، وغيرهم [٧].

● مكانته في التدريس :

درسه مفيد للمتوسط والمفيد والمستفيد كل يستفيد من درسه حسب ما يناسبه سكن في العتبة العالية الحسينية ودرس في مدرسة سردار المتصلة بالصحن المبارك سيد الشهداء (ع) كان يجلس في درسه بين السبعمائة والثمنمائة بل حتى الالف من الطلاب والمحصلين والمجتهدين والمستنبطين ، وذلك انما يدل على أنه كان عالما موسوعيا غزير العلم ومتنوع العلوم والاخبار .

يقول فيه تلميذه أبو الحسن التنكابني: « وقد تلمذت عنده عدة سنوات واليه استنادي في العلوم النقلية من الفقه والاصول والرجال وكان يعطي درسين وكان يزدحم الطلاب ويمتلئ المسجد حتى انهم كانوا ينقلون متاع المسجد وكان يمتد الحضور الى نصف صحن المدرسة من الطلاب والعلماء ، وطريقة درسه في الاصول أن يقرأ أسطرا من حصيلة أفكاره ثم يشرحها ودرسه في الفقه شرح لشرائع المحقق يقرأ سطرين ثم يقرر المسألة وفي أكثر الاحيان كان يدرس على ترتيب الفقه الذي كان يكتبه وفي آخر يقرأ عبارة ما كتبه في دلائل الاحكام وفي شرح شرائع الاسلام ، ولم يعجزه أحد في مجلس الدرس في المحاجة والاحتجاج وإذا ناظره أحد في مجلس الدرس كان يجيبه واذا رأى أن المناظر لايهدف الا للمناظرة لا فهم المسألة المسؤول عنها كان يسكت وكان صاحب الفصول معاصرا له وكان يجلس في بعض المجالس ويناقش الاستاذ يجيبه ولكن الشيخ يظهر عليه في مقام المحاجة فيسكت الاستاذ ويوافق معه حتى علم تلميذ الاستاذ الشيخ محمد مهدي الكجوري فصار يذهب الى مثل هذه المجالس فإذا بدأ الحوار كان يرد الشيخ محمد مهدي على صاحب الفصول فيغلبه وفي ليلة جرى الحديث حول اجتماع الامر والنهي والشيخ محمد حسين ينفي والشيخ محمد مهدي يثبت وغلبه الشيخ محمد مهدي والاستاذ ساكت حتى وصل الامر الى أن لا يتحدث صاحب الفصول اذا كان الشيخ محمد مهدي موجودا [٨]».



●أهم اعماله :

من أعمال السيد إبراهيم القزويني أنه في (عام ١٢٦٢هـ) بدأ السيد إبراهيم القزويني بمساعدة السيد رجب علي القزويني بتعمير الصحن الصغير وزخرفته بالقاشاني، ولقد اثبت هذا التاريخ فوق الباب الممر المؤدي اليه إلى ان هدم عام ١٣٦٨هـ [٩].

وبنيت قلعة سامراء باهتمام الاستاذ وكانت تأتيه من الهند أموال كثيرة يرسلونها كل عام من الموقوفات وكان يصرفها على الفقراء واصلاح المشاهد المشرفة.[١٠]

ومن آثاره بناء سور سامراء فقد بني بمسعاه [١١]

●آل القزويني. [١٢]

من الاسر العلمية التي حظت بنصيب وافر من المعرفة والثقافة. استوطنت العراق في القرن الثاني عشر الهجري، واشتهر منها السيد باقرالموسوي القزويني الملقب بـ (معلم السلطان) وهو أول من هاجر إلى النجف الأشر ف سنة ١١٨٥ هـ ومنها إلى كربلاء وذلك سنة ١١٩٨ هـ مع أخيه السيد محمد علي بن السيد عبد الكريم الموسوي القزويني الحائري ،وأشهر أعلام هذه السلالة في كربلاء هو : السيد ابراهيم القزويني صاحب (لضوابط)و(الدلائل) المولد سنة ١٢١٤ هـ والمتوفى سنة ١٢٦٢ هـ ابن السيد باقر الموسوي القزويني. ومنها السيد محمد مهدي ابن السيد باقر المذكور المولود سنة ١٢٠٧ هـ والمتوفى سنة ١٢٦٩ هـ . ومنها السيد هاشم المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ وولداه السيد محمد رضا المتوفى ١٣٤٨ هـ والسيد محمد ابراهيم المتوفى سنة ١٣٦٠ هـ . ومنها العالم الشاعر السيد مهدي بن السيد محمد طاهر بن السيد محمد مهدي المذكور المتوفى سنة ١٣٥١ هـ .



ومنها السيد حسين القزويني أحد رجالات الثورة العراقية الكبرى المولود سنة ١٢٨٨ هـ والمتوفى سنة ١٣٦٧ هـ ، ومنها السيد محمد حسن الشهير بـ(آغا مير) مؤلف كتاب (الأمانة الكبرى) المتوفى ستة ١٣٨٠ هـ . ومنها السيد محمد حسين بن السيد محمد طاهر المولود سنة ١٢٨٧ هـ والمتوفى سنة ١٣٨٥ هـ ومنها الخطيب الشاعر السيد محمد صالح ابن السيد محمد مهدي المتوفى سنة ١٣٧٥هـ ومنها العالم الفاضل السيد محمد صادق ابن السيد محمد رضا المولود سنة ١٣٢٥هـ والبحاثة السيد ابراهيم شمس الدين ابن السيد حسين القزويني المولود سنة ١٣١٨ هـ مؤلف كتاب (البيوتات العلوية في كربلاء) ومنها الخطيبان الفاضلان السيد محمد كاظم بن السيد محمد ابراهيم المولود ١٢ شوال سنة ١٣٤٨ هـ والسيد مرتضى بن السيد محمد صادق المولود سنة ١٣٤٩هـ ، وغيرهم من العلماء والأدباء، ولهذه الأسرة الكريمة فروع في أغلب المدن العراقية ولهم فرع في الكويت .

●أساتذته و مشائخه:

قرأ كما مر في كربلاء على السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض في أواخر أيامه ثم قرأ على المولى محمد شريف بن حسن علي الآملي المازندراني الملقب بشريف العلماء وكان يحضر درسه في كربلاء ما يزيد على ألف طالب وقرأ أيضا على السيد محمد صاحب المناهل ومفاتيح الأصول وهو الذي يرغبه في التأليف في الفقه وأعطاه من كتب الفقه ما يلزمه [١٣].

١- السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض.

٢- الشيخ علي ابن الشيخ جعفر صاحب كاشف الغطاء.

٣- الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر صاحب كاشف الغطاء.

٤- محمد شريف بن حسن علي الآملي المازندراني.

٥- السيد محمد صاحب المناهل ومفاتيح الأصول.

●تلاميذه:

قد عرفت انه كان يحضر درسه من سبعمائة إلى ألف ومن مشاهير تلاميذه :

الشيخ زين العابدين البار فروشي المازندراني الفقيه المشهور الذي انتهت إليه الرياسة في كربلاء وأدركنا أواخر عصره .

١ـ السيد حسين الترك والسيد أسد الله نجل حجة الاسلام .

٢ـ الشيخ مهدي الكجوري الذي كان في شيراز .

٣ـ السيد أبو الحسن التنكابني .

٤ـ الحاج محمد كريم اللاهجي .

٥ـ الشيخ عبد الحسين الطهراني .

٦ـ ملا علي محمد التركي .

٧ـ ملا علي الكني .

٨ـ ميرزا محمد حسين الساروي .

٩ـ ميرزا محمد محسن الأردبيلي .

١٠ـ ميرزا صالح من العرب .

١١ـ ميرزا رضا الدامغاني .

١٢ـ الشيخ محمد طاهر الكيلاني .

١٣ـ ملا محمد صادق التركي .

١٤ـ آقا جمال المحلاتي وأمثالهم وكل واحد منهم صار مرجعا في صقعه[١٤] .

والسيد ابراهيم القزويني هو أحد اعمدة المدرسة الأصولية التي أسسها الوحيد البهبهاني فهو تلميذ لثلاثة من الاعمدة الرئيسية لهذه المدرسة هم كل من ؛ السيد علي (صاحب الرياض) والسيد محمد المجاهد وشريف العلماء وهو ايضا الذي بنى سور سامراء وقام بتذهيب إيوان أبي الفضل العباس[١٥] وصرف عمره في تربية جيل من الاصوليين ناهزوا الثمانمائة طالب وانتشروا في البلاد الشيعية مبشرين وداعين الى التيار الأصولي

●مؤلفاته وتصانيفه [١٦]:

وقد صنّف كتبا ورسائل منها : ضوابط الأصول (مطبوع) في أصول الفقه في مجلدين ، نتائج الأفكار في اختصار « ضوابط الأصول » ، رسالة في حجّية الظن ، دلائل الأحكام في شرح « شرائع الإسلام » للمحقّق الحلّي في عدّة مجلدات ولم يتمّه ، مناسك الحجّ ، رسالة في الغيبة ، رسالة في صلاة الجمعة ، رسالة في الطهارة والصلاة ، رسالة في الطهارة والصلاة والصوم بالفارسية ، ورسالة في القواعد الفقهية جمع فيها خمسمائة قاعدة .

●وأهم كتبه:

١- ضوابط الأصول في مجلدين مطبوع وكان تأليفه في سنة الطاعون مع انه كتب الكتاب بحيث تتفق أكثر الصفحات في ابتداء سطورها بحرف وانتهائها بحرف واحد فصفحة مثلا يبدأ كل سطر منها بحرف الالف وينتهي بالنون او اللام .

٢- نتائج الأفكار في الأصول بقدر المعالم وهو بحجم المعاجم تقريبا وفيه دورة أصولية والادلة والاقوال بعبارات فصيحة في غاية الفصاحة والبلاغة وهو الذي جعله محور درسه ، ولم يكتب مثل هذا الكتاب في الاصول بهذه الفصاحة والبلاغة والجزالة والعذوبة ولتلامذته شروح كثيرة على ذلك الكتاب منهم الشيخ مهدي الكجوري والسيد أبو الحسن التنكابني الساكن في قزوين والكتاب في مجلدين .



٣- رسالة في حجية الظن ،كتبها في سعة كاملة وهي حسنة جدا فيها تحقيقات لا تقدر .
٤- دلائل الاحكام في شرح شرائع الاسلام في الفقه من اول الطهارة حتى الحدود والقصاص عدة مجلدات والموجود منه كتاب الطهارة في مجلد وكتاب الصلاة مجلد كبير وكتاب الزكاة والخمس والصوم في مجلد وجميع المتاجر في ثلاثة مجلدات والنكاح مجلد كبير والطلاق والظهار واللعان والايلاء والخلع والمباراة في مجلد كبيروالغصب مجلد والذباحة والاطعمة والاشربة مجلد .
٥- رسالة فارسية في الطهارة والصلاة والصوم.
٦- رسالة عربية مفصلة في الطهارة والصلاة .
٧- رسالة في مناسك الحج .
٨- رسالة في الغيبة .
٩- رسالة في صلاة الجمعة.
١٠- رسالة في القواعد الفقهية جمع فيها خمسمائة قاعدة.
١١ـ ألف دورة أصولية كاملة في متانة نسخة الأصل ايضا وقد ألفها في شهرين وهي مكتوبة بذات الطريقة في الضوابط وهذا ليس الا تأييدا إلهيا وكرامة غير محدودة .
وأفادت شعبة إحياء التراث الثقافي والديني في العتبة الحسينية المقدسة بأنها حصلت على المخطوطة الكاملة لكتاب «ضوابط الأصول» للسيد إبراهيم بن السيد باقر الموسوي القزويني المتوفى ١٢٦٢ للهجرة والمعروف بـ «صاحب الضوابط» و «الدلائل».ويعد القزويني أشهر أعلام أسرة آل القزويني العلمية في كربلاء وقد ولد في العام ١٢١٤ للهجرة.
وقال مسؤول الشعبة إحسان خضير عباس للموقع الرسمي «هذا الكتاب لم يطبع اي طباعة الكترونية سوى طبعة حجرية، وقد حصلت الشعبة على الجزء الأول من هذه المخطوطة من إحدى المكتبات الهندية والجزء الثاني في مكتبة كاشف الغطاء في النجف الاشرف».

● صفاته :

كانت حافظته قوية كل ما يراه مرة واحدة ليحفظه لكنه كان يقول : وسريعا يزول من خاطري ولا يبقى وكان يقول لم أكتب مسودة أكثر من ورقتين وهذا من كراماته وكان يقول قرأت كتاب القوانين في ذهني ستين مرة وخلف شريف العلماء في التدريس [١٧].
أما أخلاقه فقد وصل هذا العالم الجليل الى مرتبة يخرج وصفها قدر الكاتب بل لم ير بين العلماء العرب والعجم أفضل منه حتى أنه كان اذا دخل عليه ولد مميز يتواضع له ويقف له سواء أكان الصبي عاميا او غير عامي وسواء أكان من اولاد النجباء او لم يكن ، وهذه الاحوال لم تكن في احد من ابناء العصر واذا قيل له مالا يليق وشتم كان يسكت وفي حادثة حدث ذلك حيث حضر اعرابي مجلس درس الاستاذ وبدأ يتكلم جزافا ويشتم وكان في كمره خنجر ويتقدم نحو الاستاذ والاستاذ مطرق برأسه الى الارض ساكت فعرف أحد خدام المبني وكان من السادة فأخذ بأطراف ثوب الاعرابي الملعون فقال له السيد لاتفعل معه شيئا ولاتضربه لكن ذلك الخادم جره واخذه الى صحن حرم سيد الشهداء وضربه ، وكانوا يكثرون من محاوراته ومناقشته وكان يتحدث حسب قانون المناظرة واذا أساءوا له في اوقات كثيرة كان يبتسم ويصرف وجهه عنهم ويقول هذا كلام اجنبي كما يصفه أحد تلامذته يقول: لم نشاهد منه اكثر من ذلك في مجلس الدرس



او في غيره. [١٨]

● **أوجه الاجتهاد عنده :**

وكان دائمـا يقول الاجتهاد عـلى انحاء ثلاثة : أحدها أن يحصل الاقوال في المسـألة والشـهرة والاجماع ثم يبين أدلة الاقوال ويختار أحدها ، ثانيها : أن يسـتقصي الادلة والجرح والتعديل في الدليـل ويذكـر مقـدارا من الفـروع ايضا ثالثهـا : ان يحرر ويقرر القاعـدة الكلية التي تبتني عليها المسـألة بتحرير أتم وان يتعرض للأدلـة حتى يصير الفتوى علمـا او قريبة من العلـم وان يذكر ما اسـتطاع مـن الفروع وان يضعـف القول المقابـل بحيث يصـير بديهي البطلان والسـيد علي الطباطبائي كتب الشرح الكبير على النهج الاول [١٩].

يقول مؤلف هذا الكتاب ان ليس مراد الاسـتاذ ان صاحب الرياض لم يكن عنده اكثر من اول درجة من درجات الاجتهاد بل يريد ان الرياض وهو الشرح الكبير قد كتب بسببك اول درجة في الاجتهاد والا فأن السـيد علي استاذ المجتهدين عالم عليه بحر خضم .

وإن مشـارب الفقهـاء في مقدمـات الاجتهـاد والاصول وهذه الدرجـات المتقدمة مختلفة بل كل شـخص له مهـارة في واحـدة منها فواحد منهـم متقدم في العربية عن غيره ، وآخر يكون أكمل في الرجال وثالث في الاصول لكن اللفظية ورابـع في الاصول العقليـة وواحد في الدرجات المتقدمـة وآخر في المعاملات وثالث في العبادات اما ان يكون هناك شخص أعلم في جميع الفقه ومقدماته وفي جميع هذه المشـارب فالانصاف انـه مفقـود ، اضافـة إلى علو كعبـه في الفقه والاصول والفقه الاستدلالي [٢٠].

إلا ان السـيد ابراهيـم القزويني كان من العلم في الدرجـة العليا حتى انـه كان يجيز تلامذته وسـنتعرض لواحدة من اجازاته وهي للسـيد محمد التنكابني .

● **اجازته لمحمد التنكابني :**

أجـاز السـيد ابراهيم القزويني السـيد محمد التنكابنـي وكان في مرتبة الاسـتنباط ودرجة الاجتهاد وقد ذكرها السـيد محمد التنكابني في كتابه قصص العلماء [٢١] .

وهـي اجـازة مرموقـة كتبـت وفقـاً لأصـول الاجازات التي يمنحهـا العلماء لطلابهم الذين يصلون الى مراحل متقدمة فيمنحون الدرجات العليـة من اسـاتذتهم فيكتبون الاجـازة وقفا للاصول المتبعـة في منح الاجـازات والتي تبدأ بديباجـة الاثنـاء الاطـراء بعد الحمـد والثناء يقول: (الحمد لله مـن علينا بالاقتداء بشريعة الانبياء خاتم الانبياء وأرشدنا بارشاد الاوصياء واحـدا بعد واحد .... أما بعد فالذي يهتم بيانه ولاينبغي سـتره وكتمانه هـو ان جناب العالم العامـل والفاضل الكامل بحـر الحقائق وكنز الدقائق منبع الافاضـات ... المحقق في الفروع والاصـول والمدقق في المعقـول والمنقول......) ثـم يثني عـلى بذل المجهود في طلـب العلم وفي التأليـف يقـول: (وبذل مجهـوده في تحصيل العلـوم وتكميل الادب والرسـوم وأتعب فكره في تحصيـل المراتـب العليـة وتأليف المسـائل الفقهية وتصنيف الكتب والرسـائل الاصولية ....) ثـم يثني عـلى تآليفـه والفوائد المهمة القواعـد المحكمة من توضيـح الفروع المبهمة في التحقيقـات الانيقـة والتدقيقات الرشـيقة وما تقتضيه الضوابط والادلة . ثم يثبت سـبب إجازته من تفوقه على أقرانه يقول: (وفاق بذلك أقرانه الأجلـة فأجاد ما أنتجتـه نتائج أفكاره ونعـم ما أفاد من الضوابـط بدقائق أنظاره في

مسـائل الحلال والحرام.....) ويختتم الإجازة بالتهنئـة لما وصل اليه المجـاز من مرتبة وعلو شـأن يقول(فهنيئـا لذلك الخباب المسـتطاب حبث بلغ مرتبة الاسـتنباط ودرجـة الاجتهاد وصار مؤيـدا بالتأييدات الابديـة والتوفيقات السرمديـة ......) وأخيرا يختـم الإجاز بالدعاء والديباجة المعهودة في اختتام الاجازات يقول: (ونسـأل اللـه تعالى بـدوام التأييد كمـا يليق وأن لا ينسـاني في الخلوات ومظـان الاجابات من صالح الدعوات انـه قاضي الحاجات وولي الخيرات انتهى) مما تقدم نجد ان :

الاجـازة تتميـز بديباجتهـا الفخمـة الانيقـة بما فيهـا من اطراء لطيف من اسـتاذ اتصف بالتواضع يقر لتلميذه بما وصل اليه من تمام علومه اسـتكمالها على يديه فلم ينس لتلميذه جـده واجتهـاده وتواضعـه واكمـال علومـه وتمكنه في تآليفه واستكمال قدراته في الاجتهاد والاستنباط في الفقه والاصول وما الى ذلك .

● دور ابراهيم في الحياة الاجتماعية في كربلاء:

خاض السـيد ابراهيم القزويني دورا مهما في الحياة الكربلائية سـواء عـلى الصعيد الفكري الاجتماعي أم على صعيد التحركات السياسـية التي ألقـت بظلها على الحيـاة الاجتماعية وما شهدته في كربلاء من ظروف اقتصادية بائسة فرضتهـا بـل مارسـتها الحكومـة العثمانية وقتذاك من فـرض الضرائب المضاعفة وتردي احـوال الزراعة وعن تلك الفترة تسـتطرد قايا في بيـان أسـباب الثـورة فتقول: لقـد جعلت أحـداث السرقة وقطـع الطريق التـي تمت في بغداد بشكل عام في بدايات القرن التاسع عشر أهالي كربلاء في اضطراب دائم، وهو ما جعلهم يرفضون تبعيتهـم للدولـة العثمانية، وهناك أمر آخـر أغضب أهالي كربلاء وهـو التأخر في مجال الزراعة، فبينما كانت كربلاء تنتج عشرة آلاف كيلة من الحبوب في عهد داود باشـا آخر ولاة المماليك، لم تتمكن من إنتاج نفس النسبة في (١٣ــ ١٤) سنة الأخيرة ، وبعدما كان أهالي كربلاء يقتربون من إيران بسبب المذهب فقط، أصبحوا يفكرون في التخلي عن الحكم العثماني كلية بسبب سوء الحالة الاقتصادية [٢٢] .

● أثره في الحياة الفكرية

مقام الصادق :

ومما يجـدر ذكره ان هذا المقـام كان المطاف الأخـير للفرقة الاسـماعيلية المعروفة(البهرة) حيـث لم يكـن يسـمح لرجالهـا بالدخول إلى كربـلاء لزيـارة العتبات المقدسـة حتى سـنة ١٢٦٢ هــ ، وذلـك بعـد وفاة العلامة السـيد ابراهيـم القزويني صاحب الضوابط ، إذ أجاز العلامـة الشـيخ زيـن العابديـن المازندراني بإصـدار فتـوى للسـماح لهـم في الدخول إلى كربلاء . كما ان المرحوم السـيد يوسـف السيد سـليمان آل طعمـة المتـوفى سـنة ١٢٨٨ هــ اسـتحصل موافقـة والي بغداد آنـذاك (السر عسكر عبدي باشا) حيث ان السلطة العثمانية الحاكمة إذ ذاك كانت هي الأخرى تسـاند المنع المذهبـي ، والمقـام المذكـور يقـع عـلى طريق العربـات المـؤدي إلى مدينـة كربـلاء عبر نهر الحسـينية المار بقنطرة الحديبة وهو الطريق الرئيسي بين بغداد وكربلاء .

ذكر السيد محمد حسن الكليدار [٢٣]في ترجمة السـيد إبراهيم القزويني(١٢١٤-١٢٦٢هـ) صاحب كتاب (الضوابط)، عبارة مفادها عدم وجـود أي عمارة للمقام في عصر ذلك السـيد، بينما ذكر في عبارته (القنطرة) الملاصقة لمقام الإمـام المهدي عليه السـلام ، فلو كانت للمقام عمـارة في ذلك الوقت كان مـن الأولى ذكرها في



الوصف، والعبارة هي:

(..له مواقـف رائعة في محاربة النِّحل الجديدة في كربـلاء مثل الكشـفية والبابيـة، وكذلك لم يسـمح للفرقـة الإسـماعيلية ـ البهـرة ـ ولا الفرقـة الأغاخانيـة الدخـول إلى مدينة كربلاء لزيارة العتبة الحسينية المقدسة،فكانوا يأتون إلى ضواحـي كربـلاء ويخيمـون في أراضي الجعفريات عند مقام جعفر الصادق ومن على قنطـرة الحديبية الواقعة على نهر الحسـينية، يـؤدّون مراسـيم الزيـارة ويرجعـون إلى مخيماتهم، ولكن بعد وفاته سُمح لهم الدخول إلى الحائر الحسيني).

●مواقفـه مـن الفتـن السياسـية وآثارهـا الاجتماعية في الحياة الكربلائية:

اعلان الجهاد ومقاومة الإحتلال:

اسـتولت روسـيا القيصرية على بعـض المدن الإيرانية كدربندوشـيروان، فأستنجد السلطان القاجاري فتح علي شاه بالسيد محمد المجاهد الذي ولـد في كربلاء عـام ١١٨٠ هجرية وقاد جيشـاً كبيراً لمحاربـة الـروس في محاولة منه لدفـع شرهم عن المدن الإسـلامية. إلاّ أنه وافته المنيـة في مدينة قزوين سـنة ١٢٤٢ هـ ونقل جثمانه إلى كربلاء المقدسة، وقد سمي بالمجاهد لموقفـه الجهادي من الاحتـلال الروسي وفتواه بالجهاد (معروفة) ضد الروس في عدوانها على حياض الإسلام وأراضي المسلمين[٢٤].

والسـيد محمـد المجاهـد هـو ابن السـيد علي الطباطبائي (صاحب الرياض) وسبط الوحيد البهبهاني وصهر السـيد مهـدي بحر العلوم، وهو أحد اعمدة المدرسة الأصولية التي أسسها الوحيد البهبهاني (جده من أمه)فهو صاحب موسـوعة كبـيرة في علم الأصول هـي «مفتاح الأصـول» ثم تبعه بكتـاب «المصابيح في شرح المفاتيـح» وكان يوصي تلاميذه بـأن يكتبوا في الاصـول ليسـدوا الثغـرات التي كانـت قائمة يومـذاك ومن بين مـن كتب في الاصـول تاثرا بأسـتاذه السـيد ابراهيم الموسـوي القزويني صاحـب الكتاب الشـهير (ضوابـط الاصول) الذي طبع بجزئين واصبـح مرجعا للعلماء في علم الاصول . وكان للسيد ابراهيم دورٌ جهادي مهم ابان حصار نجيب باشا لمدينة كربلاء[٢٥] . وللوقـوف على الـدور الجهـادي الـذي أخذه القزوينـي على عاتقه سـنتناول هـذه الحادثة ونوضح بعض ملابسـاتها للوقـوف على دور القزويني والذي يهمنا بيانه للوقوف على دوره في الحيـاة الاجتماعيـة والـدور الجهادي الذي تولاه في الحياة الكربلائية.

● حادثة نجيب باشا:

ماقبل الحادثة:

من أبشع جرائم العثمانيين التي ارتكبوها ضد الشـيعة هي حادثة نجيب باشا في كربلاء عام (١٢٥٨هــ/١٨٤٢م) حينمـا انتفضت هذه المدينة على السياسة العثمانية الجائرة المستبدة فحاصرها نجيب باشا الذي عرف بحبه لسفك الدمـاء لإخضاعهـا فقصفهـا بالمدافـع وقطع النخيـل وأغـار المياه حتـى اسـتطاع دخولها بجيشـه فاسـتباحها قتلاً ونهباً وتدميراً حتى اصطبغت أرضها بالدماء .

ولـم تقتـصر هـذه الممارسـات والسياسـات الجائرة عـلى كربلاء وحدها، بل شـملت باقي مدن العراق مما سـبب في تكوين رأي سـلبي، وغضب ثوري ضد الحكومة العثمانية، كما لم تسلم هذه الممارسـات الظالمة من ردود أفعال ثوريـة قوية من قبل أهـالي كربلاء، فقد جرت حوادث خطيرة سـبقت حادثة نجيب باشـا في عهـدي داود باشـا، وعلي رضا باشـا قبل تولي



نجيب باشا الذي جرت في عهده الحادثة[٢٦].
وقد حاولت المصادر العثمانية وصف الذين ثاروا على السياسة العثمانية الجائرة من أهالي كربلاء بالعصاة والأوباش والأراذل والهاربين من وجه العدالة، ووصمهم بكل شائنة. ولكن هذه المصادر التي وصفت تلك الثورة بالعصيان والتمرد قد تجاهلت سياسة العثمانيين المستبدة تجاه أهالي كربلاء، ولم تعبأ للمعاملة السيئة التي كان يعامل بها العثمانيون الأهالي في كربلاء.

ومن الاسباب المهمة التي أشار اليها الاستاذ عباس العزاوي هي ارتفاع بل مضاعفة الضرائب التي تجبى من الاهالي يقول:(وفي أيام علي باشا حاصرها أي كربلاء وخرج اليه سادات البلد وزعماؤها وتكفلوا له بزيادة الإيراد، فارتحل عنهم وكان ذلك الوالي لا يبالي بعصيانهم ومرامه الدراهم وقد أدّوا له سبعين ألف قران ـ المثل اثنين ـ عما كانوا يؤدونه الى داود باشا فرضي وتركهم) [٢٧].

ولكن علي باشا لم يترك المدينة دون أن يمتهن أهلها ويطبق عليهم سياسة الإستبداد فيذكر المؤرخ الكبير عبد الرزاق الحسني أن علي باشا (أبقى فيها حامية من الجماعة المناوئة لعقائد أهلها من بني سالم والكبيسات) [٢٨].

ولا يخفى ما لهذه السياسة من أثر سلبي في نفوس أهالي كربلاء حيث لعبت العصبية المذهبية دورها في تلك السياسة، فكان أعضاء الحامية يعاملون الأهالي بقسوة مما كوّن غضباً شعبيّاً ضد الحكومة أدى إلى اندلاع الثورة تقول الكاتبة التركية دِيلَك قايا:
(إن السياسات الخاطئة التي استخدمت في عهد ولاية علي رضا باشا كانت عاملاً مؤثراً في ظهور حادثة كربلاء) [٢٩].

فقد كان هذا الوالي يضم إلى جانبه قطاع الطرق واللصوص والمجرمين الذين كانوا ينهبون قوافل التجار وزوار المراقد المقدسة في نواحي الحلة والنجف وكربلاء، ويوفر لهم الحماية وهو يعلم بانحرافهم ليستعين بهم في حملاته، وتستطرد قايا في بيان أسباب الثورة فتقول:
(لقد جعلت أحداث السرقة وقطع الطريق التي تمت في بغداد بشكل عام في بدايات القرن التاسع عشر أهالي كربلاء في اضطراب دائم، وهو ما جعلهم يرفضون تبعيتهم للدولة العثمانية، وهناك أمر آخر أغضب أهالي كربلاء وهو التأخر في مجال الزراعة، فبينما كانت كربلاء تنتج عشرة آلاف كيلة من الحبوب في عهد داود باشا آخر ولاة المماليك، لم تتمكن من إنتاج نفس النسبة في (١٣ـ١٤) سنة الأخيرة، وبعدما كان أهالي كربلاء يقتربون من إيران بسبب المذهب فقط، أصبحوا يفكرون في التخلي عن الحكم العثماني كلية بسبب سوء الحالة الاقتصادية) [٣٠].

وهناك سبب آخر دعا لعدم استقرار الأمور في كربلاء، وهو الأصول المتبعة التي طبقها علي رضا باشا في جمع الأعشار من الأهالي، فبجانب الضرائب الباهظة التي كانت تجمع من الأهالي كان الملتزمون ـ أي جامعو الضرائب ـ يتعاملون بقسوة مع الأهالي أثناء جمع تلك الضرائب إذا لم يحققوا شيئاً زائداً للوالي، وعلى هذا كانت تلك الضرائب سبباً في نفور الأهالي من الإدارة)[٣١].

وحين تولى نجيب باشا كان من المقربين إلى السلطان، وكان شديد القسوة في إجراءاته، ولما علم أن كل الحملات التي ساقها من سبقه لم تخضع المدينة للسياسة العثمانية الجائرة،



قـرر في السـنة الثانية مـن حكمـه أي في عام (١٨٤٣م) إخضاع المدينة بالقوة .
وقد لعب تعصبه المذهبـي دوراً كبيراً في حنقه عليهـا، وتصميمه عـلى إبادتها، وهناك سـبب آخـر جعـل الحكومـة العثمانية تقـول كلمة الفصل في كربلاء حيـث وضعت نصب عينيها مسألة تقوية السلطة المركزية للدولة في الولاية لتحقيق مركزية الإدارة، لكي لا تعيش مشكلة أخرى مثل مشـكلة مصر التـي كانت تدار من قبل الولايات العثمانية، وكان ولاتها على طاعة أمراء المماليك حتى عام (١٨٤١م) عندما قضى محمـد علي باشـا عـلى المماليك، وجعـل إدارة مصر شبه مستقلة، وانتقلت إدارتها إلى أسرته. وكانت هذه المشـكلة تشغل أذهان العثمانيين، فعملـوا جاهدين عـلى عدم تكرارهـا، وعهدوا مهمة إخضاع كربلاء إلى نجيب باشا الذي عرف بسياسته القاسـية، ودهائه السياسي، وجعلوا نصب عينيه هذه المهمة، وقد أعد نجيب باشـا عدته للهجوم على المدينة، وإخضاعها للسلطة العثمانية منذ أن تولى الحكم [٣٢].
فـكان التحـرك العسـكري هو الخيـار الامثل وكان أول تحرك عسكري لإخماد الثورة بقيادة سـعد الله باشـا في (٢١/١١/١٨٤٢م)، لكن هذا الهجوم لم يسفر عن شيء مما جعل نجيب باشـا يقود الهجوم بنفسـه حتـى يقضي على حالـة اليأس التي بدأت تحل بالجنود لصعوبة اقتحام المدينـة التي حُصنت جيداً، وكان يقود الثـوار في المدينة السـيد إبراهيـم الزعفراني ـ ولا يزال هناك طاق في أحد أزقة كربلاء يسـمى طاق الزعفراني [٣٣] .
فتجمعت في المدينـة اعدادا كبيرة من الفدائيين من مختلف مناطق العراق بالاضافةالى الشباب الكربلائـي للدفـاع عـن المدينـة المقدسـة بلغ تعدادهم زهاء عشرة الاف شخص ، وقد اطلقت عليهـم السـلطات العثمانية عبـارة (اليرماز) ومعناها باللغة التركية (الشـقاوات) ، وانطلت هذه الدعاية المضللة على المؤرخين الذين اخذوا يُسـمون هؤلاء الفدائيين بهذه التسمية. يقول: علي الـوردي عنهـم «والواقع ان بلـدة كربلاء كانـت في تلك الايام قـد تحكمت فيها زمرة من الاشقياء والسـفلة يُقال لهم (اليرمازية) وكان هـؤلاء الاشرار قد تجمعوا في كربـلاء منذ عهد داود باشـا برئاسـة زعيم لهم اسـمه السـيد ابراهيم الزعفراني واخذوا يعيثون فيها فساداً ويستغلون سلطانها كما يشـاؤون»[٣٤] وكان قسم من هؤلاء الفدائيين يتبعون السيد ابراهيم الموسوي كما اشارالى ذلك سلمان هادي طعمة « ولكـن وجد العلماء في انقسـام (اليارمز) الى شـطرين احدهما مـع الزعيم الديني الشـهير كاظـم الرشـتي والاخر مـع زعيـم ديني آخر يدعى السيد ابراهيم القزويني»[٣٥]
ويعـود ذلـك للنـزاع الفكـري المذهبـي بـين الأصوليـة والإخبارية، واتسـع هـذا النزاع من أصول الفقه والإحـكام إلى المعتقدات، وتسرب إلى التقليد والاجتهاد، فاستغل نجيب باشا هذا النـزاع فكتب إلى السـيد كاظم الرشـتي الذي يعـد من أبرز طلاب الشـيخ أحمد الإحسـائي زعيـم الإخبارية، والذي انفـرد بعده بطريقته الكشـفية أن يتدخـل ليوقف الثـورة ويجنب المدينة ((كارثة مؤكدة)).
ولـما كان الرشـتي يعلم أن لا قبـل للأهالي على مقاومة هـذه القوة الكبـيرة المنظمة التي جاء بها نجيب باشـا وهي تفوقهم عدة وعدداً، فقد طلب من الثوار تسليم أسلحتهم وإنهاء الثورة، فعزمـوا على فتح أبواب المدينة في اليوم الثاني، لكن بعض خصوم الرشتي حرضوا الثوار على



عدم الإذعان.
يقول الأستاذ جعفر الخياط: (وبدلا من أن يستعين ــ أي نجيب باشا ــ بالروية والعقل، ويعمد إلى دراسة الأحوال السيئة ومسبباتها، فيعمل على معالجتها بالتي هي أحسن، بادر إلى استخدام القوة في الحال ليبرهن على ما جُبل عليه من قسوة وبطش خاليين من الرحمة والتورع. فقد جرد على المدينة المقدسة جيشا عرمرما مجهزاً بأحسن المدافع والعدد وحاصرها لمدة خمسة وعشرين يوما، وضيق عليها الحصار) [٣٦].

ضربت هذه القوة حصاراً واسعاً على المدينة المزدحمة بالزوار، وأحاطت بسورها المحكم، وضيقت على السكان حتى اضطروا لشرب مياه الآبار المجة، واللجوء إلى التقتير والتقنن في توزيع الأرزاق.

وفي اليوم الثالث والعشرين للحصار شعر الكربلائيون بوطأته وشدته عليهم فاجتمع الرؤساء والزعماء وتداولوا الوضع رغم الانقسامات العقائدية فيما بينهم، واستقر الرأي على عرض طاعة المدينة واستسلام الثوار، لكن قائد الحملة رفض قبول الاستسلام إلّا بشروط يعرف أنها مستحيلة على أهل كربلاء، وهم يفضلون الموت على النزول على الشروط .



كما تقرر الاستنجاد برؤساء هذه العشائر الذين لبوا النداء فأرسلوا ما تمكنوا من إرساله من المقاتلين والفرسان الذين قدر عددهم بألفي مقاتل ، ولكن هذه الإمدادات لم تكن بما يكفي للوقوف أمام الجيوش العثمانية الكبيرة والمعززة بأحدث أنواع البنادق والمجهزة بالمدافع.

يقول عبد الرزاق الحسني: (أوعز نجيب باشا إلى قائد المدفعية أن يشرع في هدم السور المحيط بالمدينة، مهما كلفه الأمر ليتمكن الجنود من الدخول إليها بيسر ويقضي على المقاومة وعلى القبائل التي نفرت للمساعدة، وفي فجر الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة (١٢٥٨هـ) الثالث عشر من شهر كانون الثاني سنة (١٨٤٣م) أخذت المدافع في إطلاق قنابرها على السور بشدة) [٣٧].

ورغم كثرة الجيش العثماني وتفوقه في العدة والعدد إلا أن أهالي كربلاء قاتلوا ببسالة نادرة فكانوا يرمون الجنود من فوق السور.

الا ان القوات العثمانية سيطرت على الوضع فتراجع الثوار، واحتمى عدد كبير منهم بصحني الإمام الحسين وأخيه العباس، فشرعت القوات الحكومية بالنهب والسلب والتخريب واستباح الجند كربلاء وقد قتل كل من كان في صحن أبي الفضل العباس، فعندما حاصر قائد الحملة باب الصحن الحسيني الشريف خرج إليه الحاج مهدي كمونة وطلب منه الأمان فأمر بالكف عن جميع من بالصحن الشريف .

وفي الوقت نفسه كان بقية الجنود قد اتجهوا نحو صحن العباس الذي ازدحم بالناس وأغلقوا عليهم أبواب الصحن فتبعهم قائد الحملة، وأمر بقلع أحد الأبواب ودخل منه الجنود وشرعوا بقتل كل من فيه ولم يسلم من القتل حتى الأطفال والنساء، ولما حل المساء كانت المدينة في عداد الأموات، وتولى الحاج مهدي كمونة وصحبه حماية الصحن الحسيني، ورفع جثث القتلى من صحن العباس.

ودخل نجيب باشا المدينة من باب بغداد وفي اليوم الثاني عاد الوالي مرة ثانية وأمر مناديه

بالأمـان، وسـأل عـن السـيد وهـاب الكليدار فأخـبروه أنه هرب فعزله ونصب مكانه الحاج مهدي كمونة، ثم استخرج ورقة من جيبه فيها أسـماء المطلوبـين للحكومـة العثمانية وطلب البحث عنهم وتسليمهم.

فقبـض على السـيد إبراهيـم الزعفراني فكبّل بالأصفاد، وأرسل إلى بغداد حيث أودع السجن، فلم يلبث سوى أيام حتى مات بالتدرن الرئوي، كما قبض على السـيد صالح الداماد وعدد من الثوار وطُورد بعض الثوار أمثال علي كشـمش وطعمة العيد وبعض السـادة من آل نصر الله والنقيب.

(واسـتبيحت المدينة قتلاً ونهباً وهرب الناس إلى قبري الإمام الحسين وأخيه العباس، وهرب آخرون إلى منزل الرشـتي الـذي جعله نجيب باشـا مأمناً لمن لاذ به والتجأ اليه، وازداد عدد اللاجئين إليه فاضطر الرشتي إلى إضافة المنازل المجاورة لمنزله ليضـم عدداً أكبر من اللاجئين، وازدادت الجموع التـي هرعت إلى منزله حتى انه بعد هـدوء الحالة وجدوا عشرين شـخصاً توفوا من شدة الزحام) [٣٨].

وأمر نجيب باشا بإبقاء ستمائة جندي كحامية للمدينـة ثـم غادرهـا إلى النجف وقـد أرخت هـذه الواقعة بكلمتي (غدير دم) وكانت سـنة (١٢٥٨هـ/١٨٤٣م) .

●تداعيات ما بعد الحادثة:

كانت لهذه الحادثة تداعيات خطيرة أثرت على الحياة الاجتماعية والسياسية آنذاك وقد يعود ذلـك كونها مذبحة دامية نسـبة لعـدد الذين قتلوا وسـقطوا فيها ، وقـد تضاربت الروايات في عـدد القتلى مـن أهالي كربـلاء، وما فقد من أموال ومجوهرات أثناء استباحة المدينة، فقال السـيد حسـين البراقي إنهم (٢٤ ألف قتيل ما بين رجل وامرأة وطفل ومنهم سُـحِقَ بالأرجل لازدحامهم عند الهرب). [٣٩]

وقال الشـيخ حسن بن الشـيخ جعفر كاشف الغطـاء: (كان عدد القتلى زيـادة على عشرين ألـف رجل وإمرأة وصبي وكان يوضع في القبر الأربعـة والخمسـة إلى العشرة ويهـال عليهم التراب بلا غسل ولا كفن). [٤٠] ونقل السيد عبد الحسين الكليدار عن زنبيل فرهاد ميرزا معتمد الدولة قوله:

(ومن المحقق أن تسعة آلاف شخص قد أبيدوا عـن آخرهم في تلك المدينة المقدسـة فضلا عما نهـب من الأمـوال والأحجـار النفيسـة وأثاث البيوت والكتب). [٤١]

وقال الأسـتاذ جعفر الخليلي:(وتقدر الروايات المعتدلـة إن عدد القتلى بلغ أربعة آلاف نسـمة من الأهالي، وخمسمائة من الجيش المهاجم). [٤٢]

وجاء في تقرير (فارنت) المندوب البريطاني عن حكومته إلى كربلاء المؤرخ في (١٥/٥/١٨٤٣): (أن عدد القتلى لم يزد على الخمسة آلاف نسمة، ثلاثة آلاف قتلوا داخل المدينة).

وفي رسـالة مخطوطـة بعـث بها الشـيخ عبد المحسـن العباسي السـهروردي إلى داود باشا حينمـا كان مقيما في الخـارج بعد عزله يقول فيهـا: (وقد أدى قصف المدفعية إلى إصابة قبة الإمام الحسين (عليه السلام) وتهدّم أعلاها) . [٤٣]

ومـمـا يـدل أيضا عـلى بشـاعة هـذه الحادثة وتداعياتها وآثارها المؤلمة أن المستشرق لوفتس زار كربلاء بعد الحادثة بسـت سنوات فوصف الدمـار والخـراب الذي أصـاب المدينـة وآثار التهديم للدور والمسـاجد فيذكر آثار الشـظايا والقنابـل في جـدران البلـدة وجـذوع النخيل المحـترق وإن إحـدى المنارات الثـلاث متداعية وتوشـك على السـقوط (وهو يشـير إلى منارة



العبد).
كما يذكر في رحلته هذه في شأن هذه الحادثة أن طاهر بك حاكم الحلة العسكري التركي الذي رافقه في رحلته لحمايته روى له أحداث هذه الواقعة حيث كان أحد الضباط المشتركين فيها، وحصل على ترفيع نتيجة قسوته وعنفه في قمع الأهالي.
فروى له أنه قتل ثلاثة من الثوار بيده بينما أخرج رجاله سبعين من أهالي كربلاء من مخابئهم التي التجأوا إليها وهم ما بين أطفال ونساء فقتلوهم كلهم .[٤٤]
مما تقدم نستطيع القول ان هذه الحادثة أثارت الرأي العام الدولي فطلبت إيران وروسيا وانجلترا عقد مباحثات مع الدولة العثمانية للوقوف بشكل صحيح عن أسباب الحادثة، وكان نجيب باشا هو أول من أعطى معلومات عن هذه الحادثة لروسيا وانجلترا لكن هاتين الدولتين تأكدتا من أن المعلومات التي أدلى بها نجيب باشا غير صحيحة بناء على المعلومات التي وصلت اليهم، فكلفت الحكومة العثمانية نامق باشا لبحث الحادثة كما استدعت سعد الله باشا لأخذ أقواله كونه يعد المسؤول الثاني عن الحادثة بعد نجيب باشا.
وجرت مباحثات طويلة بين العثمانيين والروس والإنكليز والإيرانيين عن هذه الحادثة وما سببته من أزمة سياسية بين الدولتين العثمانية والإيرانية استمرت أربع سنوات انتهت بمعاهدة أرضروم.

● **الخاتمة :**

السيد ابراهيم ابن السيد محمد باقر الموسوي، شخصية من الشخصيات الكربلائية البارزة والعلامات المميزة في تاريخ وتراث كربلاء اشتهر في الاوساط العلمية وعرف بالتحقيق ودقة النظر ثم تفرد آخر أيامه بالتدريس في كربلاء له مكانته بالتدريس وتصنيف المؤلفات فهو صاحب (ضوابط الاصول وهو في مجلدين):
له دور بارز في الحياة الاجتماعية في كربلاء سواء على الصعيد الفكري الاجتماعي ام على صعيد التحركات السياسية في كربلاء بوصفه شخصية بارزة في كربلاء وزعيما دينيا التف حوله شطر من الشباب الكربلائي الذي ثار على الحكم العثماني فعاش فترة عصيبة ومن أصعب الفترات التي عرفتها كربلاء على مر تاريخها فكانت فترة نجيب باشا معروفة بمجزرته الدموية التي شنها ضد المدينة وقتذاك والتي تمخضت عنها معاهدة دولية عرفت بأرضروم .

الهوامش:

(١) ينظر معجم المؤلفين :ج٢/ص ١٨١٥ ، هدية العارفين: ج١/١٠- ص١١٢ ، الايضاح:ج١/ص٤١ .
(٢) ينظر القزويني ،موسوعة طبقات الفقهاء : ج ١٣/ص ٣٣ ،أعيان الشيعة : ج٢/ص ٢٠٤.
(٣)ينظر ريحانة الادب: ج٣/ص٣٧٦ – ج٢/ص٧٣.
(٤) روضات الجنات :ج١/ ص٣٨ ، الفوائد الرضوية : ٩.
(٥) ينظر قصص العلماء:
(٦) الاعلام للزركلي : ج١/ص ٧٠ ،الكرام البررة : ج٢/ ص١٠برقم ٢٠ .
(٧) معارف الرجال : ج١/ص ١٨ ، اعيان الشيعة: ج٢/ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .
(٨) ينظرطبقات الفقهاء:ج ١٣/ ص٣٣، اعيان الشيعة : ج٢/ص٤٧٥/٤٧٦.
(٩) مدينة الحسين: ج٤/ص ١٦٩، تاريخ المراقد : ج٢/ ص١٥٤.
(١٠) ينظر الاعلام ج١، ص٧٠
(١١) معجم رجال الفكر والادب في النجف : ج٣/ص٩٨ .

(١٢)ينظر هدية العارفين ج٤، ص١.
(١٣) الذريعة: ج٦/ص ٢٧٦ وج١٥/ ص١١٩، معجم المؤلفين: ج١/ص٨٧-١٠٤ ايضاح المكنون : ج١/ص٤٧٦، ج٢-٧٣-٦٢٠
(١٤) هدية العارفين :ج١/ص٤.
(١٥) مجلة تراث كربلاء :ص ٣٧٩.
(١٦) مدينة الحسين :ج ٤/ص ١٦٩ تاخ المراقد:ج ٢ /ص١٥٤.
(١٧) قصص العلماء: ص١٢.
(١٨) ينظر المصدر نفسه :ص ٢٥ ،٣٦ ،٤٣، ٨ ٧- ٨٣ ، ٢٨٢.
(١٩) ينظر المصدر نفسه :ص ١٤.
(٢٠) ينظر الذريعة : ج٦/ص ١٦، ٧٤، ٢٢٧ ، قصص العلماء :ص ١٤.
(٢١) المصدر نفسه :ص١٥.
(٢٢)ابراهيم الحيدري، تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي: ص٤٦.
(٢٣) مدينة الحسين :ص١٦٧ـ ١٦٩.
(٢٤) تسخير كربلاء :ص ٣٤.
(٢٥) تاريخ العراق بين احتلالين: ص٦٥.
(٢٦) تاريخ الدولة الفارسية في العراق : ص٥٤.
(٢٧) تاريخ العراق بين احتلالين :ص ٦٦.
(٢٨) تسخير كربلاء : ص١٦.
(٢٩) كربلاء في الارشيف العثماني :ص١٩١.
(٣٠) المصدر نفسه : ص١٩١- ١٩٢.
(٣١) تسخير كربلاء : ص١٦.
(٣٢) صور من تاريخ العراق :ص ٣٠٦.
(٣٣) مدينة الحسين : ص١٦٩ .
(٣٤) كربلاء في الذاكرة : ص٣٠.
(٣٥) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء :ص ٢٨.
(٣٦) صور من تاريخ كربلاء :ص ٣٠٧ .
(٣٧) المصدر نفسه :ص ٣٠٧.
(٣٨) مطالع الانوار :ص ٢٧ .
(٣٩) المصدر نفسه : ص٢٨.
(٤٠) مخطوطة العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية في مكتبة آل كاشف الغطاء بالرقم ٨٢٩ .
(٤١)بغية النبلاء في تاريخ كربلاء ص٤٥.
(٤٢)موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم كربلاء ص٢٧٩.
(٤٣) صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ـ جعفر الخياط ص ٣٠٧.
(٤٤) موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم كربلاء : ص٢٩٥.



Mr. Ibrahim Al-Qazwini and his social role in Karbala

By: Prof. Dr. Zainab Kamel Karim
(Center of revival of Arabic science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

Mr. Ibrahim is a son's of Mr. Mohammed Baqir Al-Musawi, he considered a prominent personality in the city of Karbala: He is famous for scientific fields and is well known for his thorough investigation. Then he spent his last days teaching in Karbala. He has a position in teaching and classifying literature. He authored (dawabit Alasoul) two times, or two parts.

He has a prominent role in social life in Karbala, whether on the intellectual or social level, and on the level of political movements in Karbala, which cast a shadow on life and witnessed the social life in Karbala from miserable economic conditions that led to a major crisis and an unjust siege imposed on the holy city, during the period of Naguib Pasha and resulted in This crisis is about igniting the fuse and fire of the war launched by the Ottoman government, which led to the forcible storming of the city by the Ottoman army after its destruction and attack.

Some of the revolutionaries(rebles) were following Mr. Ibrahim Al-Musawi, as Salman Hadi Tohme pointed out, saying: But the scholars found in (Yarms) split into two parts, one with the famous religious leader Kazem Al-Rashti and the other with another religious leader called Mr. Ibrahim Al-Qazwini.

Therefore, Mr.Ibrahim Al-Qazwini spent all his life in teaching class and classification his works and with revolutionary leadership. For those reasons, we mentioned to this person as a necessary study and should be a focus on his life, which represented as an important role for Heritage and History of Karbala.



الشيخ شريف العلماء الحائري
(ت ١٢٤٦هـ)
واثره في تجديد الحوزة العلمية في كربلاء

د. محمد عزيز الوحيد*

●المقدمة:

شـهدت مدينة كربـلاء في القرن الثالث عشر الهجري، حركة علمية واسـعة، تمثلت ببناء المدارس العلمية، وإنشـاء المكتبات العامة والخاصة، ووجود المدرسـين الماهرين، وتوافد الطلاب عليها من مختلف دول العالم الإسلامي، حتى زاحمت الحوزة العلمية في النجف وتفوقت عليها بكثرة طلبتها ومدرسيها، وأصبحت الحوزة العلمية رقم واحد في العالم الإسلامي .

وكان لبزوغ نجم شريف العلماء المازندراني الحائري أثر واضح في ذلك، اذ استقطبت مدرسته الطلاب والمدرسين.

كان شريف العلماء مدرسا ماهرا، لم تسمح بمثله الأيام، وكان مجلسه مملوءاً من العلمـاء العظـام الذين جاوزوا الألف، وببركة جهـوده بلغ جمع كثير من طلابه في مدة يسـيرة رتبـة الاجتهاد. لقد عمل شريـف العلماء على تجديد الحـوزة العلمية في كربلاء وإصلاحهـا ويمكـن تلمس ذلـك من خلال تجديـده لمناهج العلوم وخاصـة علم أصول وطرائق التدريس، وابتكاره دراسـة البحث الخارج في الحوزة، ولم يكن ذلك معروفا من قبل. ومن هنا تكمن أهمية البحث في دراسـة سـيرة الأسـتاذ شريـف العلماء ومكانته العلمية وأثره في تجديد وتطوير الدراسة والمناهج في الحوزة العلمية .

* جامعة بغداد/ مركز إحياء التراث العلمي العربي



● **المبحث الأول**

أسمه ونسبه:

هوالشيخ محمد شريف بن حسن علي الآملي المازندراني الأصل الحائري مولدا ومنشأ ومسكنا ومدفنا، الشهير بـ (شريف العلماء)[١].لقب بالآملي نسبة إلى مدينة آمل في طبرستان، وكانت أسرته قد هاجرت من مازندران إلى كربلاء في القرن الثاني عشر الهجري واستقرت فيها. ولد في كربلاء، ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته.

● **نشأته:**

نشأ شريف العلماء في مسقط رأسه كربلاء نشأة علمية، اذ كانت كربلاء يومئذ مركزا علميا وحاضرة كبيرة من حواضر العلم والمعرفة وقد ازدحم فيها الطلاب والمدرسون وانتشرت فيها المدارس ودور العلم والمكتبات العامة والخاصة، فتعلم القراءة والكتابة في الكتاتيب، ثم بدأ بدراسة المقدمات وظهرت عليه مخايل الذكاء، يقول التنكابني: ورأيت سيدا من أهالي مازندران وكان معمرا ومجاورا للعتبات وكان يقول: درس شريف العلماء كتاب العوامل الجرجانية عندي. وعندما وصلنا إلى قوله والعوامل مئة نوع وسألني شريف العلماء أن أعد العوامل لنرى هل تصير مئة أم لا. قلت نعم، هي كذلك ولا حاجة لعدها . فقال شريف العلماء: لا أقبل هذا الكلام فلعل المصنف غير مصيب فلعل العوامل أكثر أوأقل[٢].

● **دراسته:**

وبعد الانتهاء من المقدمات درس عند السيد محمد(المجاهد) بن السيد علي الطباطبائي، ثم على أستاذه السيد علي والد السيد محمد في تسع سنين في الأصول والفقه[٣]، واستغنى عن الاشتغال، واصبح قابلا للإفتاء، ومجتهدا بصيرا وجامعا لجميع الشرائط المعتبرة. وكان يقول انه في مجلس المباحثة مع أستاذه لم ينتفع منه في آخر المدة، وكان يعجز عن جوابه الأستاذ كثيرا ويتغير عليه[٤].

● **رحلته إلى ايران:**

فلذا ارتحل إلى ديار العجم وبقي في كل مدينة شهرا أوشهرين أوأشهراً، وأشتغل بالسياحة، ومنظوره تحصيل الأسباب والكتب، ولم يتمكن منه، ولم يعنه أحد لا من العلماء ولا من الظلمة والرؤساء، فرجع مع أبيه بعد زيارة الإمام الرضا (عليه السلام)، إلى كربلاء، وحضر مجلس أستاذه، ولكنه لم ينتفع لان أستاذه صار شيخا معمرا، فاشتغل هوبالمطالعة والمباحثة، وجد كمال الجد حتى صار مدرسا ماهرا، لم تسمح بمثله الأيام، وصار مجلسه مملوءاً من العلماء العظام، وببركة أنفاسه الشريفة ترقى جمع كثير في مدة يسيرة من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد[٥].

● **أساتذته:**

١- ابوالقاسم القمي[٦] (١١٥١-١٢٣١هـ)

ابوالقاسم بن محمد حسن بن نظر علي الجيلاني الشفتي الرشتي الأصل، القمي، المعروف بالميرزا القمي وبالمحقق، صاحب القوانين المحكمة. كان فقيها مجتهدا، وأصوليا محققا، كثير الاطلاع.



ولد في جابلق من أعمال بروجرد سنة ١١٥١هـ، درس على أبيه العلوم الأدبية، وسافر إلى خوانسار، فأقام فيها عدة سنين تتلمذ خلالها على السيد حسين بن جعفر بن حسين الخوانساري (ت١١٩١هـ) وصاهره على شقيقته وأجيز منه. ثم هاجر إلى العراق ومكث في كربلاء مدة طويلة ، حضر فيها على محمد باقر البهبهاني، ولازم بحوثه في الفقه والأصول مدة طويلة، وحصل منه على إجازة. وخلال مكثه في كربلاء حضر عنده شريف العلماء ولازم مجلس درسه مدة سنة[٧].

وكانت له مؤلفات منها: القوانين المحكمة، حاشية على القوانين، غنائم الأيام، في الفقه، مناهج الأحكام في الفقه. معين الخواص في الفقه. توفي في قم سنة ١٢٣١هـ.

٢- السيد محمد المجاهد[٨] (حدود ١١٨٠-١٢٤٢هـ)

هومحمد بن علي بن محمد علي بن أبي المعالي الطباطبائي الحسني الحائري، المعروف بالمجاهد. ولد في كربلاء في حدود سنة ثمانين ومائة وألف. وتتلمذ على والده السيد علي الشهير بصاحب الرياض، والسيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي، وتخرج بهما. وجد في دراسة علمي الفقه والأصول حتى برع فيهما وارتحل إلى أصفهان سنة ١٢١٨هـ، وتصدى بها للتدريس والتصنيف .ثم عاد إلى كربلاء بعد وفاة والده سنة ١٢٣١ هـ، وقام مقامه في التدريس والإفتاء. وحظي بمكانة مرموقة، وصارمن مراجع التقليد. تتلمذ عليه شريف العلماء وصنف كتبا، منها: المناهل في الفقه، إصلاح العمل في فقه العبادات، المصابيح في شرح المفاتيح في الفقه للفيض الكاشاني، جامع العبائر في الفقه، مفاتيح الأصول في أصول الفقه، الوسائل إلى النجاة في أصول الفقه، رسالة في حجية الظن المطلق سماها المقلاد (مطبوعة مع كتابه المفاتيح)، كتاب في الأغلاط المشهورة، عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال، والمصباح الباهر في إثبات نبوة نبينا الطاهر. توفي بقزوين في شهر صفر سنة ١٢٤٢هـ، عائدا من القتال ضد القوات الروسية التي استولت على بعض المدن الإيرانية في عهد السلطان فتح علي شاه القاجاري، وكان السيد محمد قد أفتى بالجهاد ضدهم ولذا لقب بالمجاهد.

٣- السيد علي الطباطبائي[٩](١١٦١-١٢٣١هـ)

السيد علي بن محمد علي بن أبي المعالي الصغير بن أبي المعالي الكبير الطباطبائي الحسني الحائري ، صاحب «رياض المسائل». كان فقيها مجتهدا وأصوليا محققا. ولد في الكاظمية ببغداد سنة ١١٦١هـ. ونشأ في كربلاء . تتلمذ على ابن خاله محمد علي بن محمد باقر البهبهاني، ثم حضر على خاله الأغا محمد باقر البهبهاني، وعلى الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق النظرة. وتضلع من الفقه وأصوله، واشتهر وصار من أبرز علماء عصره. درس عنده شريف العلماء ولازمه مدة تسع سنوات .وصنف كتبا منها: رياض المسائل في بيان الأحكام بالدلائل، شرح كتاب الصلاة من كتاب(مفاتيح الشرائع) للفيض الكاشاني، حاشية على كتاب(مدارك الأحكام) للسيد محمد بن علي بن أبي الحسن العاملي، حاشية على كتاب(الحدائق النظرة) في الفقه



لأستاذه يوسف البحراني، رسالة في منجزات المريض، شرح كتاب(مبادئ الأصول) للعلَامة الحلي. توفي في كربلاء سنة ١٢٣١هـ .

٤- السيد صدر الدين العاملي[١٠](١١٩٣-١٢٦٣هـ)

السيد صدر الدين محمد بن صالح بن محمد بن إبراهيم شرف الدين الموسوي العاملي جد آل الصدر وآل شرف الدين في العراق ولبنان ولد في ذي القعدة سنة ١١٩٣هـ في مزرعة شد غيث من أعمال صور في جبل عامل . هاجر مع عائلته إلى العراق في سنة ١١٩٧هـ فرارا من ظلم إبراهيم باشا الجزار والي الشام، وسكنوا في الكاظمية، تتلمذ على والده، وعلى الفقيه سليمان بن معتوق العاملي. ثم حضر في الكاظمية وكربلاء والنجف على كبار الفقهاء، وروى عن آخرين بالإجازة ومن هؤلاء السيد محسن بن حسن الأعرجي الكاظمي، وأسد اللّه بن إسماعيل التستري الكاظمي، والسيد علي بن محمد علي الطباطبائي الحائري صاحب الرياض، والسيد محمد مهدي الشهرستاني الحائري، والسيد محمد مهدي بحر العلوم النجفي، والسيد محمد جواد بن محمد العاملي النجفي، وجعفر بن خضر النجفي صاحب (كشف الغطاء).درس عنده شريف العلماء في كربلاء،وكان السيد يمنعه من كثرة التعمق في أصول الفقه، ويأمره بالتعمق بالفقه.

وارتحل صدر الدين العاملي إلى إيران في سنة ١٢٢٦ه ، فأقام ببلدة قم مدة، وأخذ عن الميرزا أبوالقاسم القمي صاحب القوانين، ثم توجه إلى أصفهان سنة ١٢٢٧هـ فاستوطنها، وتصدى بها للتدريس وإقامة الحدود والأحكام. وصنف كتبا ورسائل، منها: أثرة العترة في الفقه على طريق الاستدلال، عترة العترة في اختصار(أثرة العترة)، المستطرفات في مسائل متفرقة فقهية لم يتعرض لها الفقهاء من قبله، رسالة عملية بالفارسية سماها قوت لا يموت، القسطاس المستقيم في أصول الفقه، رسالة في حجية الظن، منظومة في الرضاع، شرح منظومة الرضاع، المجال في الرجال، تعليقة على (نقد الرجال) للسيد التفريشي، تعليقة على رجال الشيخ أبي علي، دونها السيد حسن الصدر وسماها نكت الرجال على(منتهى المقال)، شرح مقبولة عمر بن حنظلة، وقرة العين في النحو، وغير ذلك من الحواشي والرسائل وأجوبة المسائل. توفي بالنجف الأشرف في شهر محرم سنة ١٢٦٤ه .

● مجلس درسه:

صرف شريف العلماء عمره في تربية الطالبين، وكان له مجلسان: أحدهما للمنتهين والآخر للمبتدئين، ويدرس في أيام التعطيل لجمع آخر من الطالبين، وفي شهر رمضان يدرس بالليل، وكان مشغولا مع الطالبين إلى نصف الليل بالمباحثة، وبعده بالزيارة والعبادة، فلذا كان قليل التصنيف[١١]. وحدث الشيخ محمد حسن آل ياسين، وكان أحد تلامذته، قال: كان يدرسنا في علم الأصول في المدرسة المعروفة بمدرسة حسن خان[١٢]. وكان يحضر تحت منبره ألف من المشتغلين، وفيهم المئات من العلماء الفاضلين، ومن تلامذته شيخنا العلامة المرتضى الأنصاري، وهومنقح تلك



التحقيقات الأنيقة، وكفى بذلك فخرا وفلا[١٣]. وكان أعجوبة في الحفظ والضبط ودقة النظر وسرعة الانتقال في المناظرات وطلاقة اللسان، ولم يباحث مع أحد إلاّ غلب عليه. وكانت له يد طولى في علم الجدل[١٤]. وكان اذا سئل عن مسألة فرعية يبدي شقوقا واحتمالات بحيث يذهل السائل عن أصل المطلب[١٥].

• تدريسه الفقه:

كان شريف العلماء مقتصرا على تدريس مادة أصول الفقه لطلابه فقط، مما دفع ببعضهم للحضور عند بعض الأساتذة لدراسة الفقه، وعندما ذهب السيد إبراهيم القزويني اقرب تلاميذه إلى النجف ليدرس عند الشيخ علي بن جعفر كاشف الغطاء درس الفقه فلم يرتح شريف العلماء لذلك وصرح بان كل ما عند السيد إبراهيم هومني فانا الذي رتبته ويجعل النهاية في مكان آخر، ولذا انزعج منه. فقال له التلامذة: انتم تدرسون الأصول والأصول مقدمة للفقه فكيف تحصل هذه المقدمة ؟ فلماذا تعترض على السيد إبراهيم فقال شريف العلماء: غدا نشرع في الفقه في مسألة البيع الفضولي . وخلال ثمانية أشهر درس البيع الفضولي بنحولم يتعرض له فقيه والشيخ مرتضى الأنصاري الذي كان من تلامذته ينقل بعض تحقيقات أستاذه شريف العلماء في كتاب المتاجر[١٦].

• رعايته لتلاميذه:

كان شريف العلماء رؤوفا بتلاميذه كما يرأف الوالد البار بأولاده، شديد العناية بهم كثير الاهتمام لهم، فهذا الشيخ إسماعيل اليزدي من تلامذته قد ابتلي عدة مرات بداء الصرع فأتى شريف العلماء بطبيب من بغداد ليعالجه وصرف عليه أموالا كثيرة. وكان الشيخ إسماعيل مبتلى بالفقر والفاقة جدا ولم يكن في غرفته الا قلم وورق. وكان فاقدا للكتب والأسباب فأرسل شريف العلماء إلى أهالي إيران حتى يحترموه ويعينوه ويراعوه فذهب الملا إسماعيل إلى يزد وعاد[١٧].

• تلامذته:

تتلمذ عليه وتخرج به الجم الغفير فقد اتجهت أنظار الطلاب والمشتغلين إليه، وتقاطروا عليه من كل حدب وصوب، فاشتغل بالتدريس والتربية، وحرص على تفهيمهم بأساليب راقية، حتى تخرج من منبر درسه عشرات المجتهدين بل المئات، وكان يرفع طلابه إلى أوج الاجتهاد بمدة قصيرة لغزارة علمه وحسن تفهيمه.

١- آقا الدربندي[١٨] ت ١٢٨٦هـ

الشيخ آقا بن عابدين بن رمضان بن زاهد، الشيرواني الدربندي المشهور بالفاضل الدربندي، عالم متبحر وحكيم بارع وفقيه فاضل ورجالي محدث، درس على شريف العلماء، وكان يغالى فيه حتى فضله على المتقدمين والمتأخرين،له مؤلفات منها: كتاب أسرار الشهادة، كتاب العناوين، كتاب خزائن الأحكام، كتاب السعادات، كتاب في علم الدراية. توفى سنة ١٢٨٦هـ في طهران ونقل نعشه إلى الحائر الحسيني، ودفن في حجرة باب الصحن الصغير.

٢- إبراهم البارفروشي السمناني[١٩]



الشيخ إبراهيم بن بابا البارفروشي السمناني عالم فقيه. درس في كربلاء على شريف العلماء ثم رجع إلى سمنان فصار مرجعاً للأمور وكان قائما بوظائف الشرع إلى أن توفي وحمل إلى كربلاء فدفن بها. وله حواش على جملة من الكتب .

٣- إبراهيم القزويني صاحب ضوابط الأصول[٢٠](١٢١٤- ١٢٦٤هـ)

السيد إبراهيم بن محمد باقر الموسوي القزويني ولد في قزوين سنة ١٢١٤هـ، انتقل مع أبيه إلى كرمانشاه، وقرأ فيها مبادئ العلوم. ثم ارتحل إلى العراق وسكن في كربلاء ودرس عند السيد محمد المجاهد وغيره ولازم درس الشيخ شريف العلماء، ودرس الفقه عند الشيخ موسى بن جعفر كاشف الغطاء في النجف، وعاد إلى النجف وشرع في التدريس في حياة أستاذه شريف العلماء. له مؤلفات منها ضوابط الأصول، ضمنه كثيرا من تحقيقات وآراء أستاذه شريف العلماء، وله أيضا كتاب نتائج الأفكار وغيره . توفي في كربلاء سنة ١٢٦٤هـ.

٤- أحمد بن عبد الله الدولت آبادي الخوانساري[٢١] توفي بعد ١٢٧٩هـ

أحمد الدولت آبادي الخوانساري الأصل. كان من علماء الفقه والأصول، ماهراً فيهما، من المحققين. تلمذ على أسد اللّه البروجردي، وعلى شريف العلماء بكربلاء، وفي أصفهان تلمذ على الشيخ محمد تقي الأصفهاني، صاحب الحاشية على المعالم. له مؤلفات منها: المصابيح في الأصول، كبير حسن جدا، الأدعية المتفرقة، فرغ منه في ١٢٧٩هـ .

٥- إسماعيل بن قاسم الطهراني[٢٢]

فقيه أصولي، من تلامذة شريف العلماء المازندراني في كربلاء. من مؤلفاته: القواعد الشريفة الشريفية في أدلة الأحكام الشرعية، أربعة مجلدات استدلالية مفصلة في قواعد أصول الفقه بعناوين (قاعدة، قاعدة)، نقل فيها كثيرا عن أستاذه شريف العلماء. تم تأليف قسم الأدلة اللفظية سنة (١٢٣٥ هـ).

٦- إسماعيل اليزدي[٢٣] توفي في حدود ١٢٤٧هـ

الشيخ إسماعيل اليزدي، عالم فاضل وفقيه أصولي كبير، درس في كربلاء على شريف العلماء وتخرج عليه، واصبح من كبار الفقهاء، رجحه بعضهم على أستاذه في الفقاهة . وكان موضع عناية ورعاية أستاذه شريف العلماء. وبعد وفاة أستاذه حل محله في التدريس وإقامة الجمعة وتصدى للمرجعية ودرس مدة ثمانية أوتسعة أشهر ثم مات في حدود سنة (١٢٤٧هـ).

٧- جعفر بن آقا بزرك التستري[٢٤] (ت ١٢٦١هـ)

محمد جعفر بن آقا بزرك، أقام سنين في كربلاء متتلمذا على شريف العلماء المازندراني في أصول الفقه. من مؤلفاته: مناهج الأصول صرح في أوله أنه من تقرير شريف العلماء. توفي ضحوة تاسع عشر ربيع الأول سنة ١٢٦١هـ.

٨- جعفر الطالقاني النجفي[٢٥](١٢٠٣-١٢٧٧)

هوالسيد جعفر بن علي بن حسين بن حسن الشهير بمير حكيم الحسيني الطالقاني



النجفي من مشاهير عصره في العلم والأدب. كان عالما فقيها ولد في النجف سنة ١٢٠٣هـ وحضر بها على والده وعلى السيد محمد المجاهد الطباطبائي وشريف العلماء وغيرهم. توفي في النجف عصر الثلاثاء ٥ ربيع الأول ١٢٧٧هـ.

٩- جواد العريضي البشروي الحائري[٢٦]

السيد جواد بن جمال الدين حسن بن محمد باقر بن عبد المطلب الحسيني العلوي العريضي البشروي الحائري. ولد ونشأ في كربلاء وأخذ المقدمات والعلوم الإسلامية على أفاضل علماء كربلاء، ثم تخرج في الفقه والأصول على الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ هـ وشريف العلماء الحائري. كان من كبار العلماء وأهل الفضل والمحققين تصدى للتدريس والفتوى والإمامة في الحائر الشريف، توفي في كربلاء حدود سنة ١٢٦٠هـ، ودفن في الروضة الحسينية.

١٠- الشيخ حسن الكوكاني[٢٧] ت بعد ١٢٤٢هـ

فقيه أصولي فاضل، تتلمذ على شريف العلماء، له (أصول الفقه) غير تام، ينقل كثيراً من آراء أستاذه في كتابه ويناقشها، توفي بعد سنة ١٢٤٢هـ.

١١- حسن بن غلام الحائري صاحب لوامع الأصول[٢٨] ت ١٢٩٧هـ

الشيخ حسن بن غلام علي بن محمد رشيد اليزدي الكثنوي الحائري، ولد في يزد وقرأ المقدمات فيها، ثم رحل إلى أصفهان، ودرس عند السيد محمد باقر الشفتي وغيره، ثم هاجر إلى كربلاء، ودرس عند شريف العلماء، وغيره ثم رجع إلى بلاده، وأقام في قريته مرجعا لاهلها، يقيم الجماعة يؤم الناس ويخطبهم ويعظهم، ويؤلف الكتب في شتى العلوم، وقد فرغ من الجزء الرابع من موسوعته الفقهية قوانين الاحكام، في ربيع الأول سنة ١٢٥٤هـ، ووقف كتبه سنة ١٢٧٥هـ، وزار مشهد الرضا عليه السلام سنة ١٢٨٠هـ، حيث فرغ من كتابه ميزان الحق هناك في التاريخ، وهاجر بعد ذلك إلى كربلاء بنية الإقامة الدائمة فالقى رحله بها، عالما موجها، واعظا مرشدا، مدرسا، مقيما للصلاة جماعة يأتم به الصلحاء في مسجد مدرسة حسن خان، إلى أن توفي سنة هـ ١٢٩٧، له من المؤلفات منها: أنوار الشهادة في مصائب الحسين (ع) ومقتله، الضوابط أوضوابط الأحكام، قوانين الأحكام، فقه استدلالي مبسوط،لوامع الأصول، في أصول الفقه، عناوينه لامعة، ينقل فيه كثيرا عن شريف العلماء.

١٢- حسن المدرس الأصفهاني[٢٩](١٢١٠ -١٢٧٣هـ)

السيد حسن بن علي بن محمد باقر بن إسماعيل الحسيني الأصفهاني الشهير بالسيد حسن المدرس . ولد سنة ١٢١٠هـ وتوفي في أصفهان سنة ١٢٧٣هـ .كان عالما جليلا فقيها ورعا محققا مدققا حسن الأخلاق انتهى اليه امر التدريس بأصفهان قرأ أولا في أصفهان على جملة من فضلائها ثم هاجر إلى العراق فقرأ في كربلاء على شريف العلماء في الأصول ثم قرأ في النجف على صاحب الجواهر في الفقه ثم عاد إلى كربلاء فقرأ على الحاج محمد إبراهيم الكلباسي ثم عاد إلى أصفهان وقرأ بعد عوده إليها على الحكيم المولى علي النوري وقرأ على الشيخ محمد تقي صاحب المعالم وكان أفضل تلامذته وقام مقامه من بعده في التدريس. له



مؤلفات كثيرة منها: جوامع الكلم في أصول الفقه أوجوامع الأصول، رسالة في أصالة الصحة، رسالة في العدالة، رسالة في قاعدة لا ضرر، مناسك الحج، شرح المختصر النافع استدلالي مبسوط لم يتم خرج منه الطهارة وبعض الصلاة، كتاب في أجوبة مسائل مختلفة.

١٣- حسين بن رضا بن مهدي بحر العلوم النجفي[٣٠](١٢٢١-١٣٠٦هـ)

ولد بالنجف سنة ١٢٢١ هـ وتوفي سنة ١٣٠٦هـ . كان فقيها أصوليا أديبا شاعرا، درس في كربلاء عند شريف العلماء، له مؤلفات منها: كتاب في الفقه، كتاب في الأصول، شرح منظومة جده بحر العلوم نظماً بطريق الاستدلال، ديوان شعره أكثره في أهل البيت عليهم السلام.

١٤-حسين الترك الكوهكمري[٣١]ت ١٢٩٩هـ

السيد حسين بن محمد بن الحسن بن الحسيني الكوهكمري التبريزي . ولد في [كوه كمر] ونشأ بها وتعلم مقدمات العلوم ثم رحل إلى تبريز فقرأ بها السطوح ثم هاجر إلى العراق فحضر في كربلاء على شريف العلماء والسيد إبراهيم القزويني صاحب (الضوابط) والشيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب (الفصول) ثم حضر في النجف على الشيخ علي ابن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء وعلى الشيخ محمد حسن صاحب (الجواهر) ولازم الشيخ المرتضى الأنصاري واختص به.

١٥- رجب علي اللاريجاني[٣٢]

كان من العلماء الفقهاء، أصله من لاريجان من قرى مازندران هاجر إلى كربلاء وتتلمذ على شريف العلماء، وكتب تقريرات بحث أستاذه، سكن المترجم له مشهد السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام في الري إلى ان توفي.

١٦- رفيع بن علي الرشتي[٣٣] (١٢١١-١٢٩٢هـ)

هوالميرزا رفيع بن علي الرشتي المشهور بـ (شريعتمدار) من أكابر علماء وقته، ولد في سنة ١٢١١هـ وتخرج على شريف العلماء. وله مصنفات في الفقه والأصول والرجال، توفي سنة ١٢٩٢هـ .

١٧-عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدي المشهدي[٣٤] ت ١٢٦٨هـ

هوالشيخ عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدي عالم كبير وواعظ جليل. كان من أكابر العلماء في مشهد الرضا عليه السلام بخراسان، تتلمذ على شريف العلماء في كربلاء، له مؤلفات منها: رسالة في صلاة الجمعة، مصائب المعصومين، معين المجتهدين في الأصول وغير ذلك من تقرير أستاذه شريف العلماء.

١٨- عبد الرحيم بن علي الأصفهاني النجف آبادي[٣٥]

من المدرسين ومراجع الأحكام بأصفهان ومن تلاميذ شريف العلماء له حقائق الأصول طبع في حياته سنة ١٢٨٦هـ .

١٩- عبد العظيم بن محمد اللواساني[٣٦]

كان من تلاميذ شريف العلماء في كربلاء، له مؤلفات منها (روض المحصلين) في أصول الفقه عدة مجلدات، ورسالة في الحقائق الثلاثة اللغوية والعرفية العامة والخاصة، ورسالة في الاجتهاد والتقليد فرغ منها في سنة ١٢٤٢هـ .

٢٠- عبد الغفور اليزدي[٣٧](ت ١٢٤٦هـ)

هوالسيد عبد الغفور بن محمد إسماعيل الحسيني اليزدي الغروي. تلامذة شريف

العلماء وله مصنفات في الأصول منها (التحفة الغروية) وتوفى سنة ١٢٤٦هـ.

٢١- علي أصغر بن محمد حسين البفروئي اليزدي[٣٨]

فقيه أصولي، أصله من يزد وسكن كربلاء وتتلمذ على شريف العلماء كما وجد مكتوبا على نسخة من كتابه. له» المناهج الحائرية» في ثلاثة مجلدات كبيرة أتمها سنة ١٢٥٠.

٢٢- محمد الترك آبادي الكاشاني[٣٩] ت ١٢٦٩هـ

الشيخ محمد بن محمد علي بن محمد بن غلام رضا الترك آبادي، الكاشاني، فقيه فاضل، درس عند شريف العلماء، والسيد محمد المجاهد، وكان مجازاً منه، من مؤلفاته: زبدة الإصلاح، مختصر إصلاح العمل، والجعفرية في الديات، معتمد الأنام في الفقه، توفى سنة (١٢٦٩هـ).

٢٣- محمد تقي الكرماني[٤٠]

الشيخ الميرزا محمد تقي بن كاظم الكرماني الشهير بمظفر علي شاه . كان جامعا للمعقول والمنقول حكيما إلهيا وطبيبا رياضيا درس الفقه والأصول في كربلاء على شريف العلماء وغيره وسكن كرمانشاه إلى ان توفى بها في (١٢١٥هـ) وله آثار منها: خلاصة العلوم، المشتاقية، بحر الأسرار.

٢٤- محمد تقي القزويني[٤١]

السيد محمد تقى بن مؤمن بن محمد نقي الحسيني القزويني، قرأ في بلاده مقدمات العلوم ثم هاجر إلى العراق فحضر في كربلاء على شريف العلماء وغيره.

٢٥- محمد تقي الطباطبائي[٤٢](١٢١٩-١٢٨٩هـ)

السيد محمد تقي بن محمد رضا بن محمد مهدي بحر العلوم، ولد سنة ١٢١٩ هـ توفى سنة ١٢٨٩هـ. كان فقيها أصوليا، له كتاب قواعد الأصول درس عند صاحب الجواهر وشريف العلماء.

٢٦- محمد حسن آل ياسين[٤٣](ت ١٣٠٨هـ)

الشيخ محمد حسن آل ياسين الكاظمي، عالم كبير وفقيه جليل متضلع في الفقه والأصول خبير بالحديث والرجال. قرأ المطول على الشيخ عبد النبي الكاظمي صاحب تكملة نقد الرجال وكان من تلاميذ صاحب الجواهر وصاحب الفصول، وشريف العلماء . له مؤلفات منها: رسالة في الطهارة والصلاة والصوم، رسالة في حقوق الوالدين، تعليقات على رسائل الشيخ مرتضى وغير ذلك. توفى في رجب سنة ١٣٠٨هـ بالكاظمية ونقل نعشه حفيده الشيخ عبد الحسين إلى النجف ودفنه في مقبرتهم التي في دارهم المعروفة.

٢٧- محمد سعيد المازندراني[٤٤]

محمد سعيد البارفروشي المازندراني، المعروف بسعيد العلماء، من أجل تلامذة شريف العلماء الذي اتفقت الكلمة على فضلهم في الفقه والأصول، وتربيته المشتغلين. له مصنفات لا يحضرني تفصيلها. سكن بارفروش بعد وفاة أستاذه شريف العلماء، وبنى فيها المدارس، وربى المشتغلين، وصارت للعلم هناك سوق يشد إليها الرحال. وطالت أيامه، وكثرت آثاره وبركاته، توفى في حدود ١٢٧٠هـ.

٢٨- محمد شفيع الجابلقي[٤٥] ت ١٢٨٠هـ

السيد شفيع بن علي أكبر الموسوي الجابلقي صاحب الروضة البهيّة في الإجازات. المتوفّى سنة ١٢٨٠هـ،كان عالما فاضلا. تلمذ على السيد



صاحب الرياض، وعلى ولده السيد صاحب المفاتيح وعلى شريف العلماء. وله مصنفات منها: كتاب مناهج الأحكام في مسائل الحلال والحرام، الشرح على تجارة الروضة، رسالة في الصلاة مسماة بمرشد العوام، كتاب القواعد الشريفة في القواعد الأصولية، الأصول الكربلائية.

٢٩- محمد صالح المازندراني الأصفهاني[٤٦]
توفي بعد سنة ١٢٨٠هـ

محمد صالح المازندراني الجوبارئي الأصفهاني، فقيه ماهر، وأصولي باهر. درس في أصفهان، ثم هاجر إلى كربلاء، وحضر درس شريف العلماء، ولزم مجلس درسه حتى صار من أعلام علماء تلامذة المشار إليه. ولما ورد الشيخ موسى بن جعفر صاحب كشف الغطاء وأخوه الشيخ علي إلى كربلاء شرعا في الدرس فحضر محمد صالح في درس الشيخين، وكانا يدرسان في الفقه لا غير، فاستحسن فقههما، ولازم درسهما. من مؤلفاته: كواشف الحجب في أصول الفقه في عدة مجلدات، رسالة في الصحيح والأعم.

٣٠- محمد علي الدزفولي[٤٧]

الشيخ محمد علي بن آقا نجفي البيكدلي الدزفولي من درس على شريف العلماء. وكتب من تقريرات بحثه في الأصول ثلاثة مجلدات بخطه، توجد عند حفيده الشيخ محمد مهدي بن محمد كاظم بن محمد علي المؤلف.

٣١- محمد علي بن مقصود علي المازندراني[٤٨]
ت سنة ١٢٦٦هـ

هوالشيخ محمد علي بن مقصود علي المازندراني أصلا، النجفي مولدا ومنشأً، والكاظمي مسكنا وموطنا. عالم كبير وفقيه جليل وأصولي ماهر. درس في كربلاء عند شريف العلماء في علم أصول الفقه،. من مؤلفاته كشف الإبهام عن وجه مسائل شرائع الإسلام، وله في أصول الفقه المسائل المهمة غاية في الجودة. سكن الكاظمية وتوفي فيها سنة ١٢٦٦هـ، ودفن في رواق حرم الكاظمين.

٣٢- محمد بن قوج علي الحاجي آبادي الاستراآبادي[٤٩]

محمد بن قوج علي الحاجي آبادي الاستراآبادي من أعلام القرن الثالث عشر، أقام سنين في العتبات بالعراق للتحصيل، من أساتذته في كربلاء شريف العلماء المازندراني. له (تقرير أبحاث شريف العلماء) في الأصول أتمه سنة ١٢٤١هـ.

٣٣- محمد بن محمد ربيع الجزائري التستري[٥٠]

محمد بن محمد ربيع (رفيع) بن مرتضى بن نورالدين الجزائري التستري، عالم فاضل كامل، من آثاره الباقية مجموعة فيها تقريرات شريف العلماء، وتقريرات سعيد العلماء، وتقريرات الشيخ محمد حسين، وتقريرات الشيخ خضر بن شلال النجفي، وتقريرات الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار، وشرح أصول الكافي، وتقريرات المولى محمد صادق، وفيها فوائد أخرى، تاريخ بعضها سنة (١٢٤٥هـ)، وبعضها سنة (١٢٤٦هـ)، وكأنه قرأ على هؤلاء الأعلام، وكتب عنهم. وتوجد بخطه مجموعة أخرى فيها شرح «جامع المقال» الطريحية للمولى محمد أمين الكاظمي، وفي آخره أيضاً جملة من تقريرات شريف العلماء والآخوند المولى محمد صادق وبعض مباحث إشارات الكلباسي، مصرحاً باسم الجميع، داعياً لهم بالسلامة، وتاريخ



هذه المجموعة (١٨ ذي القعدة سنة ١٢٤٥هـ). توجد في كتب محمد علي الخوانساري، وبخطه فيها أيضاً (لب اللباب) في الدراية وعلم الرجال للحاج المولى محمد جعفر الاسترآبادي، و(أنيس الواعظين).

٣٤- الشيخ مرتضى الأنصاري[٥١] (ت ١٢٨١هـ)

مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الدين الأنصاري، ولد في مدينة دزفول في يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة من سنة ١٢١٤هـ قال صاحب الروضات: شيخنا المعاصر، وعمادنا الفقيه الماهر المائر، قدوة المحقّقين والمتصرفين، وأسوة المدققين والمتطرفين، الشيخ مرتضى بن محمّد أمين الدّسفولي ثم النّجفي حيّاً وميّتاً المشتهر بالأنصاري، صاحب كتاب «الفرائد» فى المسائل الأربع الأصوليّة، والمقاصد العمد من الادلّة العقليّة وكتاب المتاجر المبسوط الّذى لم يؤلّف مثله في جميع كتبنا الاستدلاليّة وغير ذلك من الرّسائل الفاخرة الفائقة والتّعليقات الرّفيعة الرّائقة.

● **مؤلفاته:**

كان شريف العلماء مشغولا بالتدريس وتربية الطلاب لذا كان قليل التأليف. وقد قال له احد طلابه: اشتغل بالتصنيف والتأليف وثبت هذه التحقيقات التي لم تصل اليها أيدي العلماء الماهرين والفضلاء المتبحرين والفقهاء الكاملين، فأجابني بأن تكليفي تربية الطالبين وتعليم المتعلمين، وما ألفتموه وصنفتموه فهومني[٥٢] وكان الشيخ علي في مجلس درسه اذا أراد نقل قول شريف العلماء يقول: قال شريف العلماء في الضوابط[٥٣]. ومعلوم ان كتاب الضوابط من تأليف السيد إبراهيم القزويني تلميذ شريف العلماء. ومصنفاته على قلتها لم تخرج من السواد إلى البياض وهي:

١ . بيع المعاطاة، وبيع الصرف والخيارات[٥٤].

٢ . جواز أمر الأمر مع علمه بانتفاء الشرط.

٣ . رسالة في مقدمة الواجب.

٤ . رسالة في بيان جواز النسخ. وقد حققت وعلق عليها وقدم لها ونشرها صديقنا الشيخ حسين حلبيان الأصفهاني[٥٥] .

● **تقريرات أبحاثه:**

لقد كانت لأبحاث ومحاضرات شريف العلماء في علم الأصول أهمية خاصة فقد أتى بأفكار وآراء جديدة تدل على دقة نظره وجودة سليقته وحسن بيانه لذا كان تلاميذه يكتبون نتائج أفكاره ومباحثه العلمية فقد كثرت تقريرات تلامذته، والتقريرات عنوان عام لبعض الكتب المؤلفة من أواخر القرن الثاني عشر وبعده حتى اليوم، وهونظير (الامالي) في كتب الحديث للقدماء، والفرق أن الامالي كانت تكتب في مجلس إملاء الشيخ الحديث عن كتابه أوعن ظهر قلبه، وكان السامع يصدر الكتاب باسم الشيخ، ويعد من تصانيف الشيخ، بخلاف (التقريرات) فإنها مباحث علمية يلقيها الأستاذ على تلاميذه عن ظهر القلب ويعيها التلاميذ في حفظهم، ثم ينقلونها إلى الكتابة في مجلس آخر، ويعد من تصانيفهم، ولذلك لاحظنا الترتيب في (الامالي) على حسب أسماء المشايخ، وفي التقريرات على حسب أسماء التلاميذ، والذي لابد من ذكره هوأن كتب التقريرات أكثر من أن يستقصيها أحد، ولا سيما التقريرات الأصولية التي كتبها تلاميذ شريف العلماء[٥٦] .



١. حاشـية القوانين، تشـتمل عـلى تحقيقات حـول المطالـب المطروحـة في كتـاب القوانين المحكمة للميرزا القمي.
٢ . مناهج الأصول، من تقريرات بحث شريف العلمـاء، في مجلـد كبير صرح في أولـه أنه من تقريـر بحث شريـف العلماء، ألفـه جعفر بن آقا بزرك (آقاكب)التسـتري ت سنة ١٢٥٠هـ والنسـخة بخط المؤلـف في مكتبة السـيد عبد الصمد[٥٧].
٣ . نفائـس الأصول، حيث قـال المقرر في آخر البحث عـن حجية الخبر المرسـل: هذا آخر ما ذكره شريف العلماء في الأدلة الشرعية[٥٨]. وفي آخر بحث البراءة: هذا آخر ما استفيد من شريف العلماء في مسـألة البراءة، واستفدناه نحن من تلميذه الرشيد محمد سعيد المازندراني[٥٩].
٤. تقريرات الشـيخ رجب علي اللاريجاني من بحث أسـتاذه شريف العلماء يوجد فى (مكتبة الإمام الرضا عليه السلام) في خراسان[٦٠].
٥ . تقريرات الشـيخ محمد علي بن الآقا نجفي البيكـدلي الدزفـولي من بحث شريـف العلماء، وقد كتب من تقريـرات بحثه في الأصول ثلاثة مجلـدات بخطـه، توجـد عند حفيده الشـيخ محمد مهدي بن الشيخ محمد كاظم بن الشيخ محمد علي المؤلف[٦١].
٦ . تقريرات السيد محمد الموسوي الجزائري التستري[٦٢].
٧ . تقريـرات لسـبط السـيد محمـد المجاهد الطباطبائي من درس شريـف العلماء، وكتب تقريراته الموجودة نسخة منه في مكتبة الشيخ علي آل كاشف الغطاء في النجف[٦٣].
٨ . الحقائـق الثلاثـة لعبد العظيـم بن محمد اللواساني، في بيان الحقيقة اللغوية، والعرفية العامـة، والخاصة، في ثلاثة مطالـب، كتبه في كربلاء عن تقرير بحثه في (١٢٤١هـ) نسـخة خط المؤلف عند الحاج أحمد آقا الكرمانشاهي حفيـد الآقا محمـود بن الوحيـد البهبهاني في طهران[٦٤].
٩. روض المحصلـين لعبـد العظيـم بن محمد اللواسـاني. مـن تقرير بحث أسـتاذه شريف العلمـاء كتبـه في الحائـر، وفرغ مـن مجلده الأول المنتهـى إلى مسـألة تبعيـة القضـاء في ١٢٤١ ومجلـد منه في مقدمـه الواجب والضد والأمر مـع انتفاء الـشرط والمفاهيم ومجلد في العموم والخصـوص ومجلد في المطلق والمقيد، كلهـا بخـط المصنـف عند الحـاج آقـا أحمد الكرمانشـاهي مديـر مكتبـة سپهسـالار ابن الحـاج آقا هادي بـن الأقا محمـود البهبهاني بطهران[٦٥].
١٠. تقريـرات محمـد بن قوج عـلي الحاجي آبادي الاسـترآبادي. له تقريـر أبحاث شريف العلماء في الأصول أتمه سنة ١٢٤١هـ [٦٦].
١١. التقريرات لبعـض تلاميذ شريف العلماء المازندرانـي، مجلد مـن أول تعريف الفقه إلى مسـألة اجتماع الأمر والنهـي. في مكتبة الميرزا محمد تقي الشيرازي بسامراء[٦٧].
١٢. التقريـرات لبعض تلاميذ شريف العلماء، مجلد في مكتبة الحسـينية من وقف مؤسسـها الحاج علي محمد النجف آبادي[٦٨].
١٣. قواعـد الشريفيـة في القواعـد الأصوليـة للحاج سيد شفيع الجابلقي صاحب (الروضة البهية) المتوفى سـنة ١٢٨٠هـ وهومن تقرير أسـتاذه شريـف العلمـاء، وقد طبـع في إيران وعناوينه قاعدة، قاعدة[٦٩].
١٤. المتاجر المبسـوط الاسـتدلالي لحسين بن

محمـد إسـماعيل الأردكاني الحائـري المتوفى بها سـنة ١٣٠٢ هـ، منه ما استنسـخه بخطه الشـيخ مـوسى بن محمـد جعفـر كتابفروش الكرمانشـاهي الحائري المتوفى سنة ١٣٤٣هـ عن خـط المصنـف، وبحث الفضـولي من هذا الكتاب من تقرير بحث شريف العلماء[٧٠].

• تجديد الحوزة العلمية في كربلاء :

كان لشريـف العلمـاء أثـر واضـح في تجديد وإصـلاح الحـوزة العلمية في كربـلاء ويمكن تلمس ذلـك من خلال تجديـده لمناهج العلوم وخاصة علم أصول وطرائق التدريس وابتكاره دراسة البحث الخارج في الحوزة ولم يكن ذلك معروفا من قبل.

• تجديد علم الأصول:

عمل الشـيخ على تغيير الأصول إلى نهج حسن ورتبـه ترتيبا ملائماً مع تحقيق وتدقيق تامين لم يسـبقه إلى ذلك ولم يلحقـه إلى مثله أحد في علم المنقول . ورتب لكل مسألة مقدمات بحيث تنحـل خلال هـذه المقدمات جميع الشـبهات وتبطل أدلة الخصم بحيث لا تبقى حاجة لذكر جميع الأدلة وجميع الأقوال وجميع الشبهات بل يكون المسـتمع قادرا بنفسه على رد الشبهات. وكان أيضا يطرح المسألة بنحويحيط بالمسألة بحيث لواستمع السامع لعشرين مسألة يكون غالبا قـادرا على فهـم جميع مسـائل الأصول أوأكثرهـا[٧١]. ولعلـم الأصـول عنـده طريقة خاصة فلسـفية أخذ بعض مواده منها يعرف ذلك المحيط بالعلمين، وغير خفي ان ذلك بعيد الانتـاج لمـن أراد الفقاهة واسـتنباط الأحكام الشرعيـة، نعـم علم الفلسـفة والأصـول بهذا النحوبحد ذاتهما عظيمان جليلان جدا[٧٢].

•تجديد طرائق التدريس في الحوزة:

يعتقـد احـد الباحثـين ان الشـيخ محمد بن شريف بن حسن علي المعروف (شريف العلماء ت ١٢٤٥هــ/ ١٨٢٩م، هوأول عالم شـيعي بدأ يدرس بحوث الخارج ولم يكن ذلك معروفا قبله، والسـبب يرجع إلى ان الشـيخ الأنصاري وسعيد العلماء كانا هذان العالمان يشتركان في مباحثة واحدة فيمـا بينهما، ولما كانا من ابرز طلبة شريف العلماء فقد كانا يكثران من طرح الأسـئلة فكان يضطر في الإجابة على أسئلتهما وإشـكالاتهما إلى تـرك الكتـاب فمـا زال هذا الأمر يتكـرر حتى ترك شريـف العلماء كتابه الـذي كان يدرسـهم فيه واخذ يلقي دروسـه دون كتـاب[٧٣]. وكانت وطريقة تلامذة شريف العلمـاء انه بعد ان يأخذ الدرس يجلس أفضل تلامذتـه يقرر الدرس مـرة أخرى. ثـم كانوا يجلسـون مجموعات مجموعات مئة شـخص، خمسين شـخصا، ويقررون الدرس. وبالجملة درس واحـد كان يتكـرر عدة مـرات في اليوم والليلـة. ثم يكتبونه ولذا كانوا يتمون بسرعة . وهذه هي الطريقة التي ينبغي ان يكون عليها الدرس[٧٤].

• اراء العلماء فيه:

١ . الجابلقـي، محمـد شـفيع ت ١٢٨٠هـ : السالك في مسالك التحقيق، والعارج في مدارج التدقيق، مقنن القوانين الأصولية، مشيد المباني الفروعية، مفتاح العلوم الشرعية، مربي علماء الامامية، مدرس الطالبين جميعا في جوار ثالث الأئمة، أعني شـيخنا وأستاذنا ومربينا ووالدنا



الروحاني والعالم الرباني محمد شريف[٧٥].
٢ . التنكابني، محمد بن سليمان ت ١٣٠٢هـ: محمد شريف بن الملا حسن علي المازندراني الآملي، الملقب بشريف العلماء،وقدوة الفقهاء وأسوة الفضلاء. مؤسس علم الأصول، أستاذ الفحول، نادر الدهر، أعجوبة الزمان وحيد الأيام، درة سماء علم المنقول، بدر سماء الأصول[٧٦].
٣ . الخوانساري، محمد باقر الموسوي ت١٣١٣هـ: رئيس الأصوليين النبلاء الفحول، بل الجامع بين المعقول والمنقول، مولانا شريف الدين محمد ابن المولى حسن علي الآملي المازندراني الأصل الحائري المسكن والمدفن[٧٧].
٤. الصدر، حسن ت ١٣٥٤هـ: شيخ الشيوخ، العالم المحقق المؤسس المتقن المتبحر صاحب التحقيقات التي لم يسبقه اليها سابق[٧٨].
٥. حرز الدين، محمد : العالم المحقق والأصولي القدير المدقق، المدرس الأول في كربلاء[٧٩].
٦. عباس القمي: شيخ الفقهاء العظام ومربي الفضلاء الفخام أستاذ العلماء الفحول جامع المعقول والمنقول[٨٠].
٧. العاملي، محسن الأمين: شيخ العلماء ومربي الفقهاء مؤسس علم الأصول جامع المعقول والمنقول نادرة الدهر وأعجوبة الزمان[٨١].
٨ . الطهراني، أغا بزرك: من أعاظم العلماء في عصره. كان من رؤساء الدين وسدنة المذهب، وأبطال العلم وعمد الشريعة، ومن الحجج الأثبات وشيوخ الاجتهاد الأفاضل[٨٢].

● **وفاته:**

توفي في كربلاء المشرفة بمرض الطاعون في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٤٦هـ هووزوجته وبنته وابنه ودفن في داره[٨٣]، وسني عمره بين ٣٠ إلى ٤٠[٨٤]، وقبره الأن مزار للمؤمنين يقع في زقاق (كدا علي) وقريب من قبره أقيمت مدرسة علمية دينية تعرف باسم (مدرسة شريف العلماء).

●الهوامش

(١) الجابلقي، محمد شفيع الموسوي البروجردي ت ١٢٨هـ ، الروضة البهية في الإجازة الشفيعية، تحقيق جعفر الحسيني الأشكوري، ط١، مؤسسة تراث الشيعة، قم ١٤٣٤هـ، ص ٣١ التنكابني، الميرزا محمد بن سليمان، ت ١٣٠٢هـ، قصص العلماء، ترجمة مالك وهبي، ط١ دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٢٦.
(٢) قصص العلماء، ص ١٢٦.
(٣) الجابلقي، الروضة البهية، ص ٣١،أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٣٦٤.
(٤) التنكابني، قصص العلماء، ص١٢٦.
(٥) الجابلقي، الروضة البهية،ص ٣٢ التنكابني، قصص العلماء، ص١٢٦.
(٦) ترجمته: الخوانساري، محمد باقر الموسوي ت ١٣١٣هـ، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق اسد الله إسماعيليان، طهران،١٣٩٠هـ ، ج٥،ص ٣٦٩ القمي، الكنى والألقاب، ج١، ص١٤٢العاملي، أعيان الشيعة،ج٢، ص٤١١ الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ج١٠، ص٥٢.
(٧) التنكابني، قصص العلماء، ص١٢٦.
(٨) ترجمته: الروضة البهية، ص ٣٤ روضات الجنات، ج٧، ص ١٤٥ أعيان الشيعة، ج٩، ص ٤٤٣ طبقات أعلام الشيعة ج١٢، ص ٤٢٤ .
(٩) ترجمته: روضات الجنات، ج٤،ص ٣٩٩ أعيان الشيعة، ج٨، ص ٣١٤ طبقات أعلام الشيعة، ج١٢، ص ٧٦.

(١٠) روضــات الجنــات، ج٤، ص ١٢٦، تكملــة أمــل الآمــل، ج١، ص ١٩٨، طبقــات أعــلام الشــيعة، ج١١، ص ٦٦٨ أعيــان الشــيعة، ج٩، ص ٣٧٢ .
(١١) الروضة البهية، ص ٣٢، وانظر،قصص العلماء، ص ١٢٧.
(١٢) مدرسة السردار حسن خان، شيدت هذه المدرسة في عــام ١١٨٠هــ/ ١٧٦٦،م من قبل السردار حســن خــان القزويني قائد الجيش الافشــاري وذلك على أثر زيارته لمدينة كربلاء في العام المذكور، تتكون المدرســة من ســبعين حجرة وغرفة، وعدة صالات (قاعات) على شــكل مدرس،وكان لها اثر علمــي في كربلاء، وهدمت المدرســة في عام، ١٣٦٨هــــ/ ١٩٤٨م، للمزيد، انظر، الأســدي، احمد مهلهل، مدرســة السردار حســن خان واثرها العلمي، مجلة تراث كربلاء، الســنة الخامســة، العدد الأول، جمادي الآخرة، ١٤٣٩هــ / آذار ٢٠١٨م. ص ١٦٧ .
(١٣) الصدر، تكملة أمل الآمل، ج٣، ص ١٥٩.
(١٤) الروضــة البهيــة، ص ٣٣، قصــص العلمــاء، ص١٢٧.
(١٥) قصص العلماء، ص ١٢٨.
(١٦) قصص العلماء، ص١٢٧.
(١٧) قصص العلماء، ص ١٢٩.
(١٨) ترجمتــه: قصــص العلمــاء ص١١٩، تكملــة أمل الآمــل، ج٢، ص١٩٣ و١٩٤، الرقــم١٩٧ القمي، عبــاس، الكنى والألقاب، مكتبة الصدر طهران، تقديم محمــد هــادي الأميني، ج٢، ص ٢٢٨ أعيان الشــيعة، ج٢،ص٨٧ الطهرانــي، أغــا بــزرك، طبقــات أعــلام الشيعة، ج١٠، ص ١٥٢.
(١٩) ترجمته: طبقات أعلام الشيعة، ج١٠، ص٩.
(٢٠) قصــص العلماء، روضات الجنات، ج١، ص٣٨ أعيان الشيعة ج٢، ص ٢٠٤.
(٢١) ترجمتــه: الصدر، تكملة أمل الآمل، ج٢، ص٥٥ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٣، ص١٠ الطهراني، أغا بزرك، طبقات أعلام الامامية، ج١٠، ص ٧٠.
(٢٢) ترجمتــه: موســوعة مؤلفــي الامامية، ج٤، ص٢٥٥، وتراجم الرجال، ج١، ص١٦٤، الرقم٢٩٩.
(٢٣) التنكابني، قصص العلماء، ص١٢٩ الطهراني، أغــا بــزرك، طبقات أعــلام الشــيعة، ج١٠، ص ١٣٧ حزز الدين، محمد، معــارف الرجال في تراجم العلماء والأدبــاء، علق عليه حفيده محمد حســين حرز الدين، منشــورات مكتبــة المرعشي، قم، ١٤٠٥هـــ، ج٢، ص ٢٩٩ موسوعة طبقات الفقهاء، ج١٣، ص٧٠٦.
(٢٤) ترجمتــه: الذريعة إلى تصانيف الشــيعة، ج٢٢، ص٣٤٢ الحســيني، احمــد، تراجــم الرجــال، قــم، ١٤١٤هــ، ج٢، ص ٦٤٢ مســتدركات أعيان الشيعة، ج٧، ص٢٤٨.
(٢٥) طبقات أعلام الشيعة، ج١٠، ص٢٦٥.
(٢٦) مستدركات أعيان الشيعة، ج٤، ص٤٣.
(٢٧) تراجم الرجال، ج١، ص٢٢٩.
(٢٨) الطباطبائي، عبد العزيز، معجم أعلام الشــيعة، مؤسســة آل البيــت لإحيــاء الــتراث، ط١، ١٤١٧هـــ ص١٥٢.
(٢٩) أعيان الشــيعة، ج٥، ص ٢١١ ، الذريعة، ج ١٤، ص ٥٩.
(٣٠) أعيان الشيعة، ج٦، ص١٨ ٩.
(٣١) طبقات أعلام الشيعة، ج١٠، ص٤٢٠.
(٣٢) طبقات أعلام الشيعة، ج١١، ص٥٣٥.
(٣٣) تكملــة أمل الآمــل، ج٣، ص٦٩، الرقم٧٤٣، أغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة ج١١، ص ٥٨٠.
(٣٤) طبقات أعلام الشــيعة، ج١١، ص٧٢٣، الذريعة ج١٥، ص٧٣ .
(٣٥) أعيان الشيعة، ج٧، ص٤٦٩.
(٣٦) طبقات أعلام الشيعة، ج١١، ص٧٤٢ ، الذريعة، ج١، ص٢٧٢.
(٣٧) الذريعــة إلى تصانيــف الشــيعة، ج ٣ ص ٤٥٩ طبقات أعلام الشيعة، ج١١، ص٧٥٣.



(٣٨) تراجم الرجال، ج٢، ص٢٢١.
(٣٩) طبقات أعلام الشيعة، ج١٢، ص٤٣٦.
(٤٠) طبقات أعلام الشيعة، ج١٠، ص٢٢٥ ،الذريعة، ج ٧ ص ٢٣٠.
(٤١) طبقات أعلام الشيعة، ج١٠، ص٢٢٩.
(٤٢) ترجمته: تكملة أمل الآمل، ج٥ ، وأعيان الشيعة، ج٩، ص٤٠٩.
(٤٣) تكملة أمل الآمل، ج٣، ص١٦٠.
(٤٤) تكملة أمل الآمل، ج٥، ص٤٠٧ ، الكنى والألقاب، ج٢، ص ٣٨.
(٤٥) تكملة أمل الآمل، ج٣، ص١٦٠ ، أعيان الشيعة، ج٧، ص٣٤٩ الذريعة، ج٢،ص ٢١١.
(٤٦) تكملة أمل الآمل، ج٥، ص٤٢٣، محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ج٣، ص ٢٠١ أعيان الشيعة، ج٩، ص ٣٦٩.
(٤٧) طبقات أعلام الشيعة،ج١٢، ص١٣٤.
(٤٨) تكملة أمل الآمل، ج٥، ص٤٦٣، الرقم٢٤٢٠ فهرس التراث، محمد حسين الجلالي، ط١،قم، ١٤٢٢هـ،ج٢، ص١٤٤ .
(٤٩) مستدركات أعيان الشيعة،ج٧، ص٢٥٨.
(٥٠) طبقات أعلام الشيعة، ج١٢، ص٣٩٦ الذريعة، ج١٨، ص٢٨٣ .
(٥١) روضات الجنات، ج٧، ص١٦٧ أعيان الشيعة، ج ١٠، ص٦٥٤ معارف الرجال، ج٢،ص٣٩٩ .
(٥٢) الروضة البهية، ص٣٢.
(٥٣) قصص العلماء،ص ١٢٧.
(٥٤) الذريعة، ج٣،ص ١٩٤.
(٥٥) نشرت في مجلة تراثنا .
(٥٦) أغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، طهران،١٣٦٠هـ، ج٤، ص ٣٦٦.
(٥٧) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٢٢، ص٣٤٢.
(٥٨) نفائس الأصول، ج٢، ص٥٣٢.
(٥٩) نفائس الأصول، ج٣، ص٤٥٢.
(٦٠) طبقات أعلام الشيعة، ج١١، ص٥٣٥.
(٦١) طبقات أعلام الشيعة، ج١٢، ص١٣٤.
(٦٢) طبقات أعلام الشيعة، ج١٢، ص٣٩٦.
(٦٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٤، ص٣٧٧.
(٦٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج١١، ص٢٧٦.
(٦٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج١١، ص٢٧٦.
(٦٦) مستدركات أعيان الشيعة، ج٧، ص٢٥٨.
(٦٧) الذريعة، ج٤، ص٣٧٢ و٣٧٣.
(٦٨) الذريعة، ج٤، ص٣٧٣.
(٦٩) الذريعة، ج١٧، ص١٨٤.
(٧٠) الذريعة، ج١٩، ص٦٠.
(٧١) التنكابني، ص ١٢٧.
(٧٢) حرز الدين، معارف الرجال، ص ج٢، ٢٩٩.
(٧٣) الحكيم، علاء الدين محمد تقي سعيد، حركة التجديد في الحوزة العلمية في العراق أبان الحكم العثماني المباشر ١٨٣١ – ١٩١٨ م، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٣م، ص١٦٥.
(٧٤) قصص العلماء، ص ١٢٨.
(٧٥) الروضة البهية، ص ٣١.
(٧٦) قصص العلماء، ص ١٢٦.
(٧٧) الخوانساري، روضات الجنات، ج١، ص٣٨.
(٧٨) تكملة أمل الآمل، ج٣، ص ١٥٧.
(٧٩) معارف الرجال، ج٢،ص ٢٩٨.
(٨٠) القمي، عباس، الكنى والألقاب، ج٢،ص ٣٦١.
(٨١) أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٣٦٤.
(٨٢) الطهراني، أغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة ، ج ١١، ص ٦١٩.
(٨٣) طبقات أعلام الشيعة، ج١١، ص٨٥٤ وأنظر: الجابلقي، الروضة البهية، ص ٣٣ التنكابني، قصص العلماء، ص ١٢٨.
(٨٤) قصص العلماء، ص١٣٩.

●المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأسـدي، احمد مهلهل، مدرسة السردار حسن خان واثرها العلمي، مجلة تراث كربلاء، السـنة الخامسـة، العدد الأول، جمادي الآخرة ١٤٣٩هـ / آذار ٢٠١٨م.
- أغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشـيعة، طهران،١٣٦٠هـ.
- أغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، دار إحياء التراث العربي، ط١ بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- الأمـين، حسـن، مسـتدركات أعيـان الشـيعة، دار التعارف، بيروت.
- الأمين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، د.ت .
- التنكابنـي، الميرزا محمد بن سـليمان، ت ١٣٠٢هـ، قصص العلماء، ترجمة مالـك وهبي، ط١ دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٩٩٢م.
- الجابلقي، محمد شـفيع بن علي أكبر البروجردي(ت ١٢٨٠هـ)، الروضـة البهيـة في الإجازة الشـفيعية، تحقيق جعفر الحسـيني الأشـكوري، مؤسسـة تراث الشيعة، ط١، قم ١٤٣٤هـ .
- الجـلالي، محمـد حسـين، فهـرس التراث،ط١قـم، ١٤٢٢هـ.
- حرز الدين، محمد، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدبـاء، علق عليه حفيده محمد حسـين حرز الدين، منشورات مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٥هـ.
- الحسيني، احمد، تراجم الرجال، قم، ١٤١٤هـ.
- الخوانسـاري، محمـد باقر الموسـوي ت ١٣١٣هـ، روضات الجنات في أحوال العلماء والسـادات، تحقيق اسد الله إسماعيليان، طهران، ١٣٩٠هـ.
- الحكيم، علاء الدين محمد تقي سعيد، حركة التجديد في الحـوزة العلميـة في العـراق أبان الحكـم العثماني المبـاشر ١٨٣١ – ١٩١٨ م، أطروحـة دكتوره مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٣م.
- الشـاهرودي، نور الدين، تاريـخ الحركة العلمية في كربلاء، ط١ دار العلوم،بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- الصـدر، حسـن، ت ١٣٥٤هـ، تكملة أمـل الامل، تحقيق حسـين محفوظ وعبد الكريـم الدباغ وعدنان الدبـاغ، ط١،دار المؤرخ العربـي، بيروت،١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- الطباطبائـي، عبـد العزيـز، معجم أعلام الشـيعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤١٧هـ.
- القمي، عباس، الكنى والألقاب، تحقيق محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران، د . ت.
- محبوبة، جعفر باقر، ماضي النجف وحاضرها، ط٢ دار الأضواء، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.



Sheikh Sharif Al-Ulamma Al-Haeri (d. 1246 AH) and its effect on the renewal of Al-Hawza Al-›Ilmiyya in Karbala

By: Muhammad Aziz Al-wahid
(Center of revival of Arabic science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

The research deals with one of the important personalities that contributed to the enrichment and development of Al-Hawza Al-Ilmiyya in Karbala he is Sheikh Sharif Al-Ulamma Al-Haeri He renewed the science curricula, especially the science of origins and teaching methods, The research dealt with talking about his name, lineage, genesis and study And then his professors who briefly presented, The research moved on to talk about a council that studied it, as it had two student councils, one for the completed and the other for beginners, Indicating his interest in teaching the Islamic jurisprudence Pointing to his interest in his students whose names the research mentioned with a brief summary about them, the conclusion of the research is about the opinions of scholars on it.



أبو القاسم الزَّجَّاجي
وأثرهُ في تطور المنهج النحوي العراقي



م.د.هدى ناجي عبيد البديري*

●المقدمِّة:

يتناول بحثنا جوانب من العطاء العلمي لنحوي لُغوي كبيرٍ، بصري النزعة في التّعلم والتَّلقـي، وفي الآراء والإتجاه، عاش في القرن الرابـع الهجري، ترجم له ابن النديم فيمن خلط بين المذهبين(١)، وجعله الزبيدي من النحويين البصريين من أصحاب الزّجاج(٢)، وعُدّ واحدا من أشـهر الذين غلب عليهم الإتجاه البصري وعدوا من البصريين ولم يخلطوا(٣)، هو أبو القاسم الزَّجاجي .

●الزَّجّاجي اسمهُ ونسبهُ ولقبهُ ..

هو أبو القاسـم عبـد الرحمن بن إسـحاق الزجّاجي البغداديّ، التهانـوي، الصيمري، النحـوي، عالـمٌ بالعربية، أخذ عن الزجّـاج وابن دريد، وعلي بن سـليمان الأخفش،وقد اتفقت جميع كتب الطبقات على اسـمه وكنيته ولقبه(٤)، ووقفت كلها عند حدّ أبيه فلا نكاد نجد أية إشـارة إلى اسـم جده أو عائلته، ولعلّ أعجمية النسـب وقفت دون تحقيق ذلك، (إذ لو كان عربيا لما ضاع عنا نسبه نظرا لما عرف عن العرب من العناية بالأنساب)(٥).

وشـعوره بذلك، وتواضعه الجم من جهة أخرى، أديا إلى إهمال تلك الحقيقة التي طالما أولع بها كثير من العلماء والأدباء، غير أنّ أبا القاسـم اكتفى بانتسـابه إلى شـيخه أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزّجّاجَ(٦).

---

* جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي



وتــكاد تتفــق معظم الروايات عــلى أنّه ولد بنهاونــد أو الصيمــرة وكلتاهمــا جنوبــي همذان[٧]،واكتفى ابن تغري بردى(ت ٨٧٤هـ) بقوله: «من أهل بغداد»[٨] .

ومما يعزز تلك المكانة العلمية إقبال القُرّاء والدارسين على تصانيفه لحسن أسلوبه،ودقة مادتــه، وطريقــة عرضه لها، وقد أشــار إلى ذلــك كثير مــن المؤرخين وسـمَّاه الذهبي(ت ٧٤٨هـ)، صاحــب التصانيــف، وقــال عنــه: «وانتفع بكتابه الجمل خلــقٌ لا يحصون»[٩] ومــن مصنفاتــه الأخــرى: الإيضــاح في علل النحو، اشتقاق أسماء الله، الأمالي. توفي سنة (٣٣٧هـ)، أو (٣٣٩هـ)، أو (٣٤٠هـ)[١٠].

اتَّصــف أبو القاســم بالتواضــع، والتقوى، والخلق القويم، وقصة تأليفه لكتابه (الجمل) تعطينا صورة للعالم الورع المتمسك بأحكام الديــن، والمنتفع بالدعاء،والمعتقــد بما يؤمله في هــذا الالتزام، فقد صنّــف (الجمل) بمكة، وكان إذا فرغ من باب طاف به أسبوعا، ودعا الله أن يغفر له، وأن ينفع به قارئه[١١] .

●مكانته العلمية وآثاره

تــرك أبو القاســم للمكتبــة العربيــة ثروة ضخمة شملت معظم نواحي الفكر الإنساني من لغة ونحــو وصرف ونقد وأدب وعروض وروايات وأجناس وأخبار وسير وألوان كثيرة من ثقافة الرابع الهجري.

وقــد كانــت له قدم راســخة في الدراســات اللغويــة في القرن الرابع الهجري، وليس هذا بكثير عليه، فهو تلميــد ابن دريد، وأبي بكر بن الخيــاط، والزَّجاج، وأبي بكــر الأنباري، وأبي مــوسى الحامــض، وغيرهم مــن أكابر علماء اللغة في ذلك القرن[١٢] .

امتــاز الزّجاجي بروح علمية ذات قدرة على التمييز بين نواح متعددة في مجالات النشــاط الفكري للانســان، ولعل مــرد ذلك الى تباين الشيوخ الذين أخذ عنهم، واختلاف أمزجتهم، والمامهــم بالصناعة النحويــة واللغوية، فهم بين نحوي ولغــوي، وفقيه، ومحدث، وتعود صلتــه بأســاتذته إلى نشــأته الأولى بنهاوند والصيمــرة، ثم في بغداد، وبعدها في الشــام، ولهذا نجد في قائمة شيوخه عددا من العلماء تجاوز العشرين أســتاذا، ذكر هو بعضهم في الإيضاح[١٣]، وأشــار إلى الكوفيين والبصريين منهم، وإلى من خلطوا المذهبين .

وفي ذلــك دليل على أنّــه كان ذا حظ كبير في الأخــذ من أعلام المدرســتين في عصره، وربّما كان ذلــك في بغــداد، غير أنّه لــم يذكر جميع شــيوخه هنــا، فبالرغم من شــهرة ابن دريد واعتمــاده عليه في بعــض مصنفاته لم نجده يذكره مع مــن ذكرهم في (الإيضــاح)، وهذا يعنــي انــه كان يصنــف ويتتلمــذ في الفترة نفســها، وهــذا دليــل عــلى تواضعــه وعدم اعتداده بنفسه [١٤].

وقد ترك هــؤلاء العلماء، وبخاصة من خفت لديهــم حدة التعصب المذهبي كأبي الحســن بن كيســان، وأبي بكر بن الخياط، ونفطويه وغيرهــم، ممن خلطــوا نحو المدرســتين،أثرا



محمودا في نفس الزّجاجّي[١٥] .

وبذلك نجد في بغداد خلال القرن الرابع،ثلاث طوائف من النحاة: طائفة هي امتداد لمدرسة البصرة، وطائفة هي امتداد لمدرسة الكوفة، وطائفة بصرية كوفية أو لا بصرية ولا كوفية[١٦].

قال أبو علي الفارسي متحدثا عن أبي القاسم (لو رآنا الزجاجي لاستحيا منا)[١٧]. و يرى المؤرخون أن الغيرة هي التي حملت الفارسي على هذا القول الذي ردده المؤرخون من بعده و الذي يقتضي تنقيص نحوي مبدع، فإذا كان الفارسي متمكناً علميا، وواسع الاطلاع، فإن مؤلفات الزّجاجي التي تتسم بالاختصار و التركيز، ذات قيمة كبيرة في تاريخ النحو لأنها تنم عن مميزات جديدة في تناول المسائل النحوية، فهي ثمرة تفكير أكثر مما تكون جمعا للمعارف، و لقد أعطى جهده الفكري أول عمل تربوي في النحو و هو (كتاب الجمل)، وأول عمل منهجي في أصول اللغة و هو كتاب (الإيضاح في العلل)، وأول بحث مستقل في ضبط وظائف الأدوات النحوية له و هو كتاب (معاني الحروف)[١٨].

وحتّى نتبين منجزات الرجل العلمية آثرتُ أن نتناول أبرز كتبه الهامة ؛ والتي احدثت طفرة في تاريخ النحو العربي وهي:

●أولا: الجُمل

و(الجمل) من الكتب التي كُتب لها الذيوع والانتشار وتناولتها أيدي الطلاب والدارسين والشرّاح، إذ انصرف عدد غير قليل من العلماء بوضع الشروح والتعليقات عليه، وهو من المصنفات النحوية التي حظيت بالعناية والاهتمام، قال القفطي (ت ٦٤٦هـ): «وهو كتاب المصريين وأهل المغرب وأهل الحجاز واليمن والشام، إلى أن اشتغل الناس باللمع لابن جنّي والإيضاح لأبي علي الفارسي»[١٩] .

وقال ابن خلّكان (ت٦٨١هـ): «وهو كتاب نافع مفيد لولا طوله بكثرة الأمثلة وهو من الكتب المباركة»[٢٠] .

قيل إنّه جاور مدّة بمكة المكرمة صنَّفَ فيها كتابه الجمل، وكانَ إذا فرغ من الباب طاف إسبوعاً، ودعا الله بالمغفرة، وأن ينتفع بكتابه[٢١].

ويقول الدكتور عبد الحسين المبارك: «وكتاب الجمل يعدُ الكتاب الوحيد الذي اشتهر به الزّجاجي شهرة فاقت كلّ كتاب آخر له ... ولم يهمل ذكره أيُّ واحد ممن ترجموا للزّجاجي بل لقبوا الزّجاجي بـ (صاحب الجمل)... وقد وضعه بأسلوب واضح بعيد عن آثار المنطق ويسهل على المبتدئين معرفته»[٢٢].

ويقول الدكتور شوقي ضيف: «وقد تناول الزّجّاجي في كتابه ألوان العلوم العربية من نحو وصرف ولغة وخط، وهو ليس بالكتاب الضخم ككتاب سيبويه ولا ككتاب المقتضب للمبرد وإنّما هو كتاب صغير بالنسبة لهذين الكتابين، ولعلّ هذه السمات التي اتسم بها كتاب الجُمل كانت سرّ انتشاره وتناوله



بين القرّاء ... وقد استوعب الزّجاجي علوم المدرستين البصرة والكوفة وكان هدفه من كتابه أن يقدم خدمة نافعة للناس، فجاء على لغة فصيحة سهلة فاقبل عليه الناس»(٢٣).

ضمّ الكتاب خمسة وأربعين ومائة باب تناولت النحو والصرف والأصوات والضرورات الشعرية، والتأريخ وهو باب يتحدث فيه عن تغليب المؤنث على المذكر على خلاف الأصل في توقيت الحوادث بالأزمنة، وتناول أقسام الكلام وباب الإعراب وباب الأفعال وباب التثنية والجمع وباب الفاعل والمفعول، ثم تناول التوابع، ثم الأفعال وغير المتعدية ثم باب الابتداء .. ويستمر في عرض الأبواب النحوية حتّى ينتقل بعد ذلك إلى الأبواب الصرفية فيعقد بابا لكل من التصغير والنسب وجمع التكسير وأبنية المصادر، وينهي كتابه بشواذ الإدغام .

صنّف الزّجاجي كتابه (الجمل) بمكة وكان إذا فرغ من باب طاف به أسبوعا، ودعا الله أن يغفر له، وأن ينفع به قارئه(٢٤) .

ومما يقال عنه أنّه لم يضع مسألة في الجمل إلّا وهو على طهارة وقد وصف بأنّه كان حسن البشارة ملح البزة .

● **ثانيا: اشتقاق أسماء اللّه**

بدأ أبو القاسم كتابه بخطبة قصيرة محمدا ومصليا، ثم أوضح منهجه بقوله: «هذا كتاب أفردته لشرح اشتقاق أسماء الله تعالى عزّ وجلّ وصفاته المذكورة في الأثر، إنّ من أحصاها دخل الجنة حسب ماروواها أهل العلم، واستنبطوها بعد الرواية بشواهد من كتاب الله عزّ وجل، فاستخرجوها منه لئلا يعارض فيها شك،ولا يختلج في الصدور زيغ في التصديق على مذاهب أهل العربية،العلماء اللغة، العارفين بأساليب كلام العرب واشتقاقه وتصاريفه، غير عادل عن مذاهب العرب في ذلك خاصة»(٢٥) .

وقد وفى بما عاهد به بل زاد عليه بابا (في اشتقاق أسماء النبي ومذاهب العلماء في ذلك)، وهو مما لم يرد ذكره في المقدمة، ولعلّه أراد أن يزيد في قدسية طريقته في عرض أسماء الله كما هي موضحة في المقدمة حسب ورودها في السور مبتدئا من سورة الفاتحة التي تضم اسمه تعالى (الله) ومنتهيا بسورة (قل هو الله أحد) التي كانت آخر ما ضمت من أسمائه (الصمد)(٢٦).

وقد استوفى معظم ما قيل في تصاريف تلك الأسماء والصفات واشتقاقها مما له صلة بالبحث مدعمة بالحجج وآراء السلف دون إغفال إلاّ في النادر، مستشهدا بالايات الكريمة، والحديث الشريف، والشعر الجاهلي والإسلامي، وأقوال العرب .

وحينما نبحث عن مصادر الزّجاجي في كتابه (الاشتقاق) فإنّ البحث يضع بين أيدينا شخصية علمية متمكنة، لها إطلاع واسع في كامل اللغة الرحب، وعلمي النحو والصرف(٢٧).

وقد ذكر أبو القاسم بعض الذين نقل

عنهم، وهم: سيبويه والأخفش والأصمعي والخليل والمازني وأبو عمر الشيباني، وابن السكيت، وأبو بكر بن الأنباري، والزّجاج والمبرد والفراء وثعلب وأبو عمر الجرمي، وابن الأعرابي .. وغيرهم[٢٨].

وفي بعض الأحيان لا يشير إلى من ينقل عنهم بل يكتفي بعبارات عامّة كالجمهور، أو بعض أصحابنا، أو بعض النحويين، أو بعضهم أو قوم من أهل اللغة، أو آخرين، والكوفيين والبصريين .. وغير ذلك من الإشارات، ولا يقلل هذا التعميم من أمانته العلمية في النقل .

●ثالثا: الإيضاح في علل النحو

حققه مازن المبارك عام ١٩٥٩، ويبدو أنه من أوائل مصنفات أبي القاسم، فقد أشار إليه في كتابه (الجمل)، ومنه نقول كثيرة في الأشباه والنظائر، وهو كما يفهم من عنوانه دراسة للعلل النحوية التي قسمها إلى ثلاثة أضرب هي:

العلل التعليمية، والعلل القياسية، والعلل الجدلية، وقد أوضح المقصود بكل منها في (باب القول في علل النحو) .

وكتاب الإيضاح يشكل حلقة من حلقات النحو وصلته بالفقه والكلام والمنطق، ويوضح لنا كثيرا من المسائل الجدلية التي أثارها كتاب سيبويه بين النحاة، ويقفنا على جانب من جوانب الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين[٢٩] .

والإيضاح من أوائل الكتب التي تعرضت للمسائل الخلافية بين النحاة، والزّجاجي سابق لأبي البركات الأنباري، وأبي البقاء العكبري في رسائلهم في الخلاف، فهو كما ذكرنا جاء في أعقاب الفترة التي احتدمت فيها الخصومات المذهبية في النحو وعاش طرفا منها يتمثل في مشايخه وأساتذتهم كالزجاج وابن دريد والخياط وابن شقير ونفطويه ودرس آثار ثعلب والمبرد والكسائي والفرّاء والمازني وسيبويه، فاتضحت مسائل الخلاف له وكانت مادة مهمة لكتاب (الإيضاح)[٣٠].

والزّجاجي في سرده التاريخي للعلل النحوية كان حريصا في أن يعطي للقارئ فكرة سليمة ودقيقة عن التطور الزمني لأية مسألة حاول من خلالها شرح العلة النحوية مبتدئا بسيبويه ومنتهيا بمشايخه، ولا يثنيه عن قول الحق مذهبه النحوي، فهو ـ كما سنشير إليه في حينه ـ يأخذ بالرأي السديد وإن كان كوفيا ويفضله على غيره وان كان بصريا .

قال الدكتور عبد الحسين المبارك: «ويتبين لنا ونحن نقرأ هذا الكتاب انّ الزّجاجي مع عرضه السليم لتاريخ العلة النحوية لم يسلم من المآخذ، فهو ـ كما نرى ـ كان يسلك في عرض الأفكار طريقا مختصرا فقد يؤدي في بعض الأحيان إلى الإيجاز المخل بالفكرة فلا تكتمل الصورة التي يقدمها للقارئ عنها بعد أن بدأ حديثه فيها عن بعض مشايخه وأشار إلى الآخرين دون تخصيص، كما أنا نراه قد



أشــار إلى القارئ بمتابعة بعض المسـائل في كتبه الأخرى على حين نجد في بعض مصنفاته مسائل مكررة لم يشر إليها»[٣١] .

●رابعا: اللامات

حققــه الدكتــور مازن المبــارك ونشره عام ١٩٦٩م، وقــد وضــح الزّجاجــي منهجــه كعادته في سائر تصانيفه ـ في مقدمة الكتاب حين قال:

«هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عزّ وجلّ، ومعانيها وتصرفها والاحتجاج لكل موقع من مواقعها، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف، وبالله التوفيق»[٣٢] .

ثــم أتــى عــلى اللامــات وذكر منهــا إحدى وثلاثين لاما في ستة وثلاثين بابا جعل ثلاثين منها لعــرض طريقته في أنــواع تلك اللامات وما يتعلق بها من مسائل الاعراب والخلاف، أمّــا الأبــواب الأربعــة الأخرى فقــد اختصت بمعالجة بعض المسائل ذات الصلة باللامات، وخص الباب الخامس والثلاثين باحكام اللام في الادغــام، وجعــل الباب الأخــير كعادته في مصنفاته الأخرى خاصا بمسائل متفرقة لها علاقة باللامات[٣٣] .

و(اللامــات) وإن كان فيــه جهــد محمــود للزّجاجــي في جمعه للمــادة المتعلقة بحرف الــلام من كتب الأقدمين من النحاة واللغويين وفــرت للباحــث والطالــب عنــاء البحــث والاســتقصاء في تتابــع الآراء، وشــخصية الزّجاجــي قد كادت أن تضيع في زحمة الآراء المختلفــة والتفريعات التي جمعت من الأمثلة ما لا حاجة لذكره[٣٤] .

أمّــا منهجــه في هــذا الكتــاب مــن حيــث الاستشــهاد بالقــرآن والشــعر والأمثــال فلا يختلف عما سلكه في كتبه الأخرى .

●خامسا: مجالس العلماء

حققــه ونــشره عبــد الســلام هــارون عام ١٩٦٢م، وهو يقع في ١٥٦مجلسا والمجالس كما هو واضح من عنوانه عبارة عن مجموعة أخبار نحوية وصرفية ولغوية وأدبية جمعها الزّجاجــي ممــا وصل إلى علمه من أســاتذته ومحدثيه،وقــد اعتنــى فيهــا عنايــة خاصة بايراد مســائل الخلاف بين النحاة واللغويين مــن جهة الــصرف واللغــة والاشــتقاق، كما اعتنى بالغريب واللحن واللغات .

وهــذه الآثــار أو المجالس قــد تأتي في أغلب الأحيان مجــرد اختبارات تدل على تذوق أبي القاســم اللغــوي أو الأدبي، وقــد لا نجد أية رابطة بين مجلس وآخر، فمثلا نجد مجلســا يبحث في مسألة (الخزم) في الشعر ثم يعقب ذلــك مجلس عن الغريب، ونجد مجلســا عن الخفــض والجر، ثــم ينتقــل إلى مجلس عن (المصروف وغير المصروف)، كما تجد مسائل كثيرة مــن العربيــة عــن الهمــزة، والابدال، والادغام، والاستثناء، والاشتغال، وعن التثنية، والتأنيــث، والترخيــم، والتعجــب، والتغلب، وغيرها من أوجه النشاط اللغوي[٣٥].



ومنهج الزّجاجي في كتبه الاخبارية دعاه إلى الاستطراد والتكرار وبخاصة في (المجالس) و (الأمالي) و(الأخبار) فقد كرّر مثلا بعض المجالس في (الأمالي) كما ورد بعض تلك المجالس في (اشتقاق أسماء الله)، وذلك لانّ مصنفاته الثلاثة ـ المجالس والأمالي والأخبار ـ لم تختص بموضوع نحوي أو لغوي أو أدبي يلزم أبا القاسم منهجا متماسكا، ولعل طبيعة هذه الكتب وطريقة تصنيفها لم تتح الفرصة الكافية للمصنف في توحيد جهوده في الدرس اللغوي أو النحوي إذ كانت صفة الاملاء تغلب عليها .

● مصطلحُهُ النحوي:

استعمل الزّجّاجي المصطلح البصري بصورة خاصة في كتبه النحوية كالإيضاح والجمل واللامات،كما اتبع الترتيب المنهجي لعرض مواد النحو حسبما هو متبع عند البصريين كما يظهر بصورة جليّة في (الجمل) الذي نهج فيه نهج سيبويه في الكتاب، غير أنّه استعان في بعض الأحيان بالمصطلح الكوفي أو كان يقرن بعض الاصطلاحات التي يذكرها بما هي عند الكوفيين، وهذا أيضا دليل على بصريته فمثلا يذكر، (هذا باب الفصل ويسميه الكوفيون العماد)[٣٦] .

وقد تابع الكوفيين في تسمية (نائب الفاعل) باسم (مالم يسم فاعله) أما الصفة والنعت فقد استعملهما في كتبه وبخاصة (الجمل) و(الاشتقاق) كما دلل على تسمية الكوفيين والبصريين للنعت والشركة والترجمة وعطف النسق واستعمل (الخفض) وهو إصطلاح كوفي، و(الجر) وهو إصطلاح بصري، وقد تابع سيبويه في استعمال (الهاء) ويريد بها تاء التأنيث، ومن الاصطلاحات التي استعملها في باب الحدود وتقسيمه للافعال، الماضي والمضارع .

وقد استعمل لفظة (فعل الحال) و(المستقبل) بدلا من (المضارع) ونفى ما يسميه الكوفيون بـ (فعل دائم)[٣٧] .

ويمكننا القول إنّ مصطلحات الزّجاجي هي مصطلحات شيوخه نفسها، فقد تابعهم، وبخاصة الذين خلطوا بين نحو البصرة والكوفة .

ومما يعزز مكانته استشهاداته الكثيرة بما حفظه من الشعر واللغة وبخاصة في (الأمالي) و(الأخبار) و(اشتقاق أسماء الله)، أما احاطته بكلام العرب وأخبارهم، ومناظرات العلماء ومجالسهم فنظرة سريعة الى الأمالي أو المجالس توضح مدى ذلك .

وآثاره اللغوية تشهد بمكانته اللغوية بين علماء عصره وإن لم يخل من حساد له لم يسلم من مآخذهم .

وأبو القاسم مكثر في الرواية من شيوخه وأساتذتهم فهو ينقل مباشرة عن الزّجاج وابن السّراج وابن الخياط وابن الأنباري،كما ينقل عن سيبويه والخليل وأبي عبيدة والأصمعي والفرّاء كثيرا .

وقد ساعدت الزّجاجي على اكتمال ثقافته



المتعددة الجوانب حـدة ذكائه، وصفاء ذهنه وسرعة اسـتجابته للأخذ من خبرة الأسـاتذة حتى اكتملت شـخصيته اللغويـة والنحوية والأدبية.

●وابرز ما يميز منهج الزَّجّاجي النحوي هو:

أوّلا: استشـهاده بشـعر معاصريـه، وكان يرد الشـاهد لصاحبـه في أغلب الأحيان، وإذا تعددت الروايات في نسـبة البيت يذكر أسماء الشعراء الذين ينسب إليهم .

ثانيا: دقة الإسناد ـ فهو يذكر طريق الرواية في أكثر الأحيان .

ثالثا: استشـهد بالحديث النبوي الشريف في عِدة مواضع .

رابعا: كانـت لأمثال العـرب وأقوالهم أهمية كبيرة في استشهاداته النثرية .

خامسـا: عنايته بالصيغ ـ ففي الكتاب مادة ثرة في الصيغ وهي تعرض لكثير من جوانب اللغة كالمشتقات، والافراد، والتثنية،والجمع، والتذكـير والتأنيـث، والمصـادر، والمقصور، والمنقـوص، والممـدود، والمشـترك اللفظـي ومسائل المعاني بصورة خاصة .



سادسـا: الإكثار من الأمثلة التـي يوردها في كتبه.

سـابعا: أمـا طريقة عرض المـادة فتتمثل في الاستطراد في بعض الموضوعات، والاختصار والايجاز في بعضهـا الآخر،وتلخيصه للمادة المدروسة في الغالب .

●خاتمة البحث

يمكـن أن نجمل ما توصلنـا إليه من نتائج بالآتي:

ـ اعجمية نسب الزَّجّاجي دعت المؤرخين إلى ترك الحديث عن نسبه وعائلته ونشأته الأولى .

ـ يعد الزّجّاجي نحويا ولغويا يقف في صف المصنفـين الذيـن اتصفـت مؤلفاتـه بالدقة والشمول ووضوح القصد .

ـ موقفه من الاستشـهاد بالقـراءات القرآنية استمرار لموقف السـابقين من نحاة البصرة، فهـو لـم يسـلم بها جميعـا بـل رد بعضها وضعف قسما آخر واتهمه بالشذوذ .

ـ استشـهد بالحديـث النبـوي الشريـف عـلى خـلاف المـدارس النحويـة، وإن كانت استشهاداته قليلة.

ـ لم يكـن الزّجاجي بغداديا كما يرى بعض الدارسـين بـل كان بصريا، ولكنـه يميل إلى ترك التعصب المذهبي، والخروج على المذهب البـصري في بعض الأحيان وربمـا يتفق مع الكوفيين .

ـ اتسـمت دراسـاته النحويـة بالايجـاز والتبسـيط وعـدم الاسـتغراق في العـرض والتحليل وبخاصة في كتاب (الجمل) .

ـ يعـد كتابـه (الإيضاح في علـل النحو) أوّل بحث للعلل يصل إلينا .

ـ كان يخلـط بـين المصطلحـين البـصري والكوفي في دراسـاته النحوية واللغوية وينبه على ذلك .

ـ التزامه بمنهج خاص في دراساته النحوية واللغوية وهو أنّه كان يحدد في خطبة كل كتاب ما سيبحثه في عرضه ثم يضيف فصلا أو بابا ملحقا له علاقة بموضوع البحث .

● الهامش

(١) ينظر: الفهرست ص ٧٨ .

(٢) ينظر: طبقات النَّحويين واللُغويين ص١٢٩ ونزهة الألباء ص٢١١ .

(٣) ينظر: المدارس النحوية، الدكتورة خديجة الحديثي ص ٢١٩ .

(٤) تنظر ترجمته في: أنباه الرواة ج ٢/ص١٦٠، ووفيات الأعيان٣/١٣٦، ومرآة الجنان ج٢/ ص٣٣٢، والبداية والنهاية ج١١/ ص٢٢٥، والنجوم الزاهرة ج٣/ ص٣٠٧، وبغية الوعاة ج ٢/ ص٧٧، وشذرات الذهب ج٢/ ص٣٥٤ .

(٥) الزَّجاجي ــ حياته وآثاره ــ الدكتور مازن المبارك ص١ .

(٦) ينظر: الزّجّاجي ومذهبه في النحو واللغة، الدكتور عبد الحسين المبارك ص ١٣ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه ص ١٣ .

(٨) النجوم الزاهرة ج ٣/ ص ٣٠٢ .

(٩) العبر ج٢/ ص٢٥٤ .

(١٠) ينظر: مرآة الجنان ج٢/ ص٣٣٢، والبداية والنهاية ج ١١/ ص٢٢٥، وكشف الظنون:ج ٢/ ص٦٠٣-٦٠٥، والزّجّاجيّ حياته وآثاره ص٢١-٢٣، الزّجّاجيّ ومذهبه في النحو واللغة ص ٥٣-٦٥.

(١١) ينظر: شذرات الذهب ج ٢/ص ٣٥٧ وعيون التواريخ ج ٧/ ص٣١٧ ووفيات الأعيان ج٢/ ص٣١٨ .

(١٢) ينظر: الزّجّاجي ومذهبه في النحو واللغة ص ١٣٧ .

(١٣) ينظر: الإيضاح في علل النحو ص ٧٨ ــ ٧٩ .

(١٤) ينظر: الزّجّاجيّ حياته وآثاره ص٢١-٢٣.

(١٥) الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة ص ٣٥ .

(١٦) ينظر: الرُّماني النحوي ص٣٤ .

(١٧) نزهة الألباء ص٢٢٧، وأنباه الرواة ج ٢ /ص ١٦٠.

(١٨) ينظر: الزّجّاجيّ حياته وآثاره ص ٥٥.

(١٩) أنباه الرواة ج ٢/ ص١٦١.

(٢٠) وفيات الأعيان ج ٣/ ص ١٣٦ .

(٢١) ينظر: أنباه الرواة ج٢/ص١٦١، ومرآة الجنان ج ٢/ص٣٣٢، وبغية الوعاة ج٢/ ص٧٧، وشذرات الذهب ج ٢/ ص٣٥٤، والزّجّاجيّ ومذهبه في النحو واللغة ص ٥٠-٥٣.

(٢٢) الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة ص ٥٠ .

(٢٣) المدارس النحوية ص٢٥٢ .

(٢٤) ينظر: الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة ص ٥٣ .

(٢٥) تنظر: مقدمة الكتاب .

(٢٦) الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة ص ١٧٤ .

(٢٧) ينظر: الزّجّاجيّ حياته وآثاره ص ٥٥.

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه ص٥٤ .

(٢٩) ينظر: الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة ص ١٧١.

(٣٠) ينظر: كتاب الإيضاح ــ المقدمة ــ ص١٧ .



(٣١) الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة ص ٤٩ .
(٣٢) اللامات ص ٣ .
(٣٣) ينظر: الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة ص ٧٧ .
(٣٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٣٤.
(٣٥) ينظر: الزجّاجيّ حياته وآثاره ص ٥٩.
(٣٦) ينظر: كتاب الجمل ص ١٥٣ .
(٣٧) ينظر: كتاب الإيضاح في علل النحو ص ٥٣ .

●المصادر

• اشـتقاق أسـماء اللـه، القاسـم عبـد الرحمن بن إسـحاق الزّجّاجـي، تحقيق الدكتور عبد الحسـين المبـارك، مطبعـة النعمـان ـــ النجـف الأشرف، ١٣٩٤ـــ ١٩٧٤م.
• الإيضـاح في علل النحـو، للزّجاجي، تحقيق مازن المبارك ـ القاهرة ١٣٧٨هـ ـــ ١٩٥٩م .
• أنبـاه الـرواة على أنبـاء النحاة، جمـال الدين علي بـن يوسـف القفطيّ،(ت٦٤٦هـ)،تحقيـق محمد أبـو الفضل إبراهيـم، مطبعة دار الكتـب المصرية، القاهرة، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.
• البدايـة والنهايـة، إسـماعيل بـن عمر بـن كثير، (ت٧٧٤ه)، مكتبة المعـارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م.
• بغيـة الوعـاة في طبقـات اللغويـين والنحـاة: السـيوطيّ، عبـد الرحمن جلال الديـن، ت٩١١هـ، تحـ. محمد أبـو الفضل إبراهيم، مط. عيسى البأبي الحلبي، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
• الزجّاجـيّ، حياتـه وآثـاره ومذهبـه النحوي من خلال كتابه الإيضاح: مازن المبارك، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.
• الزّجاجـي ومذهبه في النحـو واللغة، الدكتور عبد الحسين المبارك، ساعدت جامعة البصرة على نشره، ١٩٨٢م.
• شـذرات الذهـب في أخبار من ذهـب: ابن مجاهد الحنبـلي، أبو الفـلاح عبد الحـي، ت١٠٨٩هـ، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
• شروح جمل الزجاجي (دراسـة تحليلية موازنة)، أطروحة تقدم بها نصيف جاسـم محمد الراوي الى مجلـس كلية الاداب في جامعـة بغداد وهي جزء من متطلبات درجـة الدكتـوراه في اداب اللغة العربية، باشراف الاسـتاذ الدكتور طه محسن،١٤٢٤ ه ـــ ٢٠٠٣م .
• طبقـات النحويـين واللغويين، أبو بكـر الزبيدي (ت٣٧٩ هـــ) تحقيـق محمد أبو الفضـل إبراهيم، مصر ١٩٥٤ م .
• العــبر في أخبار من غبر،محمد بن أحمد بن عثمان الذهبـي(ت ٧٤٨ه)، تحقيـق فـؤاد سـيد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦١ .

• عيـون التواريـخ، محمـد بـن شـاكر بـن أحمـد الكتبـي(ت٧٦٤ه)، حققـه الدكتـور عفيـف نايف حاطوم، دار الثقافة، بيروت ــ لبنان .
• الفهرسـت، محمـد بن إسـحاق ابـن النديم، (ت ٣٨٠هـ)، مكتبة الخيّاط، بيروت، (د.ت).
• كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، مصطفـى بن عبد اللـه، ت١٠٦٧هـ، تحـ. محمـد شر ٣٤٠ه)، تحقيـق عبـد السـلام محمـد هارون، الكويت ١٩٦٢ .
• المـدارس النحويـة، الدكتـورة خديجـة الحديثي، الطبعـة الثالثـة، دار الأمـل، الأردن ١٤٢٢ه ــ ٢٠٠١م .
• المـدارس النحويـة، الدكتـور شـوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٦٨م.
• مـرآة الجنان وعبرة اليقظان، أبـو محمد عبد الله بن أسـعد اليافعيّ،(ت٧٦٨هـ)، مؤسسـة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
• النجـوم الزاهـرة في ملوك مـصر والقاهرة: جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري، (ت٨٧٤هـ)، مصورة عن طبعة دار الكتب، مصر، (د.ت).
• نزهـة الألبـاء في طبقـات الأدبـاء، أبـو الـبركات الأنباري، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٥٩م .
• وفيـات الأعيان، أبـو العباس شـمس الدين أحمد إبن خلكان، (ت٦٨١هـ)، تحقيق، دكتور إحسـان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.



Abu Al-Qasim Al-Zajjaji and his influence on the development of the Iraqi grammatical curriculum

By: Dr .Huda Naji Obaid Al-Badiri
(Center of revival of Arabic science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

This subject is about a great Senior grammatical linguistic scholar, the visual tendency to learn and receive, and the opinions and direction, lived in the fourth century AH, translated by Ibn Al-Nadim who confused the two doctrines, and Al-Zubaidi made him visual grammarians of the owners of glass, promised one of the most famous for them direction Al-Basri was promised by the Basrians and they did .not mix

..His name, lineage and surname

He is Abu Al-Qasim Abdul Rahman Bin Ishaq Al-Zajjaji Al-Baghdadi, Al-Tahnawi, Al-Sumari, Al-Nahwi, A scientist in Arabic language, He was taken from the glass, Ibn Duraid, and Ali Ibn Sulaiman al›akhfash, All the books of the classes agreed on his name, his lineage and surname, and all of them stood at the edge of his father. We hardly find any sign to the name of his grandfather or his family, and perhaps the foreign lineage stood without achieving it, ((if he was an Arabic for what has lost its proportions because of the knowledge of the Arabs to care for the genealogy)) ,And his sense of it, and his humility on the other hand, led to the neglect of that fact, which has long been plagued by many scientists and writers, but Abu Qasim was only associated with Sheikh Abu Ishaq Ibrahim Ibn Al-Sari Al-Zajjaji.



محمد باقر الصدر
والمنهج العلمي في الحوزة العلمية

د. غانم عودة شرهان*

● المقدمة:

تميزت الدراسات الاصولية ولاسيما دراسات المحدثين من اعلام مدرسة النجف الاشرف ومنهم السيد الشهيد (محمد باقر الصدر) (قدس سره) بالعمق والشمول، والدقة، وقد حظيت العديد من المسائل اللغوية بعناية الاصوليين فكانت محل بحثهم وتحقيقهم، ومن جملة هذه المسائل والأبحاث مسألة (الوضع) ومنشأ العلاقة بين (اللفظ والمعنى) وكيفية الترابط بينهما وتكوين الدلالة، وتشخيص الواضع، واقسام الوضع- ثم اتجهوا نحو (اللفظ والمعنى) فأشبعوهما بحثًا وتفصيلًا، فقسموا (اللفظ) من جهة (الدلالة) إلى(العام والخاص، والمشترك، والمترادف، والمتباين) واما المعنى فقد اخذ مساحة كبيرة في البحث الاصولي، وظهرت نظريات دلالية كثيرة تناولت المعنى وحاولت تحديد ماهيته. ومما لا شك فيه أن لنا خزينًا معرفيًا هائلًا في حقل الدراسات اللغوية، وان بنا حاجة الى المزيد من الوعي بهذا التراث الذي يشكل كثيرًا من ركائز وجودنا.

* جامعة بغداد/مركز إحياء التراث العلمي العربي

● **الوضع عند الاصوليين:**
لما كان (اللفظ والمعنى) في أوليات دراستنا وبما أن (الوضع) يمثل اللبنة الاساسية للعلاقة بين اللفظ والمعنى، ودور الاصوليين المحدثين الكبير والواضح في أهمية إبرازه.
(فالوضع) إذن هو العنصر الاساس الذي نستطيع من خلاله أن نفسر العلاقة بين اللفظ والمعنى، وقد أبحر السيد محمد باقر الصدر في هذا الموضوع وتعد من اهم النظريات التي أجازها وهي (نظرية القرن الاكيد).
● **ما حد الوضع:**
الوضع لغة: جاء في لسان العرب:(الوضع ضد الرفع ووضعه يضعه وضعًا وموضوعًا... ووضع الشيء وضعًا اختلقه وتواضع القوم على شيء اتفقوا عليه وواضعته في الامر، إذا وافقته فيه على شيء... والمواضعة مشاركة البيع، والمواضعة المناظرة في الأمر، والمواضعة أن تواضع صاحبك أمرًا تناظره فيه، والمواضعة المراهنة)[1].
ويتضح من كلام ابن منظور أن الوضع عموما أنما هو أمر يقوم به شخص ما فيتفاعل به مع الاخر فردا كان ام جماعة، وهو بهذا عملية مشاركة بين أكثر من طرف ولا تتم من طرف واحد. وهذا المعنى العام للوضع – لغة – يكاد يقترب من المعنى الاصطلاحي للوضع الذي يعرف بأنه «تخصيص شيء بشيء متى اطلق أو أحسن الشيء الأول فهم منه الشيء الثاني»[2]
ليس هناك اختلاف من حيث الوضع في اصطلاح الاصوليين عنه عند غيرهم، فقد عرفه البيضاوي نقلا عن التاج السبكي (علي بن عبد الكافي)، بأنه «عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء بحيث اذا اطلق الاول فهم منه الثاني[3].
● **نظريات الوضع عند القدماء:**
لقد شغلت اللغة جانبا كبيراً من تفكير الانسان، منذ فجر التاريخ، واقترنت نشأة الخلق والكون بالكلمة، وبيّن الدين قداستها، وعرفت الحضارات قوتها واجمع البشر على النطق الذي هو ميزة الانسان، الذي علمه البارئ البيان، وعلم آدم الإسماء، وابتكار اللغات واصولها كان موضع اهتمام بالغ من طرف الفلاسفة، والمؤرخين، وعلماء الطبيعة. وتساءلوا هل هي توقيف من الله من قبل ما يقول ابن فارس، معتمدا على ما يروى عن إبن عباس؟ أم هي اصطلاح تواضع عليه الناس فتكلموا بلسان واحد قبل ما أصابهم في برج بابل؟
لما كان الوضع يبحث في أصل العلاقة ومنشأ الدلالة بين اللفظ والمعنى كان من البديهي أن يتطرق الاصوليون الى البحث في نشأة اللغة ويدلوا بدلوهم ويعطوا رأيهم في هذا الامر الذي شغل بال اللغويين لذا برزت في أبحاثهم ثلاثة آراء مثلت خلاصة جهودهم في بحث النشأة ودارت حولها المحاولات والنقاشات بين مؤيد ومدافع وبين منكر ومعارض ولكل حججه وادلته، «ولم تختلف هذه الآراء كثيرا عن آراء أهل اللغة أو لنقل عن آراء الأقدمين من دارسي النشأة. الا في الرأي الثالث الذي يجمع بين الرأيين- كما سنرى:
١.القول بالتوقيف: أي الرأي القديم الذي يرى أن اللغة إلهام وتوقيف من عند الله. أما القائلون به من أهل الاصول فهو أبو الحسن الأشعري- (٣٢٤) ومحمد بن الحسن بن فورك(٤٠٦).
وقد اصبح أصحاب هذا الرأي بالمنقول من الآيات القرآنية لقوله تعالى «وعلم ادم الاسماء كلها»[4] وبالادلة العقلية أيضا.
٢. أما الرأي الثاني فهو القول بالاصطلاح: والمعارض للتوقيف والملازم له طوال مراحله ولم يتبين أحد من أهل الاصول هذا الرأي سوى أنهم نسبوه الى أحد كبار المعتزلة وهو أبو هاشم الجبائي (٣٢١هـ) وأيده أتباعه من المعتزلة



– كمـا يذكـر ذلـك الـرازي الـذي أورد أدلتهم النقلية والفعلية التي تثبت دعواهم وتنكر فكرة التوقيف[٥].

٣.امـا القـول الثالث فهـو الجمع بـين الرأيين: أي بين(التوقيف والاصطـلاح) وهو رأي جديد نجده عند الاصوليين يرى أن اللغة نشـأ بعضها بشـكل توقيفـي والاخر بشـكل اصطلاحي إلا ان احدهما كان السـبب الوحيد في نشأتها، وقد أختلف اصحاب هذا الرأي في مسـألة الأسبقية، أي في أيهما أسبق التوقيف أم الاصطلاح؟

فإبن حزم الاندلسي(٤٥٦هـ) يرى أن اللغة بدأت أولا توقيفيـة ثـم تدرجت وتنوعـت بالاصطلاح فيقـول: (والصحيح مـن ذلك أن اصـل الكلام توقيـف من الله عز وجل بحجة سـمع وبرهان ضروري...الا أننا لا ننكـر اصطلاح الناس على إحداث لغات شـتى بعـد أن كانت لغـة واحدة وقفوا عليها)[٦].

وقبـل إبـن حـزم نجـد ابـا اسـحاق الاسفرابيني(٤١٨هـ) يذهب لهذا الرأي ودليله أن اللغة لو بدأت بالاصطلاح لاحتاجت الى اصطلاح قبلها، وهكذا حتى تقع بالدور والتسلسل فكان لابد من التوقيف أولا[٧].

وفي مقابـل هـذا يذكر الـرازي (٦٠٦هـ) رأياً لم ينسـب لاحـد يـرى أن اللغة بـدأت اصطلاحية والباقي حصل بالتوقيف[٨].

وكما فعل ابن جني اللغـوي في قبوله وتجويزه كل مـا ورد مـن آراء عنـد اللغويـين نجـد الغـزالي(٥٠٥هـ) يفعل الامر نفسـه في تجويزه هـذه الآراء الثلاثـة دون الأخـذ بـأي رأي منها بشكل قاطع[٩].

وقد نقل الرازي (٦٠٦هـ) أن جمهور الاصوليين عـلى جـواز تلـك الآراء الثلاثة[١٠] وهـو ما أكده الامـدي (٦٠٣هـ) بقوله:«القاضي ابو بكر وغيره مـن اهـل التحقيـق الى أن كل واحـد مـن هذه المذاهب ممكن»[١١].

ويبـدو أن هـذا الاتجـاه أكثر الاتجاهـات قبولا في الـتراث اللغـوي العربـي، فقد اخـذ جمهور الباحثـين اعتباطيـة الدلالة، ويؤكـد صحة هذا القـول ذلـك الرفـض القاطـع لمقولة عبـاد بن سـليمان الصيمـري المعتـزلي (ت٣٠٥هـ) بـأن الالفاظ (تدل على المعنى بذواتها)[١٢].

● الوضع عند المحدثين:

إن الباحثـين لما بحثوا في أصـول اللغات وجدوا مسائل شـديدة التعقيد تخضع لوسائل البحث التجريبية. فكادوا يجمعون على أن اللغة جاءت نتيجة لوسائل مع الاعتراف بأن قضية التوقيف والاصطـلاح تعني فلاسـفة اللغة، وليسـت من صميـم مباحث النحـو الذي يتنـاول بالوصف والتقويم قواعد لغة معينة[١٣].

واذا جئنـا الى علمـاء الاصول المحدثـين وجدنا مسألة الوضع ونشـأة اللغة عموما تتخذ مجالا أوسـع وبحثـا أعمـق في التفكير ودقـة التعبير وجدة الطرح ولاسيما عند علماء مدرسة النجف الاشرف الحديثة .

فهـم لم يبحثوا المسـألة كما بحثهـا الاصوليون القدماء، أو كما بحثها أئمة اللغة، وإنما فصلوها ومنهجوها بشـكل تدريجي عالجـوا من خلاله أبعـاد عملية الوضع في اللغة من بداية نشـأتها ومرورا بتشخيص الواضع وانتهاء ببيان حقيقة الوضع الذي تمخضت عنه أروع نظريات الفكر الاصـولي في المجـال اللغـوي الذي اعجـز علماء اللغة عن أن يأتوا بمثله.

أولا: بحث النشأة:

ذكر لهذه النشأة اتجاهان[١٤]:

١.منشأ العلاقة الذاتية بين اللفظ والمعنى (وهو مذهب عباد الصيمري كما بينا سابقا).



٢.أن منشأ العلاقة انما جاء بوضع واضع وفعل فاعل.

ثانيا: تشخيص الواضع: وبعد أن رفض الاتجاه الاول لم يبق سوى قبول الثاني والايمان بالوضع في اللغة على العموم، وعلى هذا الاساس بدأت أبحاث الاصوليين المحدثين بالبحث عن الواضع الذي وضع اللفظ للمعنى ومنه نشأت اللغة. وهنا ظهر اتجاهان آخران:

الاول: يرى أن الواضع هو الله سبحانه وتعالى (فظهرت فكرة التوقيف من جديد).

الثاني: يرى أن الواضع هو البشر (وهي فكرة الاصطلاح القديمة)إذن فالفكرتان الرئيستان في نشأة اللغة تظهر من جديد ولكن العلماء هنا حاولوا توجيه هذين المسلكين (الفكرتين) توجيها يعطيهما نوعا من الجد وبالخصوص فكرة التوقيف.

واذا كان هذا الاتجاه اكثر الاتجاهات قبولا في التراث اللغوي العربي، فقد اصبح مفهوم الاعتباطية إحدى الركائز الرئيسة في الفكر اللساني المعاصر .فليس في الدال ما ينبئ عن المدلول، زيادة على ذلك، هناك شيئان يعارضان وجود صلة طبيعية بين الدال والمدلول،(الاول يتمثل في تنوع الكلمات واختلافها في اللغات المختلفة، والثاني: في الحقائق التاريخية، فلو كانت معاني الكلمات كامنة في اصواتها، لما أمكن أن تتغير هذه الكلمات في لفظها ومدلولها تغيرا يستحيل ربطه بالوضع الاصلي لها)[١٥].

●نظريات الوضع:

إشتهرت في الفكر الاصولي الحديث ثلاث نظريات بحثت حقيقة الوضع واصل نشأته محاولة بذلك تفسير العلاقة بين اللفظ والمعنى وكيفية حصول الترابط بينهما، الذي كان الاساس في نشأة اللغة عند الانسان. وسنذكر هذه النظريات وفق تسلسلها الزمني بدءاً من أسبقها في الظهور.

١- نظرية الإعتبار[١٦]:

تعد هذه النظرية من اكثر النظريات انتشاراً عند الاصوليين وأولها ظهوراً في الفكر الاصولي الحديث وقد تبناها أكثر الاصوليين وأبرز اعلامهم ومازالت تحظى بالقبول الى الآن، مفاد النظرية: هو أن عملية الوضع التي يمارسها الواضع، إنما هي عملية إنشائية إعتبارية، فهو حينما يضع اللفظ للمعنى يضعه من ناحية الإعتبار، بمعنى أنه يعتبر هذا اللفظ لهذا المعنى، ولا يضعه وضعاً حقيقياً واقعياً بل وضعاً إعتبارياً، ومن هذا الإعتبار تنشأ العلاقة اللغوية بين اللفظ والمعنى.

وللنظرية ثلاث فرضيات لمفهوم الإعتبار[١٧]:

الفرضية الاولى: أن إعتبار اللفظ للمعنى هو بمثابة جعل الاشارات الحمراء على مواقع معينة علامة ودلالة على الخط او جعل أرقام الفراسخ على الطريق لتحديد المسافات، ولكن الفرق بينهما أن الاشارات وأرقام الفراسخ إنما جعلت للدلالة على أمر خارجي واقعي وحقيقي، أما جعل اللفظ والمعنى فهو إعتبار غير حقيقي.

الفرضية الثانية: أن إعتبار اللفظ للمعنى أنما هو إتحاد بينهما بالوجود الخارجي، أي أن اللفظ وجودٌ تنزيليٌ للمعنى، وبمعنى اخر: أن ينزل اللفظ منزلة المعنى في الخارج، وعليه فإن أي أثر للمعنى يسري الى اللفظ، بحيث أننا أذا أحسسنا باللفظ تصورنا المعنى.

الفرضية الثالثة: أن هذا الإعتبار يصير اللفظ أداة لتفهيم المعنى بمعنى أن الإعتبار عبارة عن جعل اللفظ أداة لتفهيم المعنى. وقد أثيرت بعض الاعتراضات على تلك النظرية



وفرضياتهـا[١٨]، فكان الاعـتراض على الفرضية الاولى: أن هنـاك فرقـا بـين الوضـع الحقيقـي للإشـارات الحمـراء، والوضع الإعتبـاري للفظ والمعنـى مـن حيـث الاركان التـي يتقـوم بها الوضعـان، فلأول ثلاثـة أركان هي:(الموضوع) (الاشـارة الحمـراء)، والموضـوع عليـه (مكان وضع الاشارة) والموضوع له (دلالة الخطر) أما أركان الوضـع الاعتيادي فأثنـان هما:الموضوع (اللفظ) والموضوع له (المعنى) ومن ثم لا يمكن التشبيه بين الحالتين .

أمـا الاعتراض عـلى الفرضيـة الثانية فمن ثلاثة أمور:

الأول: إن إطلاق لفظ الوضع لا يتناسب مع مثل هذا الإعتبار.

الثانـي: إن هذه الدقـة في التفكير لم تصل اليها بعد اذهان الواضعين.

الثالـث: أننا لا نجد أية آثـار للمعنى على وجود اللفظ حتى يجعل منه وجوداً تنزيلياً.

٢- نظرية التعهد:

صاحـب هـذه النظريـة هـو المحقق الرشـتي وأبـرز من قال بها وتبناها وأعتمدها مسـلكا في تفسـير الوضع هو السـيد أبو القاإسـم الخوئي أذ يـرى أن الوضع ـبنـاء على مسـلكه:«عبارة عـن الالتزام النفـسي بإبراز المعنـى الذي تعلق قصد المتكلـم بتفهمه بلفظ مخصوص، فمتعلق الالتزام والتعهد أمر اختياري وهو التكلم بلفظ مخصـوص عنـد تعلق القصـد بتفهيـم معنى خـاص والإرتبـاط بينهمـا إنما ينتـزع من هذا الالتزام»[١٩]، فالتعهد إذن هو الالتزام النفسي من الواضع أو المتكلم بأن لا يأتي باللفظ المخصص الا اذا قصـد به تفهيم المعنى المخصوص، وعليه تكون غاية الوضع هـي قصد التفهيم ليس غير عن المحسوسات(كما في الاشارة)، وعن المعقولات ايضا. ولهـذا خصه الباري عزوجـل بالبيان في قوله:[خَلَـقَ الْإِنسَـانَ۝عَلَّمَهُ الْبَيَانَ](الرحمـن /٣-٤)،ولما كان الغرض من إسـتعمال الألفاظ هو (القصدية)لأجل (التفهيم) إتضح أن حقيقة الوضـع هـو التعهد والالتـزام مـن الواضع أو المسـتعمل بأن لا يأتي باللفظ الا إذا قصد تفهم المعنى[٢٠].

٣- نظرية (القرن الأكيد)عند السيد الصدر

سـبق وأن تحدثنا عـن الوضع عنـد الاصوليين أن هناك نظريتين في تفسـير الوضع كان للأولى صـدى أوسـع من الأخـرى وبعد زمني أسـبق، وهي نظريـة (الإعتبار).والثانية تبلورت نتيجة المؤاخـذات والانتقادات الموجهـة للنظرية الأولى فسـلكت مسـلكا مغايرا وهي نظرية (التعهد) التي يتبناها السـيد الخوئي، أمـا في هذا البحث فنسـلط الضـوء عـلى النظريـة الثالثـة التـي أطرحنـا لها بحثا مفصلا لأنها تعد أهم البحوث اللغوية التي بحثها السـيد الصدر فأجاد وأبدع فصاغها نظرية جديدة تقف في خيال النظريتين السـابقتين متخذة لها منحنـى جديدا وإتجاها مغايـرا يعارض بإشـكالاته وانتقادات وجهات النظر السابقة ليثبت وجهة نظره.

● مفهوم النظرية

بعد أن يسـتعرض السيد الصدر بعض وجهات النظـر حول بحـث (الوضع) واشـكالاته عليها يصل في النهاية الى تقرير وجهة نظره في تفسير حقيقـة الوضع عـلى وجهه الصحيـح ـعلى حد قوله «والصحيح في حل المشكلة أن علاقة السببية التي تقوم في اللغة بين اللفظ والمعنى توجد وفقاً لقانون عام من قوانين الذهن البشري، والقانون العـام هو على سـبيل الصدفة [..كـذا..] قامت بينهمـا علاقـة واصبح أحـد التصورين سـببا لانتقال الذهن الى تصور الآخر»[٢١].



أمـا إسـم النظرية (القـرن الأكيـد) فيذكره في خلاصـة حديثه عن الوضع فيقـول:(إن الوضع قـرن) مخصوص بين تصـور اللفـظ وتصور المعنـى بنحو (أكيـد) لكي يسـتتبع حالة إثارة إحدهما للآخر في «الذهن»[٢٢].

● **كيفية الاقتران:**

يوضح السيد الصدر كيفية إقتران تصور اللفظ بتصـور المعنى عـن طريق تسـاؤل يطرحه ثم يجيب عنه، والتسـاؤل هو:«كيف إقترن تصور اللفـظ بمعنى خـاص مرارا كثـيرة او في ظرف مؤثـر فأنتـج قيـام العلاقـة اللغويـة بينهما؟ والجـواب عن هذا السـؤال: إن بعـض الالفاظ اقترنـت بمعـان معينة مـرارا عديـدة بصورة تلقائية فنشأت بينها العلاقة اللغوية وقد يكون من هذا القبيل كلمـة (آه): إذ كانت تخرج من فم الانسان بطبيعته كلما أحس بالألم، فارتبطت كلمة (آه) في ذهنه بفكرة الالم»[٢٣].

ثم يعطي لهـذه الكيفية من الإقـتران إحتمالية كونها سـبباً في نشـوء اللغة عند الانسان:«ومن المحتمل أن الانسـان قبـل ان توجد لديه أي لغة قد اسـتدعت إنتباهه هـذه العلاقات التي قامت بـين الالفاظ مـن قبيـل (آه) ومعانيهـا نتيجة لاقتران تلقائي بينها، واخذت تنشـأ على منوالها علاقة جديدة بين الالفاظ والمعاني»[٢٤].

وهناك كيفية أخرى لهذا الاقتران وهي: أن«بعض الالفاظ تقترن بالمعنى في عملية واعية مقصودة لكي تقوم بينهما علاقة سـببية، وأحسن نموذج لذلـك الاعلام يتمركز في الشـخصية إذ أنك حين تريد أن تسمي إبنك علياً تقرن إسم علي بالوليد الجديد لكي تنشئ بينهما علاقة لغوية ويصبح إسم علي دالا على وليدك»[٢٥].

وخلاصة الكلام أن لهذا القرن كيفيتين:

الاولى:عقوبـة تلقائيـة مـن انفعالات الانسـان وإحساساته كالتفوه بـ(آه)حينما يحس بالألم، وبالتكـرار تصبـح بـين اللفظ ومدلولـه علاقة إقتران تستدعي تصور أحدهما للآخر.

الثانية: واعية مقصودة، اذ يقوم الانسان بنفسه وعـن قصد فيه فيقول الإسـم بالمسـمى ويكرر القرن مرارا حتى تحصل العلاقة بينهما.

●**الحقيقة والمجاز:**

الدلالة الحقيقية والدلالية المجازية:

تنـاول اللغويون والبلاغيـون والاصوليون، كلّاً منهـم من وجهة نظر خاصة، فمـا يهم اللغوي كيفية إنتقال الألفـاظ الحقيقية الى المجاز، وما ينتـج عن هذا الإنتقـال من ظواهـر دلالية وقد درس البلاغـي الحقيقـة والمجاز ليكشـف عن العلاقـة الرابطـة بين المعنـى الحقيقي والمعنى المجازي البعيد، لتلمـس عناصر الجمال الفني. اما الاصوليون فقـد (كان غرضهم الوصول الى تأصيل الإسـتعمال الحقيقي والمجازي للألفاظ في تراكيبها المختلفة لاستنباط الأحكام الشرعية منهـا، والنظر في مـدى ثبوت الحقائـق الثلاث، اللغويـة، والعرفيـة، والشرعيـة)[٢٦]، ويفتتـح معظـم الاصوليين مباحثهم بالبحـوث اللغوية، كونها معيناً دلالياً يعين في الكشـف عن معاني الآيات القرآنية، وتأدية الوظائف الفقهية[٢٧].

عرف ابن جني(٣٢٩هـ) الحقيقة بأنها«ما أقر في الإستعمال على اصل وضعه في اللغة»[٢٨] والمجاز «مـا كان بضد ذلـك»[٢٩]. وعرفها عبـد القاهر الجرجانـي(٤٧١هـ) بقوله:(كل كلمـة اريد بها مـا وقعت له في وضع واضع وإن شـئت قلت - في مواضعه وقوعاً لا تسـتند فيـه الى غيره فهي حقيقة...واما المجـاز فكل كلمة اريد بها غير ما وقعت له في وضـع واضعها لملاحظة بين الثاني فالأول فهي مجاز»[٣٠].

امـا الفخر الـرازي (٦٠٦هـ) فما يـراه بلاغيا لا

يراه أصوليا،(وجهين مختلفين)، فهو في(نهاية الايجاز) يتابع رأي الجرجاني ويعتمد تعريفه الحقيقية والمجاز[٣١]، وفي (المحصول) ينتقد تعريف الجرجاني ومن قبله تعريف ابن جني. ويعدهما ناقصين كونهما لا يشملان بالنسبة للحقيقة ربما في أنواعها ك(الشرعية والعرفية) وقبل أن ينتقد التعريفين أستحسن تعريف ابي الحسين البصري(٤٣٦هـ) فقال: «أحسن ما قيل [في تعريف الحقيقة] ما ذكره أبو الحسين وهو أن الحقيقة ما أقيد بها ما وضعت له في أصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به معنى وقد دخل فيه الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية والمجاز ما أقيد به معنى مصطلح عليه غير ما اصطلح في اصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الأول: وهذا القيد الأخير لم يذكره ابو الحسين ولابد منه فإنه لولا العلاقة لما كان مجازا بل كان وضعا جديدا»[٣٢].

ولقد عرف عبد القاهر الجرجاني الحقيقة(بأنها كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع- وإن شئت قلت: في مواضعة - وقوعاً لا يستند فيه الى غيره)[٣٣] فالحقيقة بهذا المفهوم تشمل الوضع الأول، وما تأخر عنه من المواضعات كالشرعية والعرفية.

ويتضح في تعريف السكاكي(ت٦٢٦هـ) للحقيقة الدقة في التنظير، فهي عنده(الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع)[٣٤] ويقسمها الى لغوية، وشرعية، وعرفية فالحقيقة لدلالتها تستدعي صاحب وضع قطعا، فمتى تعين عندك نسبت الحقيقة اليه:(فقلت: لغوية إن كان صاحب وضعها واضع اللغة، وقلت: شرعية إن كان صاحب وضعها الشارع ومتى لم يتعين قلت: عرفية[٣٥]. والمجاز: في اللغة هو الموضع أو المكان، من جزت الطريق وجاز الموضع اذا سار فيه، وسلكه، وقطعه وخلفه[٣٦].

● **أنواع الحقيقة والمجاز:**

ذكر البلاغيون أن للحقيقة ثلاثة أنواع هي:

١.**الحقيقة اللغوية**: وهي ما كان واضعها واضع اللغة كلفظ الاسد المستعمل في أصل وضعه اللغوي في (السبع) ذلك الحيوان المفترس.

٢.**الحقيقة الشرعية**: وهي ما كان واضعها هو الشارع كلفظ (الصلاة) إذ استعملت بعرف الشرع للعبادة.

٣.**الحقيقة العرفية**: وهي ما كانت موضوعة من قبل العرف، فإذا كان العرف خاصاً فهي عرفية خاصة كأن تستعمل في عرف اللغويين أو علماء الأصول أو عند البلاغيين وهكذا، وإذا كان العرف عاماً فهي عرفية عامة[٣٧]، وهي التي حدثت بعد ظهور الاسلام ونزول القرآن الكريم،وتعني إكتساب الفاظ قديمة في لغة العرب دلالات جديدة اكسبها إياها الدين الجديد، كالصلاة والإيمان والنفاق والفسوق...أو قل هي (اللفظ الذي أستفيد من الشارع وضعه للمعنى سواء أكان اللفظ والمعنى مجهولين عند أهل اللغة أو كانا معلومين، لكنهم لم يضعوا ذلك الإسم لذلك المعنى، أو كان احدهما مجهولاً والآخر معلوماً...)[٣٨] وقد اختلف الاصوليون في الحقيقة الشرعية ومدى ثبوتها، فكلمة (الصلاة) بمعنى العبادة المعروفة في الاسلام بأركانها وأجزائها، هل وضعها الشارع بهذا المعنى أم ان الكلمة دلت على معنى (الدعاء) ثم تخصصت دلالتها وأطلقت على العبادة المخصوصة[٣٩].

اما المجاز فله نوعان هما:

١.**المجاز المرسل**: وهو ما كانت العلاقة فيه بين المعنى الموضوع له اللفظ في الأصل والمعنى المستعمل فيه علاقة ملابسة لا علاقة تشبيه



كإستعمال (اليد) في النعمة(٢) كما في الدعاء: (الهي وإياديك الفاضلة) وقد ذكرت لهذا النوع من المجاز وجوه عدة بلغت خمسة عشر وجهاً منها تسمية الشيء بإسم ما يُؤول اليه، وتسمية الشيء بإسم مشابهه، وتسمية الشيء بإسم آلته وغيرها[٤٠].

٢.الإستعارة: «وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له وقد تفيد بالتحقيقية لتحقق معناها حساً أو عقلاً اما الحسي فكقولك رأيت أسداً وأنت تريد رجلاً شجاعاً،وأما العقلي فلقولك أبديت نوراً وانت تريد حجة،فإن الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حسية»[٤١].

ويتقسم المجاز -أيضاً إلى (المجاز المفرد)الذي يختص بالكلمة و (المجاز المركب)الذي يختص بالعبارة أو الكلام[٤٢].

● الحقيقة والمجاز عند الاصوليين

الحقيقة والمجاز من الموضوعات المهمة، وقد كثر حديث القدماء في الحقيقة والمجاز، فعكفوا بالحديث والتدقيق بما يفوق اللغويين والبلاغيين عمقاً وتفصيلاً، وقد درس البلاغي الحقيقة والمجاز ليكشف عن العلاقة الرابطة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي البعيد، لتلمس عناصر الجمال الفني. اما الاصوليون فقد (كان غرضهم الوصول الى تأجيل الاستدلال الحقيقي والمجازي للألفاظ في تراكيبها المختلفة،لإستنباط الأحكام الشرعية منها، والنظر في مدى ثبوت الحقائق الثلاث، اللغوية، العرفية، والشرعية)[٤٣].

● تعريف الحقيقة والمجاز

لم يكن تعريف الاصوليين يختلف عن تعريف اللغويين والبلاغيين، فالمضمون واحد واللفظ كذلك -عند بعضهم- وإن بعض الاصوليين كان اسبق في تعريفه من علماء اللغة والبلاغة، فالجصاص(٣٧٠هـ) يعرفهما بقوله في الحقيقة:(اللفظ المستعمل [عند] في موضعه الموضوع له في اللغة والمجاز هو المعدول به عن حقيقته والمستعمل في غير موضعه الموضوع له في أصل اللغة ولا يجوز ان يعدل به عن جهته وموضعه الا بدلالة)[٤٤]، ويحتمل أن يكون علماء اللغة والبلاغة قد تأثروا بالجصاص وأمثاله من أئمة الأصول وبتعريفاتهم.

وعرفها السيد المرتضى (٤٣٦ه) بأنها حد الحقيقة «ما أريد به ما وضع ذلك اللفظ لإفادته اما في لغة أو في عرف أو شرع... وحد المجاز هو اللفظ الذي اريد به مالم يوضع لإفادته في لغة. ولا عرف أو شرع... وحد المجاز هو اللفظ الذي أريد به مالم يوضع لإفادته في لغة ولا عرف ولا شرع[٤٥]، أما الغزالي(٥٠٥ه) فقد عرف الحقيقة بأنها:«ما استعمل في موضوعه والمجاز ما استعملهُ ولا عرف، ولا شرع»[٤٦].

● أنواع الحقيقة والمجاز:

الحقيقة عند الأصوليين ثلاثة أنواع- كما هي عند اللغويين والبلاغيين – هي: «اللغوية، والشرعية، والعرفية» وقد حظيت (الشرعية)- دون باقي الأقسام – بالاهتمام والدراسة، لأنها متضمنة الحكم الشرعي- موضوع علم الأصول -فكثر الجدل بينهم في ثبوت تلك الحقيقة وبيان ماهيتها[٤٧].

أما المجاز أو (مرسل واستعارة) وايضاً – وأما وجوه المجاز (المرسل) فاثنا عشر وجهاً على المشهور عندهم – كما يذكر الفخر الرازي [٤٨].

أما المتأخرون من علماء الأصول – وبالخصوص أعلام مدرسة النجف الحديثة – فقد درسوا (الحقيقة والمجاز) دراسة معمقة وأولوها عناية فاقت عناية الأقدمين من علماء الاصول في جدة الطرح وتحصيل الثمرة، وان كانت أغلب

تعريفاتهـم متطابقة مع الأقدمين أو صدى لها. فقد عـرف الميرزا أبو القإسـم القمي الحقيقية؛ بأنها إسـتعمال اللفـظ «فيما وضع له من حيث هو» وعـرف المجـاز: بأنه إسـتعمال اللفظ «في غيره [اي في غير ما وضع له] العلاقة»[٤٩].
وعرفهمـا الشـيخ محمـد رضـا المظفـر فقال: «إستعمال اللفظ في معناه الموضوع له. (حقيقة)، وإسـتعمـــاله في غير المناسب له مجاز[٥٠] ومن أهم ما بحثـه المتأخـرون في (الحقيقة والمجاز) وضعهـم علامـات لمعرفـة الحقيقـة في مبحث عـرف بمبحث (علامـات الحقيقة) درسـوا فيه العلامـات التي تميز الحقيقـة عن المجاز ومدى جديتهـا في الكشـف عـن الإسـتعمال الحقيقي للفظ وصلاحيتها لإعانة المستعلم، فأصبحت كل علامــة معيارًا يحكم بوجـوده أن اللفظ حقيقة وبعدمـه أنه مجاز. فقد إسـتند الكثير منهم الى هذه العلامات حينما تعرضوا لدراسة (الحقيقة والمجـاز) بما اغناهـم عن التعـرض للتعريف. ويرى فندريس أن المجاز وان كان هو السبب في خلـق العديد من المعاني للفظة الواحدة في اللغة الا أنه سريعاً ما يتسـنى ويصبح المعنى الجديد الـذي دخل اللفظ عـن طريق المجـاز لا يقل في حقيقته عن المعنى الاول الذي كان له[٥١]، وتظل الألفاظ إذا قـدر لها البقاء (تنتقل من مجال الى مجـال أخر جيـلاً بعد جيل، وذلك هـو التطور الدلالي[٥٢].

أما العلامات فهي أربع[٥٣]:

١.التنصيص: من الواضع أو من اهل اللغة على أن اللفظ المعيّن، فإذا إستعمل في غير ما وضع له كان مجازاً،وهـذا يعني الإحتكام الى كلام العرب الفصحاء- عند أئمة اللغة القدماء لمعرفة أصالة المفردة واصل معناها وإستعمالها.

٢.التبـادر: وهـو إنسـياق المعنـى الحقيقـي الموضوع لـه اللفظ الى الذهن وتبـادره اليه من دون أيـة قرينة، فما ان يذكر اللفظ حتى يتبادر المعنى الحقيقي الى الذهن من مجرد ذكر اللفظ، فالتبادر إذن هو «عبارة عن إنسـباق المعنى من اللفظ بحيث يكون سماع اللفظ موجباً لحضور المعنى في الذهن»[٥٤].

٣.صحة الحمل وعدم صحة السلب: ومعناه ان تجعل المعنى المـراد وضع كلمة له-موضوعاً (كمدلـول كلمـة البشر) ثم تتحمـل عليه (كلمة أنســان)، وتقول:البشر، إنســان، أو تسلبها عنه فتقـول البشر ليس بإنسـان، فـإن صح الحمل كان الوضع للمعنى الحقيقي، وان صح السـلب كان الوضع مجـازاً .فصحة الحمل وعدم صحة السـلب علامة مـن علامـات المدلـول الحقيقي للكلمة[٥٥]. والحمل الأولي(الذاتي)عند الاصوليين وهـو أن تحمل شـيئاً على آخـر بينهما اتحاد في الوجود(كحمل الكليات على أفرادها)، ويسـمى بالشـائع لشـيوعه.وبـ(الصناعي) لأنه يكثر في أقيسة الصناعات والبراهين[٥٦].

٤.الاطراد: الإطراد يعني:«إن يتعدد إسـتعمال اللفظ في المعنى المشـكوك وضعـه له مجرداً عن جميـع الخصوصيـات التـي يحتمـل دخلها في صحة الإستعمال»[٥٧].

كما بحثوا في أقسـام الحقيقـة الثلاثة (اللغوية، والشرعيـة، والعرفية)وتوقفوا عنـد (الشرعية) فأشـبعوها بحثاً وتفصيلاً، وكثرت الآرّاء بينهم في بيان حقيقتها ونشأتها[٥٨].

وَممَّـا بحثـه المتأخرون مـن علمـاء الاصول في (الحقيقـة والمجـاز) هـو (علائق المجـاز)- أي (وجوه المرسـل) فبعد ان أوصلها البلاغيون الى خمسـة عشر وجهـا، وأوصلهـا المتقدمون- من علمـاء الاصـول -الى أثني عـشر وجها،أوصلها المتأخرون منهم الى إحدى وثلاثين علاقة – أي-



وجها- [٥٩]، منها على سبيل المثال: إطلاق الملزوم علـى اللازم كقولك للجواد: كثير الرماد، وإطلاق إسـم اللازم على الملزوم كشـدّ الإزار(تطلق على إعتزال النسـاء)، وإسـتعمال النكـرة المثبتة في العموم كقوله تعالى:[عـَلِمت نفس ما أحضَرت] (التكويـر/١٤) وإسـتعمال المعـرف باللام في المفرد نحو ادخلوا الباب[٦٠].

●المشترك اللفظي

الأضداد والترادف:

إتسـمت ظاهرتا (المشـترك والترادف) بسمات تجلـت فيهـا منزلتهـا، ومكانتهـا، ومـن تلـك السمات سمتان جوهريتان: طاقة معنوية تشد في وجودهـا وأصولهـا، وقوة دلاليـة تجدد من نمائها وبقائها. وإزدادت هاتان السـمتان ثباتاً بنزول القـرآن الكريم إذ إسـتطاعت هذه اللغة (أن تحتمل هـذا القدر الهائل مـن المقارنة بين كلامـين: كلام هو الغاية في البيـان فيما تطيقه القـوى، وكلام يقطع هذه القـوى ببيان ظاهر المباينة له من كل الوجوه)[٦١].

وتعـد ظاهرتـا (الاشـتراك والـترادف) مـن الموضوعـات المهمة التي إهتم السـيد الصدر في البحـث بهمـا، فكان لـه رأي في سـبب حدوثها ونشأتها وأماكن وقوعها، وبما أنهما مرتبطتان إرتباطاً وثيقاً بـين اللفظ والمعنى، وهو يتماشى ومعظم الاصوليين في بحث هذا الموضوع، ولكن الجـدة في طرحـه إنما تكمن في كيفية تفسـيره الظاهرتـين بناءً على ما تبناه من نظرية (القرن الأكيـد)، والامر الاخر هو الإشـكال الذي طرحه عـلى (نظرية التعهـد) فأظهر فيه عـدم إمكان وقوع الاشـتراك والترادف بناءً على ذلك المسـلك الا إذا أجريت عـلى النظرية بعض التعديلات أو أضيف لها بعـض المفاهيـم والافتراضات التي يذكرها.

●ماهيّة(الاشـتراك والترادف)عند اللغويين والأصوليين

الاشـتراك (أن تكون اللفظة محتملة معنيين أو أكثر)[٦٢]، وقد عرفه الشريف الجرجاني بأنه (ما وضع لمعنى كثير يوضح كثير كالعين لاشـتراكه بين المعاني)[٦٣].

وأول إشـارة لهاتـين الظاهرتـين اللغويتين في كتاب سيبويه (ت١٧٥هـ)اذ يقول: «أعلم أن من كلامهم [أي العرب] أختلاف اللفظتين لاختلاف المعنيين [ويعنـي به التضاد، وأختلاف اللفظين والمعنى واحد [وهو الترادف]، وأتفاق اللفظتين واختلاف المعنيين [وهو الاشتراك]»[٦٤].

وأختلف علماء اللغة في المشترك اللفظي، وجوداً وعدمـاً، فمنهـم من قـال بوقوعـه كالخليل بن احمد[٦٥]، وسيبويه[٦٦]، وأبي زيد الأنصاري[٦٧]، وأبن قتيبة[٦٨]، ومنهم من أنكر وقوع المشـترك في اللغـة كابـن درسـتويه(ت٢٤٧هـ)، ومـن فسر ذلـك بقوله:(فإذا أتفق البنـاءان في الكلمة والحـروف، ثم جاءا لمعنيـين مختلفين، لم يكن بدّ من رجوعهما والى معنى واحد يشتركان فيه، فيصيران متفقي اللفظ والمعنى)[٦٩].

وقد عرف الاصوليون بأنه«كل لفظ تشـترك فيه معـان أو اسـام لا على سـبيل الانتظـام بل على احتمـال ان يكـون كل واحـد هو المـراد به على الانفراد»[٧٠].

وعرفـه اللغويـون المحدثـون بأنه:«الكلمـة الواحـدة التي تعبر عن اكثر من معنى واحد مع محافظتها على لفظها وأصواتها»[٧١].

أمـا الـترادف: فهـو عـلى العكـس تمامـاً من الاشـتراك إذ هو تعدد الألفاظ لمعنى واحـد كـ «الليث والاسد والهزبر والغضنفر»[٧٢].

وسمي بالترادف لأنه في اللغة يعني «ركوب أحد خلـف الآخـر»[٧٣] فكذلك هـو في الاصطلاح أن

يأتــي اللفظ خلف الآخر فيكــون مرادفاً له وهو عند الاصوليين بمعنى«الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد بإعتبار واحد».

وعرفــه اللغويون المحدثــون: أنه «الفاظ متحدة المعنــى وقابلــة للتبــادل فيمــا بينهمــا في أي سياق»[٧٤].

فهــذه العبارات تشــير الى أن الألفاظ المشــتركة تجيء بسبب تدخل اللغات ولأسباب صوتية، أو نتيجة المجاز والاستعارة.. في حين أن الاصوليين أكدوا أن المشــترك هو لفظ واحــد وضع للدلالة على معنى أو أكثر.

●**أسباب النشأة**

أولاً: الاشتراك- أسبابه:

١-تعــدد اللهجات: فكل قبيلــة كانت لها(لهجة خاصــة بهــا وربما أطلقــت عَلى لفــظ معين أو معنــى معين مغايــر للمعنى الــذي أطلقته على اللفظ نفســه الاخر، وربما إستعملته قبيلة ثالثة لمعنى ثالــث، وهكذا تتعدد المعانــي للفظ واحد بتعدد إستعمال القبائل.

٢-الإستعمال المجازي للفظ: قد يستعمل اللفظ للدلالة على معنــى مجازي وبكثرة الإســتعمال يشــيع المعنى المجــازي للفظ حتــى يطغى على معنــاه الحقيقــي فيُهمل، فإذا إســتعمل المهمل صــار للفــظ معنيان وصــار اللفظ (مشــتركاً) وهكذا، كلما استعمل اللفظ مجازاً وشاع أضيف للفــظ معنى جديد وهــذا ما جعــل بعض أئمة اللغة ينكر (الاشتراك) بناءً على هذا الامر.

٣-ظهور الاسلام وإنتشــار تعاليمه: جاء الدين الاسلامي بمعان جديدة وردت في القرآن الكريم، فإســتعملت الكثير من الألفاظ بمعان جديدة في القــرآن أطلــق عليها(الألفــاظ الاصطلاحيــة أو الاسلامية) مثل:(الكفر، الزكاة، الصلاة، الحج... وغير ذلك)التي كانت لها معانيها- قبل الاسلام - ولكن مجيئه إستعملت في معانٍ جديدة فرضتها تعاليمالاســلام.

٤-التلاقــح الحضــاري بين الأعاجــم كما أثرت فيها، وهنا قد يدخل في اللغة من اللغات الاخرى اللفظ نفسه تستعمله العربية ولكن بمعنى اخر تســتعمله تلك اللغة الأعجميــة- وهذا أمر نادر، ثم يكثر إســتعماله في اللغة العربية حتى يصبح اللفظ مشــتركاً لفظياً كمــا في لفظ(الحُبّ) الذي يعني في العربية الوداد، وفِي الفارســية (الجرّة) التــي يوضــع فيهــا المــاء، وقــد دخــل العربية واستعمل فيها بالمعنى الفارسي[٧٥].

٥-وللتطور اللغوي دور في هذه النشأة إذ يحدث أن يكــون هنــاك لفظان متقاربــان في الحروف ويصبحان لفظاً واحــداً، ولكن يبقى لكل واحد منهما معناه في الأصل الذي كان فيه قبل التطور فيصبح مشــتركاً كما في كلمة(مُرَدُ) التي تعني: (أقبل وعنا وتعني في: مَرَدَ الخبر: ليّنه»[٧٦].

أمــا أصل (مَــرَدَ) بمعنى (ليّنُ)إنمــا هو (مَرَثَ) بالثــاء ثم تطــور الصوت وأبدل بالتــاء لتقارب المخرج، ثم صــارت التاء مجهورة فقلبت (دالاً) فصارت(مَــرَدَ) فتشــابهت (مَــرَدَ) التي بمعنى (أقبل وعنا)[٧٧].

ثانياً: الترادف - أسبابه:

١.تعدد اللهجات: وقــد يحدث الترادف- ايضاً- بسبب تعدد اللهجات «بأن تضع أحدى القبيلتين احد الإســمين والأخرى الإســم الاخر للمســمى الواحد»[٧٨].

وبالتمــازج والاختلاط بــين القبائل تفضح تلك الألفاظ ذات المعنى الواحد، وهذا الســبب أجمع عليه أغلب القائلين بالترادف.

٢.التوســع في اللغة والاكثار من وســائل التعبير وإحتياج أهل الشعر وفنون الكلام اليه[٧٩].

٣.التطور الدلالي: وكما حصل في الاشتراك حصل



في الـترادف، فبسـبب تقـارب بعـض الألفـاظ في المعنـى أو دلالتهـا عـلى معان كليـه عامة أو معان جزئيـة خاصة تتطور الدّلالة فيتخصص العـاّم أو بالعكس أو ان تقترب المعاني بين تلك الألفاظ شـيئاً فشـيئاً حتى تصبح معنى واحداً لكثرة الإستعمال(٨٠).

٤.التعلق بالـشيء وكثرة الاهتمام به: تكتسـب بعض الأشـياء - احياناً- أهمية بالغة في نفوس الناس فتكثر شدة تعلقهم بها وتؤدي الى الإكثار مـن إسـم الـشيء والتفنـن في لـفظـه نظراً لتعدد صفاته كـ (الأسـد) أو كثرة إستخداماته كـ (السـيف)، فصـارت للأسـد أسـماء بعدد صفاته، وللسيف أسماء أيضاً وللخمرة أسماء... وهكذا حتى أصبحت مرادفات للإسم الأول(٨١).

٥.التداخـل بـين اللغات(٨٢):فبسـبب التداخـل والتمازج مع الاعاجم دخلت اللغة العربية الفاظ كثيرة تحمل المعاني نفسها التي كانت عند العرب ولكن بألفاظ أخرى، وقد أسـتعملت العرب تلك الألفـاظ حتى صار يطلـق على المعنـى الواحد أكثر من لفظ، كما لفظ(القثاء) ولفظ (الخيار)، فالأول عربي والثاني أعجمي، وكلاهما يدل على معنى واحد ذلك النبات المعروف(٨٣).

- **إنكار وقوع المشترك:**

إن بعـض القدامـى، قد أنكر وقوع المشـترك في القرآن الكريم بدعـوة منافاته لطبيعة الإعجاز، وقـد لخص الآمـدي(٦٣١هـ) رأيهـم حيث قال: (ومـا يقوله المانع لذلك من إن المشـترك أن كان المقصـود به الإفهام، فإن وجـد معه البيان فهو تطويل من غير فائـدة، وإن لم يوجد، فقد فات المقصود، وإن لم يكن المقصود منه الأفهام فهو عبـث ، وهو قبيـح ، فوجب صيانـة كلام الله عنـه)(٨٤).

أمـا في علـم الاصول فقد وقع الإنـكار - ايضاً - مـن جماعة قليلـة لم تذكر مصـادر الاصوليين إسـماءهم، والمتتبع لكتب الاصول يجد السجال طويـلاً في هذه المسـألة، فكل من أجـاز الوقوع أثبـت ذلـك بعـد الـرد عـلى دعـاوى المنكرين وتقييدهـا بالأدلة العقليـة والمنطقية(٨٥) ومنهم مـن كان أكثر إعتـدالاً وموضوعية فلم يسـاير المنكريـن في رفضـه جملة وتفصيـلاً، ولَم يكن مـع المجوزين قبـول الوقوع جملـة وتفصيلاً، وإنما وضع حـداً صارماً وإنطلق منه في تجديد الظاهـرة، وهـذا هو الفخـر الـرازي(٦٠٦هـ)، الـذي حـدّ الـترادف بقولـه: «الألفـاظ المفردة الدالـة على مسـمى واحـد بإعتبار واحـد»(٨٦)، فـ(بإعتبار واحد)أخرج مـن الترادف الكلمات التي تكون صفة للكلمة الأم (كالسـيف- مثلاً) ومرادفاته(الحسـام، والصارم، والمهند)، إذ هي صفات للسيف وليست مرادفات له، لانها لا تدل على معنى السيف «بإعتبار واحد»، وإنما تكون دلالتهـا بإعتبارين أثنـين هما: دلالة السـيف، ودلالـة الصرامة (الحسـم أو القطـع أو البتر)، لهذا لا تعد هذه الصفات كلمات مرادفة للسيف، لان دلالتها ذاتية و«بإعتبار واحد» كما في (قمح، وبرُ، وحنطة)التي صحّ حملها على الترادف(٨٧).

- **الاشتراك والترادف عند السيد الصدر.**

بعد أن إسـتعرضنا الظاهرتين عنـد ائمة اللغة والاصـول، وتبيناً دعـاوى المنكرين والاسـباب الداعيـة للنشـوء، نتحـدث هنا عـن بحثها عند السـيد الصدر وكيفية معالجته لهما، ولكن قبل ذلـك نـود أن نشـير الى ملاحظة تجلـت لنا من البحوث السـابقة ووجدناها أيضاً متجسـدة في بحث السـيد الصدر - ويبدو أنها تخص بحوث الاصوليين دون سواهم- وهي أن البحث الأصولي القديـم منه والحديث قد أولى بحث (الاشـتراك) عنايـة كبيرة أكثـر مـن (الـترادف)، فأنصبت



معظم آراء الاصوليين واشــكالاتهم ومناقشاتهم على الاشــتراك ولَم يعطــوا الترادف مــا أعطوه الاشتراك من عناية ودراســة. وقد يكون السبب في ذلــك أنهم لا يرون أن التعبير عن المعنى بعدة الفاظ أمر مشــكلٌ أو مخلٌ بوظيفة اللغة، أما أن تكون للفــظ الواحد معانٍ عديدة فأمر مشــكل ومحوج الى كثير بحث ودراسة لحل إشكاله وفك ملابســاته، فكانت النتيجة تلك البحوث الكثيرة والمناقشات العديدة المعمقة.

ولم يكن الســيد الصدر بمنأى عــن ذلك المعترك الفكــري، لــذا كانــت معالجتــه الظاهرتين هي نفسها التي تدرجت في بحوث السابقين من علماء الاصول ولكنه أضاف اليها إشــكالات ومعالجات جديــدة ضمنها انتقاداتــه لآراء بعض معاصريه من الاصوليين ورده عليهم. ولقد جاء بحثه مبنياً عــلى ثلاثــة محــاور: الأول بحث قضيــة وجوب الاشتراك والثاني: بحث قضية الإنكار أو ما يسمى بــ(إســتحالة الاشــتراك) والثالث: قضية الإمكان والوقوع. وسيتضمن البحث الحديث حول المحور الاول الذي يتناول بحث الوجوب.

●بحث الوجوب:

يرى بعض الاصوليــين- وبعض اللغويين أيضاً وجــوب ظاهرة الاشــتراك في اللغة، وصحتهم في ذلك أنه لما كانت الألفــاظ متناهيه والمعاني غير متناهيــه كان لابد للفظ مــن أن يحمل أكثر من معنى ليستوعب كثرة المعاني فيكون الوعاء الذي يجوبها والأداة التي تبرزها، وإلا فلا يوجد سوى اللفظ معبراً بشكل واضح وجلي عن المعنى، لهذا كان وجوب الاشــتراك ضروريــاً في اللغة. أما مع إفــتراض أن لكل لفظ معنى واحــداً مختصاً به فيعنــي تطابق المتناهي مع غــير المتناهي، وهذا أمر محال(٨٨).

وعالج الســيد الصدر هــذه القضية وردّ حجتها بعد أن قسم الاشتراك (إعتبار المنتج له): **قسمين إثنين:**

الأول: يرى أنه إذا كان (المشترك) ناتجاً عن وضع واحد غــير متعدد- كالوضع العام والموضوع له الخاص- أي أن تضع لفظاً وأتت الى خصوصية ترد من أفراده«فالصحيح هو أن الاشــتراك بهذا المعنــى ضروري، اذ بدونه لابــد من ان تفترض لكل ربط ونسبة لفظاً دالاً عليه.

ولمــا كان كل ربط مغايــراً ذاتاً وماهية لأي ربط آخــر ولا جامــع بــين الربطــين ولــو كان طرفا الربطــين فردين من جامع واحــد- على ما يأتي في المعاني الحرفية _فهناك إذن أنحاء من الربط غــير متناهية لعدم تناهي الأفراد والجزئيات ولا يتوفر مــن الألفاظ ما يوازيها عــدداً لكل معنى لفظ يختص به»(٨٩).

الثاني: أما اذا (تعدد وضع لفظ واحد لمعنيين أو اكثر) فضرورة الاشتراك في هذا القسم أمر مُبعد ومردود من عدة أمور:

١-«إن جعل لفظ يدل على كل معنى من المعاني الإســمية والحرفية لا ينحصر طريقه بالاشتراك بهذا المعنى المساوق لتعدد الوضع بعدد الدلالات الوضعية بل يمكن أن يحصل عن طريق الوضع العام والموضوع له الخاص والاشــتراك بالمعنى المســاوق لتعدد الوضع غير ضروري ولو سلمنا عدم تناهي المعاني وتناهي الألفاظ»(٩٠).

٢-إن القــول بعدم تناهي المعانــي أمر صحيح ولكنــه عنــد الإســتعمال يكــون متناهيــاً، لانه خاضع لحاجة الإنسان، وحاجته فرع بتصوره، ولما كان تصوره محدوداً كانت حاجاته محدودة أيضاً وعليه يكون إســتعماله للمعاني محدوداً، لان «الــذي يدعو الى الوضع دائماً إنما هو حاجة المســتعمل والحاجة الى الإستعمال في معنى فرع تصوره، ولمــا كان التصور محدوداً كان الوضع محدوداً لا مُحال»(٩١)، وهذا المعنى ذكره الســيد الخوئي وتابعه فيه الســيد الصدر في ردهما على



دعاوى الوجوب[٩٢].

●الهوامش

(١)لسان العرب مادة (وضع) ج٨/ ص٣٩٦، وينظر: تاج العروس باب العين فصل الواو.
(٢)التعريفات، الجرجاني: ص٣٢٦ وينظر: المزهر ج١/ ص٣٤، التعريف، محمد عبد الرؤوف المداوي ج١/ ص٧٢٧وينظر: البحث اللغوي عند السيد محمد باقر الصدر(قدس).
(٣)شرح تنقيح الفصول، القرافي: ص٢٠.
(٤)البقرة/ ٣١.
(٥) ينظر: المحصول: ج١\ص ١٨٢-١٩٩، الإبهاج: ج١/ ص١٩٧.
(٦)الاحكام في اصول الاحكام ج ١\ص٢٨-٣٠.
(٧)ينظر: المحصول: ج١\ص ١٩٩ الابهاج: ج١\ ص١٩٧.
(٨)ينظر: المصدر نفسه ج١\ص١٨٢.
(٩)ينظر: المستصفي ج١\ص١٨٢،المنخول: ص١٣١-١٣٢.
(١٠) ينظر: المحصول ج ١\ص١٨٢،التفسير الكبير: ج١\ص٢٣.
(١١) الاحكام ج١\ص٧٥.
(١٢) المزهر في علوم اللغة العربية، السيوطي ج١\ص١٦ وينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني، ص١٢، وعلم الدلالة العربي فايز الراية ص١٩. وينظر : الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى د.حامد كاظم، ص٨٥
(١٣)ينظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص٦٨٨.
(١٤) ينظر:المحصول: ح١\ص١٧٣ إرشاد الفحول: ج ١\ص١٩، الابهاج: ج١\ص١٩٦.
(١٥) دور الكلمة في اللغة اولمان: ص٧٣.
(١٦)بحوث في علم الاصول (تقرير بحث الصدر)، محمود الهاشمي ج ١\ ص٧٤ محاضرات في علم الاصول، عبد الجبار الرفاعي ج ١\ص١٢٩.
(١٧)ينظر: دراسات في علم الأصول (تقرير بحث الخوئي)، علي الشاهرودي ج ١\ص٢٩-١٣، محاضرات في علم الاصول، الرفاعي ج ١\ص١٢٩-١٣٠، بحوثه في علم الاصول، الهاشمي ج ١\ ص٧٤-٧٨.
(١٨) ينظر: بحوث في علم الاصول،الهاشمي ج ١\ص٧٥-٧٨دراسات في علم الاصول، علي الشاهرودي(تقرير الخوئي) ج١\ص٢٩-٣١.
(١٩)بدائع الأفكار: ص٢٣- ٣٨، توفى عام (١٣١٢هـ). (بدائع الأفكار: المقدمة). وينظر: البحث اللغوي عند السيد محمد باقر الصدر (قدس)،ص٣١.
(٢٠)اجود التقريرات، (تقرير بحث النائيني) الخوئي: هامش،ص١٢.
(٢١)دروس في علم الاصول: ج١\ص٢١٠.
(٢٢) دروس في علم الأصول:ج ١\ص٧٨.
(٢٣)دروس في علم الاصول: ج١\ص٧٨.وينظر: البحث اللغوي عند السيد محمد باقر الصدر (قدس)،ص٣٤.
(٢٤) المصدر نفسه: ج١\ص٧٩.
(٢٥)المصدر نفسه: ج١\ص٧٩.
(٢٦) المصدر نفسه: ج١\ص٧٩.
(٢٧)منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د.علي زوين ص ١٣٠-١٣١.
(٢٨) ينظر: اصول الفقه. محمد رضا المظفر، ص٣.
(٢٩) الخصائص ج٢\ ص٤٤٢.
(٣٠) المصدر نفسه ج٢\ص٤٤٢.
(٣١) اسرار البلاغة: ص٣٢٤-٣٢٥.
(٣٢)ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز: ص٤٩.
(٣٣) المحصول في علم اصول الفقه ج ١\ص٢٨٦، وينظر: في إنتقاده التعريفين ، المصدر نفسه ج١ / ص٢٩٠ ومابعدها.
(٣٤) أسرار البلاغة، ص ٣٠٣.
(٣٥) مفتاح العلوم، ص ٥٨٨.
(٣٦) المصدر نفسه، ص٥٨٩.
(٣٧) لسان العرب، ابن منظور، ج٧/ص١٩١.
(٣٨)الطراز ج٥١/ص١٥٥،الايضاح:ص٢٥٢،البلاغة والتطبيق احمد مطلوب:ص٣٢٢.
(٣٩) إرشاد الفحول الشوكاني ٢١.

(٤٠) ينظر: المستصفى من علم الأصول الغزالي،ج١/ ص٣٢٩-٣٣١، ومنهج البحث اللغوي، د.علي زوين، ص١٣٤.

(٤١)ينظر: الطراز ج١/ص٦٩، شرح التلخيص: القزوين:ص١٣٨.

(٤٢) الايضاح: ص٢٦١-٢٦٢.

(٤٣) ينظر: شرح التلخيص: ص١٣٧-١٤٧.

(٤٤) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث .د.علي زوين ص١٣٠-١٣١.

(٤٥) الفصول في علم الأصول ج١/ص٤٥.

(٤٦) الذريعة الى أصول الشريعة ج١/ص١٠.

(٤٧) المستصفى: ص١٨٦.

(٤٨) ينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني: ص٢٦.

(٤٩)ينظر: المحصول: ج١/ص٣٢٣.

(٥٠)القوانين المحكمة في الاصول: ص١٣

(٥١)أصول الفقه: ج١/ص١٧.

(٥٢)ينظر: اللغة ص ٢٨٨_٢٢٩.والترادف في اللغة، حاكم مالك لعيبي، ص١٠٢.

(٥٣)دلالة الألفاظ أبراهيم أنيس،١٣٢.

(٥٤)ينظر: في تفصيل هذه العلامات وشرحها: القوانين المحكمة في الاصول الميرزا القمي: ص١٣ومابعدها، كفاية الاصول، الأخوند الخراساني: ص١٨.

(٥٥)حقائق الاصول: ج١/ص١٤.

(٥٦) ينظر: من تجارب الاصوليين في المجالات اللغوية، محمد تقي الحكيم: ص٤٥- ٤٦.

(٥٧)ينظر: المصدر نفسه: ص٤٦.

(٥٨) المصدر نفسه: ص٤٧.

(٥٩)ينظر: كفاية الاصول، الاخوند،نهاية الأفكار، العراقي ص٦٩.

(٦٠) ينظر: شرح كفاية الاصول، عبد الحسين الرشتي:ج ١/ص١٤.

(٦١) ينظر: من تجارب الاصوليين: ص٣١-٣٩.

(٦٢) الظاهرة القرآنية. مالك بن تقي، مقدمة الاستاذ محمود شاكر ص٢٧.

(٦٣) الصاجي ابن فارس ص٢٢٥.

(٦٤) التعريفات، ص١٩١.

(٦٥)الكتاب ج١/ص٧.

(٦٦)ينظر: المزهر السيوطي ج١/ص٣٧٢.

(٦٧)ينظر: الكتابة ج١/ص٢٤.

(٦٨)ينظر: النوادر في اللغة.ص٢٠٦-٢٠٧

(٧٩) ينظر: في تأويل مشكل القراءات ص٤٥٥-٤٥٦.

(٧٠)المعاني الثانية في الأسلوب القرآني،د.فتحي احمد عامر ص٦٥.

(٧١) أصول السرخي: ج١/ص١٢٦.

(٧٢)دور الكلمة في اللغة، ستيفين أولمان: ص١٠٩.

(٧٣)ينظر: التعريفات،الجرجاني: ص٢١٠.

(٧٤)لسان العرب،مادة(ردف) ج ٩/ص١٤-١٦.

(٧٥)دور الكلمة في اللغة، ستيفين أولمان: ص١٠٩.

(٧٦)ينظر: المعرب، الجواليقي: ص١٦٨.

(٧٧)لسان العرب مادة مَرَدَ: ج٤/ص٤٠٧.

(٧٨)ينظر: القاموس المحيط ج١/ ص٣٣٧.

(٧٩)المزهر: ج١/ص٤٠٢.

(٨٠)ينظر: في اللهجات العربية، ابراهيم أنيس: ص١٧١.

(٨١)ينظر: المصدر نفسه: ج١/ص٤٠٥.

(٨٢) ينظر: الترادف في اللغة، حاكم مالك لعيبي: ص٨٣ وما بعدها.

(٨٣) ينظر: الترادف في اللغة: ص٨٣ وما بعدها.

(٨٤)ينظر: لسان العرب، مادة(صير): ج٤/ص٢٦٧.

(٨٥)الاحكام في أصول الأحكام، ج١/ص٢٨.

(٨٦)ينظر: الأحكام، الآمدي: ج١/ ص٢٤-٢٥.

(٨٧)المحصول: ج١/ص٢٥٣.

(٨٨)ينظر: المزهر: ج١/ص٤٠٢-٤٠٣. وينظر: فقه اللغة العربية، كاصد الزبيدي ص١٧.

(٨٩)ينظر: الأحكام، الامدي ج ١/ص٢٥،كفاية الاصول، الأخوند: ص٣٥.

(٩٠) بحوث في علم الاصول ج ١/ص١١٢.

(٩١) المصدر نفسه ج ١/ ص١١٢.

(٩٢) بحوث في علم الاصول: ج١/ص١١٢.



Muhammad Baqir Al-Sadr

And the scientific method in Al-Hawza AL-›Ilmiyya

By: Dr. Ghanem Odeh Sharhan
(Center of revival of Arabic science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

Allah has specialized in the Islamic nation with many characteristics within its characteristics that Allah save her constitution and Holy Qur›an before in addition to save the Prophet Sunnah (PBUH) because the wisdom of Allah required the law of Islam the end of the laws, the Prophet as seal of the prophets well as the greatness of Allah Almighty to Muslims He prepared for this law men who responded to the call of their Prophet (PBUH) so they vowed to inform the faithfulness that they carried on the Messenger of Allah (PBUH), especially the infallible Imams (peace be upon them), Then came the working jurists after them, they gave the tolerant sharia sciences attention, and preserved the Islamic nation with a great scientific wealth, which is indispensable for what punishes day and night. Among these scholars, the martyr Mr. Muhammad Baqir Al-Sadr (to Allah bless his soul) and to pave the way for the benefit of their work, and went to study the research and linguistic issues. The fundamentalist studies, especially the modern scholars of Najaf, distinguished the depth, comprehensiveness, accuracy and origin of the relationship between the word and the meaning. They divided the word on the one hand (meaning) on (general, shirk, tandem and contrast), while the meaning took a great deal in fundamentalist research.

The study went to study the single level and the level of negation or phrase (sentence), they looked at the level of (singularity) its true meaning. The sentence searched the meaning of the meaning and its decrease and its semantic effects in the sentence and looked at the meanings of several of them meaning of perception، the (letter) had its share of research and study.



كوركيس عواد
ودوره في توثيق التراث العراقي

د. لقاء شاكر الشريفي*

● المقدمة:

يحتل هذا النوع من الدراسات العلمية جانبا مهما في مجال الدراسات التاريخية التي تعنى بالحضارة والتراث العراقي، التي حاول علماء الغرب طمس هويتها والتنكر لحضارتها وفضلها على العلوم و الامم الاخرى[1] .

وبالرغم من أن كتابة وتوثيق التراث العراقي قد حظي بإهتمام الكثير من المؤلفين والكتاب، الا أن كوركيس عواد يظل من أبرز العلماء في هذا المجال نظرا لجهوده العلمية في التحقيق والنشر والتأليف فقد تضمنت أعماله دراسة علوم الاثار والتاريخ والبلدان وقراءة وتحقيق المخطوطات إضافة الى إهتمامه بتأليف الكتب وفهرسة المكتبات التي تولى إداراتها[2].

●المبحث الاول: السيرة والمكانة العلمية

أولا: أسمه

كوركيس حنا ججي أو كوركيس حنا خجي، من مواليد ٩ تشرين الاول عام ١٩٠٨ في مدينة الموصل مركز المدينة [3]، من أسرة عراقية مسيحية سريانية وهو القول الرّاجح حسب رأي أكثر المصادر، وقد إختلفت القابه بين كوركيس حنا أو كوركيس عواد، وكان اللقب الاخير هو أزيد ما عرف به وأشتهر في مدينة بغداد أثناء دراسته في دار المعلمين[4]، أذ قرر كوركيس حنا تغير إسمه وذلك لعدم قدرة مسوؤل البريد على إيصال الرسائل التي ترد الى كوركيس حنا لعدم تمكنه من قراءة الاسم بالشكل الصحيح، وعلى أثر هذه الحادثة تغير إسم كوركيس حنا ججي الى كوركيس عواد نسبة الى مهنة

* جامعة بغداد/مركز إحياء التراث العلمي العربي

وإشـتغال العائلـة بآلة صنع العـود حتى أن السـيد حنـا والـد كوركيـس كان من أشـهر العوادين في مدينةالموصل[٥] .

●ثانيا: صفاته

كان كوركيس عواد كريما أبيَّ النفس، متواضعا يحـب العمل وتحقيق الذات منـذ صغره، كما كان حريصـا على القـراءة والمطالعة والكتابة في كل العلـوم لاسـيما التـي أجـاد فيها وبرع معتمدا على المنهج التاريخـي الوصفي[٦] وقد سـاعده في ذلك طول بالـه وصبره في تصحيح الكثير من اخطاء مناهج اللغة العربية، أما من ناحيـة مظهره العام فقد إمتـاز بطول القامة وإعتدال الجسـم وبعينين كبيرتـين لاتفارقان النظارة وخفـة الدم وطول البـال، إضافة الى مـا كان يحملـه من خصـال وأدب جم وهدوء مفـرط ومصالحة مـع النفس ومـع الاخرين ونفس طيبة ومتواضعة وروح فياضة بالمحبة للجميع[٧].

●ثالثا: نشأته

نشـأ كوركيـس عـواد منذ الصغـر في عائلة موصلية بسـيطة إحترفت مهنـة النجارة عن الاجداد مما كان ذلك سـببا في إشـتغال والده بمهنة النجارة وتحديدا في صناعة آلة العود[٨]، إذ كان والـد كوركيـس عـواد مـن الفنانـين العراقيـين المعروفين بجمال الصوت وحسـن الخـط فضـلا عـن تميـزه في صناعـة الآلات الموسـيقية الشرقيـة إذ تميـز في صناعة الآلة المسـماة في الموصل بـ(الجنبر) وهي آلة تشبه العـود الى حـد ما، وقـد بلغ اجمـالي ماصنعه منهـا بحـدود الالـف[٩] وقد تطـورت صناعة الآلات الوتريـة على يديه لاسـيما آلـة القانون التي أبدع في صناعتها وكانت تصنع وقتها من خشـب معروف بإسـم(الدلب) صار يصنعها من خشـب الجام، ومع أواخر القرن التاسـع عشر بدأ حنا عواد بصناعة آلة(العود)، فصنع أول عـود في حياته عـام ١٨٩٠ ومن هنا بدأت شـهرة العائلة بأل(عواد) نسـبة الى آلة العود الموسيقية، وبلغت شـهرة حنا عواد في صناعة العود إنتشارا واسـعا، حتى أن العود الموصلي كان مـن ضمن مقتنيات المسـتشرق الفرنسي الشهير(لويس ماسنيون)[١٠].

●رابعا: دراسته وسيرته العلمية:

كانت علامـات المعرفة والنبـوغ واضحة على كوركيـس عواد منـذ نعومة أظفـاره، أذ كان طفلا محبا للعلم والمعرفـة، وقد تلقى تعليمه الابتدائـي في المـدارس النظامية هذا فضلا عن تعلمـه حرفة والده في صناعـة العود والعزف عليه حتى أجاد وبرع في ذلك[١١] .

وقـد تحدث كوركيس عـواد لمجلة التضامن في عددهـا الصـادر في ١٨ شـباط ١٩٨٤ عن دراسـته وذكرياتـه في الموصـل مطلـع القرن المـاضي فقال: «كانت مدينـة الموصل محدودة النظافة لا إنارة.. لا إسالة للماء كان السقاؤون يحملـون قرب الماء من نهـر دجلة ويأتون بها إلى البيوت..

كنا نعتمد في الإضاءة على الفوانيس والشـموع وبهـذا كنـا نفضـل ونحن صغـار الدراسـة نهـارا وعـدم تأجيـل الواجبات المدرسـية إلى الليل حيث نضطر للقراءة على ضوء الشـمعة والفانوس..»[١٢].

وأضاف: «كانت المدارس تعد على أصابع اليد... الطـلاب قليلـون والطرق غير معبـدة والكتب



غير متوفرة كانت الأمية هي الغالبة بحيث أن الرسالة التي كان يستلمها احدهم تطوف سبعة أحياء سكنية من أجل العثور على من يستطيع قراءتها لكن الوضع تبدل بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٨، وعرفت المدن طعم المدارس، وازداد عدد الطلاب والمعلمين وكان الطالب الذي يتسنى له إنهاء الدراسة الثانوية يعين في الحال معلما ويصبح عندئذ موظفا مرموقا في الدولة...»[١٣].

ومع بداية العشرينات إنتقل كوركيس عواد للعيش في الاقسام الداخلية ببغداد وذلك لمواصلة الدراسة في دار المعلمين، التي تخرج منها عام(١٩٢٦)، ليعمل في سلك التعليم بحدود العشر سنوات للمدة من(١٩٢٦-١٩٣٦)، وكان يعمل معلما للنحو والقراءة العربية في مدارس الموصل الابتدائية متنقلا مابين مدن بعشيقة وقرية القوش[١٤]، ولم يكن معلما تقليديا بل كان مجددا يشخص الاخطاء ويسعى الى تصحيحها كما في مجموعة من الاخطاء في منهج تعليم اللغة العربية المقرر إذ يذكر كوركيس عواد مانصه: «عندما كنت أدرس في قرية القوش في الموصل القراءة الخلدونية التي وضعها المربي الكبير ساطع الحصري عثرت على بعض الامور التي تحتاج الى التعديل والتحرير كتبت بذلك الى الاستاذ الحصري، فتعجب مدير المدرسة من جرأتي تلك وحذرني من مغبة ما أعمل وأن ذلك قد يؤدي بي الى الفصل، ولكنني كتبت الرسالة وأطلعت المرحوم ساطع الحصري على ملاحظاتي في إيراد الحروف التي لها أصوات معينة وعدم استعمال كلمات لم تدرس حروفها من قبل...»[١٥].

وبالرغم من قناعة كوركيس عواد بالملاحظات التي كتبها الى مدير المعارف العام في وقتها، الا أن ذلك أثار مخاوفه وقلقه من ردة فعل الأستاذ الحصري، وبهذا الصدد يذكر: «...وكنت قلقا على مصيري، أنتظرت ثلاثة أسابيع طويلة، ثم جاءتني رسالة من الأستاذ الكبير يقول فيها أنه أطلع على ملاحظاتي وأنني كنت مصيبا فيها وأن الطبعات المقبلة من القراءة الخلدونية ستتحاشى الخطأ»[١٦].

يتضح مما تقدم أن كوركيس عواد كان من المعلمين الأكفاء والحريصين على الاهتمام باللغة العربية وإخراجها بالمظهر اللائق، ولم يأت هذا الاهتمام من فراغ إذ كان الاخوة كل من كوركيس وميخائيل من رواد مجلس الاب أنستانس الكرملي الذي كان يضم مجموعة من النخب الثقافية أمثال(عبد الرزاق الحسني، الاديب حارث طه الراوي، يوسف غنيمة، أحمد حامد الصراف، منير القاضي، أبراهيم الواعظ، مير بصري، الدكتور داوود الجلبي، اسماعيل القاضي، مصطفى جواد، توفيق السمعاني، حنا رسام) وكان هذا المجلس مستمراً بالانعقاد في كل يوم جمعة بدير الاباء الكرمليين ببغداد حتى وفاة الاب أنستانس الكرملي بتاريخ ٧ كانون الثاني عام ١٩٤٧[١٧].

كانت الى جانب إهتمام كوركيس باللغة العربية اهتماماته بالترجمة والتحقيق مما شجعه ذلك على الكتابة والنشر في المجلات المحلية والعربية العالمية، وصدرت له أول مقالة عام ١٩٣١، في مجلة النجم الموصلية، التي كان يصدرها المطران سليمان الصائغ مؤلف



كتاب تاريخ الموصل فكانت هذه المقالة نقطة الانطلاقة الى عالم الكتابة التي تكللت بصدور كتابه الموسوم (أثر قديم في العراق) الذي طبع في الموصل عام ١٩٣٤[١٨]، وقد حظي هذا الكتاب باهتمام العديد من الباحثين والمهتمين بآثار العراق ولفت أنظار المسؤولين الى روح الباحث الحقيقي الموجودة في شخصيته فضلا عن رغبته في توثيق التراث العراقي، حيث كان ذلك سببا في نقله عام ١٩٣٦، من سلك التعليم في الموصل الى مديرية الآثار في بغداد، حيث أصبح أمينا لمكتبة المتحف العراقي فضلا عن إدارته لأقسام الترجمة والمخزن والتصوير[١٩]، وكان من ضمن متطلبات العمل الجديد أن ينتقل كوركيس عواد للعيش في بغداد بمنطقة الكرادة داخل، حيث تزوج من السيدة كريمة فتوحي توماشي المعروف بلقب أبو سهيل، ورزق منها بأربعة أولاد أثنين ذكور وأثنتين بنات كما تزوج أخوه ميخائيل عواد من كريمة بيت شنو من المسيح الكلدان، وكان يعمل معلما بمدرسة المأمونية التي كانت تقع قرب وزارة الدفاع، وتخرج العديد من الشخصيات البارزة على يديه منهم أحمد عبد الستار الجواري، الذي أصبح وزيرا للمعارف[٢٠]، بعد أحداث ثورة ٨ شباط ١٩٦٣.

تسلم كوركيس عواد إدارة مكتبة المتحف الوطني عام ١٩٣٦ وفيها من الكتب ما لايتجاوز عدده (٨٠٤) كتب غير مفهرسة ومصنفة[٢١]، وقد أخذ على عاتقه مهمة تطوير المكتبة وجعلها تضاهي المكتبات العالمية من حيث قيمة الكتب والمخطوطات النفيسة التي أضيفت اليها بجهوده الذاتية فضلا عن دوره في تطوير المكتبة من حيث نظام الفهرسة[٢٢]، إذ إشترك عام ١٩٥٠، بدورة مكتبية في جامعة شيكاغو، وقد ظل الكتاب هدفه الأساس حتى إحالته الى التقاعد عام ١٩٦٣[٢٣]، تاركا وراءه مكتبة زاخرة بالكتب، بلغ عددها حوالي(٦٠,٠٠٠) ستين الف كتاب، وقد كانت هذه المهمة الأساسية طيلة الثلاثين عاماً التي قضاها كوركيس عواد في مكتبة المتحف الوطني[٢٤]، ثم إشتغل بعدها في الامانة العامة لمكتبة الجامعة المستنصرية عام ١٩٦٤، حيث تسلمها ولم يكن فيها كتابٌ واحدٌ، وقد بذل كوركيس عواد كل جهوده العلمية لتطوير المكتبة حتى تركها عام ١٩٧٣، وفيها من الكتب مايناهز المائة الف مجلد وكتاب في مختلف الاختصاصات والموضوعات المتنوعة[٢٥]،ليتفرغ بعدها لتأليف الكتب المخطوطة التي بلغ عددها أحد عشر كتابا، هذا فضلا عن نشر أربعة وسبعين بحثا في العديد من المجلات العراقية والعربية والعالمية [٢٦].

● **خامسا: مؤلفاته:**

كان لكوركيس عواد عدد كبير من الكتب التي يشار لها بالبنان عرض فيها أهم أبحاثه وإكتشافاته في العديد من النواحي العلمية في مختلف المجالات سواء أكانت في علم اللغة أو الفهرسة والتحقيق والاثار والتاريخ[٢٧]، ولقد أشار العديد من المؤرخين الى تنوع مؤلفاته، التي كان لها أثرها في الساحة العلمية ومازالت تمثل المرجع الهام للعديد من الابحاث العلمية التي يعتمد عليها العلماء والمؤرخون إذ تجاوزت مؤلفاته المائة كتاب، كما ترجمت هذه



المؤلفـات الى العديد من اللغات منها الانكليزية والفرنسية والاسبانية(٢٨).

أولا: البحوث المنشورة في المجلات العراقية والعربية:

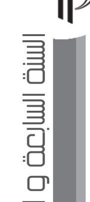
-ما طبع عـن بلدان العـراق في اللغة العربية، مجلة سومر ١٩٥٣- ١٩٥٤.
-الاسـطرلاب وما ألف فيه من كتب ورسائل في العصور الاسلامية، مجلة سومر، ١٩٥٧.
-تحقيقـات بلدانيـة تاريخيـة أثرية في شرق الموصل، مجلة سومر ١٩٦١.
-الآثـار المخطوطـة والمطبوعـة في الفلكلـور العراقي، مجلة التراث الشعبي ١٩٦٣.
-طبقـة مـن أعـلام بغـداد في القرن السـابع للهجرة، مجلـة كليـة الاداب – جامعة بغداد، ١٩٦٣.
-مشاركة العراق في نشر التراث العربي، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٩.
-المراجع عن اليزيدية، مجلة المشرق، ١٩٦٩.
-ديارات بغداد القديمة، مجلة اللغة السريانية، ١٩٧٦.
-الديـارات القائمـة في العراق، مجلـة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢.
-الورق وصناعته في العصور الاسلامية، مجلة المجمع العلمي العربي، ١٩٤٨(٣٠).

ثانيا: الكتب المؤلفة والمترجمة:

-خزائـن الكتـب القديمة في العـراق منذ أقدم العصور، ١٩٤٨.
-الديارات للشابشتي، تحقيق كوركيس عواد، ١٩٥١.
-رسـائل أحمـد تيمـور الى الاب أنسـتانس الكرمـلي، تحقيـق كوركيس عـواد وميخائيل عواد، ١٩٤٧.
-أثر قديم في العراق دير هرمز بجوار الموصل، ١٩٣٤.
-دليل خرائب بابل وبورسيبا، تأليف يوليوس يوردان، ترجمة كوركيس عواد، ١٩٣٧(٣١).
-جولة في دور الكتب الامريكية، ١٩٥١.
-بلدان الخلافة الشرقية، تأليف كي لسـترنج، ترجمـة كوركيس عواد بالإشـتراك مع بشـير فرنسيس، ١٩٥٤.
-المكتبات العامة والخاصة في العراق، ١٩٦١.
-المباحـث اللغويـة في مؤلفـات العراقيـين المحدثين، ١٩٦٥.
-التفاحـة في النحـو لابـن جعفـر النحـاس النحوي، تحقيق، ١٩٦٥.
-مقامـة في قواعـد بغداد في الدولة العباسـية، تأليـف ظهـير الديـن الكازرونـي، تحقيـق، ١٩٦٢(٣٢) .
-رسائل أحمد تيمور الى الاب أنستانس الكرملي .
-أبـو تمـام الطائي حياته وشـعره في المراجع العربية والاجنبية، ١٩٧١.
-المسـاعد، تأليـف الاب أنسـتانس الكرمـلي، تحقيـق كوركيـس عواد بالإشـتراك مـع عبد الحميد العلوجي، ١٩٧٢.
-مصادر التراث العسـكري عند العرب، ثلاثة مجلدات، ١٩٨١- ١٩٨٢.
-مصادر النباتات الطبية عند العرب(٣٣) .

ثالثا: المؤلفات المخطوطة:

- معجم الرحلات العربية والمعربة .
- أدب الرسـائل بـين عالمـي العـراق الالوسي والكرملي(٣٤).



- الاصول العربية للدراسات السريانية .
- الطعام والشراب في الاثار العربية المخطوطة والمطبوعة[٣٥] .

●سادسا: وفاته

توفي كوركيس عواد في بغداد يوم الاحد المصادف ١٩ تموز ١٩٩٢، ليسدل بذلك الستار عن حياة عالم جليل كرس حياته في خدمة بلده وتراثه وتأريخه حتى لقبه البعض بـ(قديس الأدب والتراث العراقي)، قدم باقة من أبحاث تكرس أصالة التراث العربي، والاسلامي وتكشف عن ان المسيحيين في العراق بدأوا في القرن الاول الهجري يبرّزون مآثر الفكر الاسلامي في كتب ورسائل خزنت في الصوامع والكنائس والمكتبات العراقية[٣٦].

●سابعا: آراء معاصرة

تعددت الاراء وإتفقت في شخصية كوركيس عواد، تلك الشخصية التي لم يختلف أحد على مثابرتها وحرصها .

١-الدكتور كمال السامرائي: حيث كتب عن أوجه التشابه الكبير بين كوركيس عواد وإبن النديم رغم الفارق الزمني الكبير بينهما ويرجع مبررات ذلك الى ماذكره في حديث له بمناسبة الحفل التأبيني لذكرى وفاة كوركيس عواد، أذ ذكر بهذا الصدد مانصه : «وزاد في سروري حين علمت أن هذا الحفل سيقام في قاعة أبن النديم لما بين هذا الرجل المتوفي(كوركيس عواد) وبين(ابن النديم) الذي عاش قبل الف عام هجري من صفات تتفق في أعمالهما وأفكارهما فكلاهما من بغداد وكل منهما عمل بتخصيص وتركيز في الفهرسة...»[٣٧] .

ويرجع الدكتور كمال السامرائي جذور العلاقة المتينة التي توطدت بينه وبين كوركيس عواد الى مراحل الدراسة، اذ كان الدكتور كمال السامرائي من ضمن التلاميذ الذين تعلموا على يد كوركيس عواد، ويذكر بهذا الصدد مانصه «أما أنا فتلميذه في السنوات العشر الاخيرة عرفته فيها رجلا يتصف بالتواضع والفضل والخبرة وحب الكتاب والقراءة فيه والكتابة عنه ...»[٣٨] .

٢- الدكتور أبراهيم خليل العلاف: أشاد الدكتور العلاف بعلمية ومهنية كوركيس عواد لاسيما في مقالاته ومؤلفاته وذكر بهذا الصدد مانصه: « كتب عنه الكثير وأشادوا بعلميته وبعشقه للعراق وتراثه وتأريخه ...»[٣٩] .

٣- الباحث حميد المطبعي: ورد ذكر شخصية كوركيس عواد في موسوعة أعلام العراق لمؤلفها الباحث حميد المطبعي، الذي تناول جانبا واسعا من حياة كوركيس عواد وكتب بهذا الصدد مانصه: «وأجتهد زمنا طويلا ولم يطلب شيئا لنفسه وكان يقول لاتذكروا حسناتي، وكان يصلي بعيدا عن صخب الحياة وينثر ماء الورد على وجوه تبتسم، وكان هاجسه أن يفنى بين الكتب...»[٤٠].

٤- المؤرخ عبد الرزاق الحسني: جمعت بين المؤرخ الحسني وكوركيس عواد علاقة صداقة طويلة إستمرت لمدة ستين عاما وطدتها كثرة السفرات التي جمعت بين الاثنين[٤١] أذ يذكر الراحل الحسني بهذا الصدد مانصه: «وقد طفنا العراق من شماله بزاخو الى جنوبه بالبصرة ومن شرقه في خانقين الى غربه في عانة وراوة فلم نترك مدينة أو قضاء الا وزرناه ولم يحدث بيني وبينه أي خلاف أو إحتكاك في



جميع هذه الاسفار..»[٤٢].

٥- السيد محمد عبد الرسول الطالقاني:

كان خبر وفاة كوركيس عواد عام ١٩٩٢ خبرا حزينا لم يستطع السيد محمد الطالقاني أن يحبس دموعه إزاءه فبكى بكاء النساء وحزن حزنا شديدا رغم تردي أوضاعه الصحية[٤٣]، وكتب رسالة تعزية الى ميخائيل عواد ذكر فيها: « سمعت نبأ رحيل أخينا الاكبر الاستاذ كوركيس رحمه الله وأنا أعيش في بعض النواحي التابعة لبغداد فلم أطق تحمل الرزء ومقاومة الخطب بل إستسلمت للبكاء كما تفعل النساء تماما، إذ كانت الفاجعة صدمة عنيفة وأقوى من قابليتي وقدرتي المنهارة...»[٤٤]

وتجدر الاشارة الى أن السيد الطالقاني قد جمعته مع الاخوة آل عواد صداقة ترجع جذورها الى عام ١٩٥٧، كانت تتخللها الكثير من المجالسات الأدبية والنقاشات الثقافية التي تركت بصمة واضحة في رسالة الرثاء والتي كتب فيها السيد الطالقاني واصفا شكل الصداقة التي تربطة بالاخوة العواد، ويذكر بهذا الصدد مانصه: « .. لقد عرفتكما عام ١٩٥٧ ومر على صلتنا التي لم يزدها تقادم العهد وكر الاعوام الا رسوخا خمس وثلاثون سنة لم أرَ منه – ولا منك – خلالها الا الاخلاص والحب والتقدير واللطف والاهتمام ...»[٤٥] .

٦- حارث طه الراوي: محامي وشاعر وكاتب عراقي من مواليد بغداد(١٩٢٩- ٢٠١٤)، ومن أهم أعضاء المجمع العراقي، الذي توثقت من خلاله أواصر الصداقة فيه مع كوركيس عواد، إذ كان الاخير يتردد على المجمع العلمي بكثرة ويحضر الاجتماعات الثقافية كونه أحد الاعضاء البارزين في المجمع[٤٦].

كان حارث طه الراوي من أشد المعجبين بشخصية كوركيس عواد مما جعله ذلك يتلقى خبر وفاة كوركيس عواد بحزنٍ شديد، وكتب في هذه المناسبة الحزينة قصيدةً رثاء ألقاها في حفل تأبين الراحل عام ١٩٩٢، بعنوان(راهب العلم)[٤٧]:

راهب ديره خزانة كتب
قد أعدت لعقله ما يشاء
أين إبن النديم من مجده الفخم
إذا نافس العطاء العطاء ؟
ما أضاع الوقت الثمين يلهو
يتحاشى لذاته العقلاء
وهن القلب منه والعقل ماض
في عطاء يشع منه السخاء
شرف أن يزور أستاذه الفذ
أنستانس بفردوسه ويحلو اللقاء
ذاد عن أشرف اللغات بعزم
يعربي يهفو له البسلاء
ياله من مصاول لايجارى
في نزال يعيا به العظماء
أيه كوركيس لست أنسى صديقا
أنعش الاربعين منه الوفاء
أيه كوركيس فيك يحلو لعيني
حين أرثيك يا صديقي البكاء[٤٨]

يتضح مما تقدم أن قصيدة الرثاء قد تضمنت الكثير من المعاني الدالة على المكانة العلمية المرموقة التي كان يحظى بها كوركيس عواد في قلوب محبيه لاسيما الشاعر والاديب حارث طه الراوي الذي بلغ معه الامر حد مقارنته بـ (إبن النديم) بالرغم من الفاصل الزمني بين



الشــخصيتين[٤٩]، وهذه المقارنة لها ما يبررها لاسـيما وأن كوركيـس عـواد كان مـن ضمن التلاميذ البارزين في مجالس أنستانس الكرملي الادبية والثقافية[٥٠].

●الخاتمة:

يتضح مما تقدم أن السريان كان لهم دور كبير في إثـراء ونقل الحضارة العربية مع المسـلمين الى جميـع بقـاع الارض عمومـا وفي العـراق خصوصا، ففي العراق ترك لنا السريان الكثير مـن الشـواهد والامثلـة على شـخصيات كان لهـا دور كبير في نقل المعرفـة وحركة التأليف والترجمـة في كافـة مجـالات العلـوم والاداب والفنون وكان لبغداد النصيب الاكبر منها .

و شـخصية كوركيس عواد من الشـخصيات التي أسهمت في تنشيط حركة التوثيق العلمي لحضـارة وتأريـخ وتراث العـراق، فضلا عن إهتمامـه بخزائن الكتـب، إذ أصبحت مكتبته تضـم الكتـب النـادرة التـي يقصدها طلاب العلم مـن كل مكان، هذا فضلا عن العديد من الشـخصيات الدينية والثقافيـة والادبية التي كانت تحضر الى داره أما للمناقشة أو لتستنير برأيه أو باحثين عن كتاب نادر لتكون مكتبته ملاذهم الاخير.

أن الحديث عن هذه الشخصية لايكفيه بحث قد حاول أن يسـلط الضوء على رجل وهب حياته للعلم والمعرفة مترفعا عن أي نزعة عنصرية أو طائفية ليعطي مثلا في التلاحم النسيجي الذي كان يعيشه المجتمع العراقي عامة والبغدادي خاصة .

●الهوامش

(١) أحمـد زيدان محمد: الحضـارة العربية وتأثيرها على الغرب، ط١، بغداد، ٢٠١٤، ص٢٥.

(٢) المـدى: الملحـق الثقـافي، كوركيس عـواد إنموذج للمثقف العراقي الاصيل، العدد ٢٠٣٢، السنة الثامنة، لعام ٢٠١١.

(٣) عمـر محمـد الطالـب: مجلة الموروث، موسـوعة أعلام الموصـل في القرن العشرين، العـدد ٧١، كانون الثاني ٢٠١٤.

(٤) سرمـد علي نـادر: صفحـات من تاريـخ مثقفي العراق، ط١، بغداد، ٢٠٠٥، ص٥٣.

(٥) المدى: كوركيس عواد، المصدر السابق، ص ٤.

(٦) وليـد رامي: كوركيـس عواد رائـد الثقافة، ط١، الموصل، ١٩٩٩، ص ٢٠.

(٧) عمر محمد الطالب: المصدر السابق، ص ٣٣.

(٨) عـلي أسـماعيل: رواد الموسـيقى في العراق، ط١، بغداد، ٢٠١٠، ص٥٠.

(٩) المصدر نفسه: ص ٥٢.

(١٠) المصدر نفسه .

(١١) حميـد المطبعـي: كوركيس عـواد، ط١، بغداد، ١٩٨٧، ص٥.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) المـدى: مقالـة عـن كوركيـس عـواد، المصـدر السابق، ص ١٠.

(١٤) لطيـف مـوسى سرحان: رحلة في حيـاة مثقف، مجلة التراث الشعبي، الموصل، ١٩٩٧، ص ٦٠.

(١٥) المـدى: مقالـة عـن كوركيـس عـواد، المصـدر السابق، ص ١٢.

(١٦) سـالم أيليـا: مجلة كلكامش، المفكر الموسـوعي كوركيس عواد، بغداد، ١٩٩٩، ص ٢٠.

(١٧) القادسية: صحيفة، لمحات من حياة كوركيس عواد بتاريخ ٢٣ تموز ١٩٩٢.
(١٨) حميد المطبعي: المصدر السابق، ص ٥٤.
(١٩) سالم أيليا: المصدر السابق، ص ٢١.
(٢٠) إبراهيم خليل أحمد: تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩– ١٩٣٢، البصرة، ١٩٨٢، ص ٤٥.
(٢١) عبد الرزاق الهلالي: لمحات تأريخية عن الدراسة العلمية في الخارج، آفاق عربية، العدد١، ١٩٧٩.
(٢٢) زكريا أحمد علي: تاريخ المكتبات في بغداد، مجلة بغداد، العدد٢٢، ١٩٩٩، ص ٣٤.
(٢٣) مجلة رديا كلدايا: جمعية الثقافة الكلدانية، عنكاوا، العدد ٤٨، لسنة ١٩٨٨، ص ٢٥.
(٢٤) المصدر نفسه: ص٢٥.
(٢٥) المصدر نفسه: ص٢٥.
(٢٦) المصدر نفسه: ص ٢٥.
(٢٧) باقر أمين الورد: أعلام العراق الحديث ١٨٦٩– ١٩٦٩، ج١، بغداد، د. ت، ص ٤٤.
(٢٨) المصدر نفسه: ص ٥٤.
(٢٩) زيدان علي يوسف: قراءة في مؤلفات كوركيس عواد، مجلة التراث الشعبي، الموصل، ١٩٩٥، ص ٧٦.
(٣٠) المصدر نفسه: ص ٧٧.
(٣١) المدى: مقالة عن كوركيس عواد، المصدر السابق، ص ٨ .
(٣٢) المصدر نفسه: ص ٤.
(٣٣) المصدر نفسه: ص ٢.
(٣٤) المصدر نفسه: ص ٤.
(٣٥) حميد المطبعي: المصدر السابق، ص ٣٣.
(٣٦) المدى: مقالة عن كوركيس عواد، المصدر السابق، ص ٦٠.
(٣٧) حميد رزوقي: الدكتور كمال السامرائي سيرة وتأريخ، بغداد، ١٩٩٥، ص ٧٧.
(٣٨) المصدر نفسه: ص٧٨.
(٣٩) سهيل عواد وآخرون: كوركيس عواد ذكرى وعبرة، بغداد، ١٩٩٤، ص ٣٠.
(٤٠) المدى: مقالة عن كوركيس عواد، المصدر السابق.
(٤١) عبد الرزاق الهلالي: دراسات وتراجم عراقية، بغداد، ١٩٧٢، ص ٦٥.
(٤٢) سهيل عواد وآخرون: المصدر السابق، ص ٤٣.
(٤٢) حميد المطبعي: المصدر السابق، ص ٥٥؛ المدى: مقالة عن كوركيس عواد، المصدر السابق، ص ٤.
(٤٤) سهيل عواد وآخرون: المصدر السابق، ص ٦٥.
(٤٥) المصدر نفسه: ص٦٦.
(٤٦) زبيدة جاسم: أوراق أديب عراقي، مجلة التراث الشعبي، الموصل، ١٩٩٥، ص٥٠.
(٤٧) المدى: مقالة عن كوركيس عواد، المصدر السابق،ص ٦.
(٤٨) المصدر نفسه: ص ٧.
(٤٩) المصدر نفسه: ص ٨.
(٥٠) كوركيس عواد: الاب أنستانس الكرملي حياته ومؤلفاته(١٨٦٦– ١٩٤٧)، بغداد، ١٩٦٦.

●قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

– أمين المميز: بغداد كما عرفتها، بغداد، ١٩٨٥.
– أنستانس ماري الكرملي: خلاصة تاريخ العراق، البصرة، ١٩٩١.

ثانيا: المجلات والمقالات العلمية

– صحيفة المدى
– صحيفة القادسية
– مجلة آفاق عربية
– مجلة رديا كلدايا
– مجلة عشتار
– مجلة الموروث
– مجلة التراث الشعبي



Korkis Awad

And his role in documenting the Iraqi heritage

By: Dr.Leqaa Shaker Al-Sharifi
(Center of revival of Arabic science Heritage/ Baghdad Documentation Department)
University of Baghdad

Abstract

Korkis Awad (1908-1992) is one of the outstanding pioneers in the field of cataloging Undisputed. He has been left with a remarkable role in Iraqi cultural history on the one hand and Arab and international cultural history on the other.

He has been written on various subjects including history, heritage, cataloging and linguistics. In addition to his studies in the Arabic, Syriac and Kurdish sciences, he is an abstract study free from any fanaticism, putting the imprint of the researcher for the truth.He also participated in the compilation of many books, which are considered as a basic reference for all students of science in history and heritage, His books have been translated into many languages, Hence the idea of studying the mark Korkis Awad by shedding light on his life and family and his scientific career and the most important literature and references that enabled him to lead the role in Iraq and the Arab world.



عالمات عراقيات من البصرة الى بغداد من القرن الاول الى الثامن الهجري



د. نهاد نعمة مجيد *

● المقدمة

تميزت الحضارة العربية والاسلامية بشموليتها لكافة العلوم والمعارف والفنون ورفدت العالم بانواع تلك المعارف والعلوم على اختلاف اشكالها وتخصصاتها، وترك لنا علماؤها ثروة لا تنضب ولا تنتهي الفائدة منها، ولكن ما يميزها اكثر هو احتواء مجلداتها الضخمة أعلامها الذين ورثوا لنا هذه التركة الثمينة، فمنهم العلماء الرجال وكذلك النساء وهو محور بحثنا، المرأة التي انصفها القران وجعل تعليمها مع كفة الرجل في نفس الميزان، فأبدعت وكان لها مجالس وحضور علمي واضح، ويسافر لها طلاب العلم لينهلوا من علمها الذي قد اخذته من الرسول صل الله عليه واله وسلم او من زوجاته رضوان الله عليهم، او من ابائهن او ازواجهن، حتى ورثت العلم وعلمته اولادها وابناء جلدتها.

والمرأة العراقية ليست بعيدة عن هذه المسيرة العلمية، فقد انتهلت العلم كغيرها من نساء الامصار سواء نساء المدينة المنورة، و الشام، وحتى الاندلس، وبقية الامصار الاخرى.

بحثنا هذا سيسلط الضوء على العالمات العراقيات سواء من بغداد والبصرة، والكوفة وحتى الموصل وبقية المدن العراقية الاخرى خلال العهد الاسلامي من المحدثات والشاعرات وحتى الزاهدات منهن اللاتي كانت لهن ومضات وقبسات من اقوالهن التي احتذى بها جيلها والاجيال القادمة.

* جامعة بغداد – كلية التربية للبنات



ومن هؤلاء العالمات نذكر:

● **الراويات**

- امـة السـلام بنت القـاضي أحمد بـن كامل بن خلف بن شـجرة بـن منصـور البغدادي الشـجري[١] (ت: ٣٩٠ هـ).

ولدت في رجب سنة (٢٩٩ هـ) عُرفت بتدينها وعقلهـا وفضلهـا، وعرفـت بانها امـرأة دينة وفاضلـة [٢]، روت عـن محمـد بن اسـماعيل البصلانـي [٣]، ومحمـد بـن حسـين الكـوفي [٤]، وسـماعها بخـط والدهـا [٥]، وروى عنهـا ابو القاسـم التنوخـي[٦]، والقـاضي ابـو يعلي بن الفراء [٧] واخرون[٨].

لهـا روايـة تقـول فيهـا: «أن إبراهيـم عليه السـلام نادى قائـلاً: «يا أيها النـاس، إن لله بيتـا فحجوه»، فأسـمع من بـين الخافقين أو المشرقين، فأقبل النـاس: لبيك اللهم لبيك [٩]».

توفيت وعمرها اثنتان وتسعون سنة[١٠].

توفيـت في رجـب سـنة ثلاثمئة وتسـعون هجريـة.[١١]

-فاطمـة بنـت أبـي الحسـن عـلي بن المظفر بن الحسـن بن زعبل بن عجلان البغـدادي،ام الخـير البغداديـة،(ت: ٥٠٣هـ)



ولدت سـنة (٤٣٥هـ/ م) قال السـمعاني: «وكانت شـيخة صالحة عالمـة من أهل القرآن تعلـم القـرآن للجـواري [١٢]»، وذكرهـا ابن ناصر الدين الدمشـقي بقولـه: «عُرفت بانها مقرئةعالمة تلقن القرآن الجواري»[١٣].

وهي امـرأة صالحة من أهـل القرآن والخير مـن المعمـرات، وكان والدهـا يسـكن خـان الفرس، والخان كان يتعلق بأبي الحسـن عبد الغافـر بن محمد الفارسي [١٤]. فسـمعت منه الكتب المسـموعة لـه: مثل كتـاب «الصحيح» لمسـلم بن الحجاج، وكتاب «غريـب الحديث» لأبي سـليمان الخطابي[١٥]..يقول السمعاني: «ومن جملة ما سمعت منها: كتاب «الأربعين» للحسـن بن سـفيان أبي العبـاس، بروايتها عـن عبد الغافـر، عن ابن حمـدان عنه، وجزء من أمالي الحاكم أبـي أحمد الحافظ، بروايتها عن عبـد الغافر عنه، وجزآن من حديث عبدان الجواليقـي[١٦]، الرابـع والخامـس بروايتهـا عـن عبـد الغافر، عن إسـماعيل بن عبـد الله بـن ميكال[١٧] عنـه» [١٨]، **خديجة بنت أحمد بن الحسـن بـن عبـد الكريـم النّهروانيّ بن الغبـيري [١٩]، فخـر النسـاء (ت: ٥٧٠هـ).**

سـمعت أباهـا [٢٠] وابا عبد اللـه النّعالي[٢١]، حدَّثـت بالكثـير، وكان سـماعها صحيحـاً، قال الصفـدي «وكانت صالحة مسـندة»[٢٢]، سـمع عنهـا الحديـث وحـدث عنهـا ابـن اخيهـا عـلي بـن روح الغبـيري[٢٣]،وروى عنهـا جماعة مـن العلماء منهم الشـيخ العماد المقـدسي[٢٤]. ومـن حديثها عن عائشـة عنها قالـت: [٢٥] «كان احـب الدعاء الى رسـول الله الجوامع من الدعاء» [٢٦]، سـنده صحيح[٢٧].

●**المحدثات**

ـ أسماء بنت يزيد القيسية البصرية

صحابيـة، اخذت علمها عن ابـن عمها أنس، وتتلمذ عليها سليمان التيمي[٢٨] لها، حديث في تحريم النبيذ [٢٩] و عنها قالت[٣٠]: كان رسول اللـه صل اللـه عليه والـه وسَـلَّم «لاَ يصافح

النساء»[٣١].

ـ خيرة أم الحسن البصري

صحابيـة مـولاة أم سـلمة، كانـت في المدينة وانتقلـت الى البـصرة، روت الحديـث النبوي الشريـف، وكان لهـا مجلـس علمـي لحفـظ القـران والاحاديـث النبوية اشـار الى ذلك ابن سـعد قائـلاً: «حدثنا أسـامة بن زيـد عن أمه قالت رأيت أم الحسـن تقص على النسـاء»[٣٢] روت عن مولاتها ام سـلمة روى عنها اولادها الحسـن وسعيد ابني أبي الحسن وعلي بن زيد بن جدعان[٣٣]، ومعاوية بن قرة المزني[٣٤].

- خولة بنت عبد الله الأنصارية البصرية

صحابية، روت عن الرسـول (صـل الله عليه واله وسـلم)، و عـن امها[٣٥]، قالت: سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(الناس دثـار والأنصار شـعار، اللهم اغفـر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار)[٣٦].

- حفصة بنت سيرين أم الهذيل، الفقيهة، الانصارية البصرية .

أم الهذيل البصرية

هي حفصة بنت سيرين أم الهذيل البصرية[٣٧] صحابية تابعية[٣٨]، قرأت القرآن وعمرها اثنتا عشرة سـنة [٣٩]، اخذت علمهـا عن الكثير فقد سـمعت ام عطية وروت عنها وعن وأنس بن مالك. اشـار لها الصفـدي في الوافي بالوفيات قائـلا: «كانت عديمـة النظير في وقتهـا»[٤٠]، عرف عنها بانها ثقة فاضلة فقيهة، وتوفيت في سنة (١١٠ هـ)[٤١].

● **احاديثها ورواياتها**

- عن حفصة بنت سيرين، من لبس الحرير فِي الدنيا، لم يلبسه في الآخرة.

ـ عـن حفصة بنـت سـيرين عن الربـاب عن سلمان بن عامر الضبي[٤٢]، قال: (قال رسول اللــه صــلى الله عليه وسـلم مع الغـلام عقيقة فأهروقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى)[٤٣].

ـ عـن حفصة بنت سـيرين عن أم الرائح بنت صليع عن سـلمان بن عامـر الضبي رضي الله عنه قال: (قال رسـول الله صلى الله عليه واله وسـلم الصدقة على المسـكين صدقة وعلى ذي القرابة اثنتان صدقة وصلة)[٤٤].

- عن حفصة بنت سيرين قالت قال لي أنس بن مالك حينما مات يحيى بن أبي عمرة[٤٥]، قلت بالطاعون فقال قال رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) الطاعون شهادة لكل مسلم[٤٦].

ـ عـن حفصـة بنـت سـيرين عـن أم عطيـة الانصاريـة قالت: غزوت مع رسـول الله صل اللــه عليه واله وسـلم سـبع غـزوات أخلفهم في رحالهـم فأصنـع لهم الطعـام وأداوي لهم الجرحى وأقوم على المرضى[٤٧].

ـ عن حفصة بنت سيرين عن أبي العالية قال: الصائم في عبادة ما لم يغتب.

- سبيعة بنت حبيب الضبعية البصرية

صحابيـة روى عنها ثابت البناني[٤٨]عنه قال «أن رجـلا كان عند النبي – صل الله عليه واله وسـلم فمر بـه رجل فقال يا رسـول الله اني أحبـه في الله فقال رسـول الله صـل الله عليه والـه و سـلم أو مـا أعلمتـه ذلك قـال لا قال فاذهب إليه فاعلمه فذهب إليه فقال اني أحبك في الله قال أحبك الذي أحببتني له[٤٩].

- حبابة الوالبية البصرية

صحابيـة وهـي حبابـة بنت ضيغـم الوالبية سـمعت عن رسـول الله (صل اللـه عليه واله

وسلم) وحدثت عن امها وهي شيخة أبو سلمة التبوذكي[٥٠]، الذي روى عنها الكثير و روت عن الامام علي (عليه السلام) وروى عنها ابن اختها خبرا لأبيه قالت سمعت رسول الله صل عليه واله وسلم يقول: (تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرسن شاة)[٥١].**وفرسن البعير أو الحافر من المشْيِ.**

- الرباب بنت صليع أم الرائح الضبية البصرية [٥٢].

روت عن عمها سلمان بن عامر الضبي روت عنها حفصة بنت سيرين روى لها البخاري عن حفصة عن الرباب عن عمها سلمان بن عامر الضبي عن النبي صل الله عليه واله وسلم: « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فان لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور[٥٣] ومع الغلام عقيقته فأميطوا عنه الأذى وأهريقوا عنه دما والصدقة على ذي القرابة اثنتان صدقة وصلة [٥٤].

- شعثاء بنت عبد الله الأسدية الكوفية

روت عن عبد الله بن أبي أوفى روى عنها سلمة بن رجاء و روى لها ابن ماجة روى حديثها أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك بن عثمان المقدسي وأبو إسحاق بن الواسطي وشامية بنت الحسن بن البكري قال حدثتنا شعثاء قالت رأيت عبد الله بن أبي أوفى صلى الضحى ركعتين فقالت له أم ولده ما صليتها إلا ركعتين فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم صلى الضحى ركعتين يوم فتح مكة ويوم بشر برأس أبي جهل[٥٥].

- جسرة بنت دجاجة العامرية الكوفية

تابعية ثقة، روت عن: علي بن أبي طالب، وأبي ذر الغفاري وأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم واله وسلم روى عنها: أفلت بن خليفة وعمر بن عمير بن مخدوج، وقدامة بن عبدالله العامري [٥٦].

- قمير بنت عمرو الكوفية.

صحابية تابعية ثقة، روت عن زوجها مسروق بن الأجدع[٥٧]، وعائشة زوج النبي روى عنها عامر الشعبي وزينب بنت مكي حديثها في الاستحاضة تقول «في المستحاضة تدع الصلاة أيام أقرائها ثم تغتسل مرة ثم توضأ إلى مثل أيام أقرائها فان رأت صفرة انتضحت وتوضأت وصلت»[٥٧].

راهبة الموصلية.

امرأة متعبدة، قالت لامرأة هل تدرين ما معنى {إلا من أتى الله بقلب سليم}[٥٩] ؟ فقالت لا قالت: القلب السليم الذي يلقى الله عز وجل وليس فيه شيء غير الله عز وجل[٦٠].

زينة الموصلية (ت: ٧٢٧هـ).

زينة بنت أحمد بن عبد الخالق بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن يونس الموصلية، سمعت من عيسى المطعم وابن النشو وغيرهم، روت الكثير من الاحاديث الشريفة، توفيت في شعبان [٦١].

- فاطمة بنت احمد الحسينية الحلية (٧٣٣- ٨١٣ هـ)

فاطمة بنت أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن زيد الحسينية الحلية أم الحسن أخت الشريف



نقيب الأشراف، ولدت سنة ٧٣٣هـ، سمعت على جدها لأمها القاضي جمال الدين إبراهيم ابن الشهاب محمود الحلي[٦٢] في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين، وأجاز لها المزي واخرون وحدثت بحلب، كانت عاقلة دينة وماتت في سنة ٨١٣هـ وقد جاوزت الثمانين سنة [٦٣].

آمنة بنت إبراهيم الواسطية (٦٦٤ – ٧٤٠ هـ)

امنة بنت إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطية اشار الصفدي انها ولدت تقريبا سنة ٦٦٤ هـ وسمعت أربعين الآجري[٦٤] على أحمد بن عبد الدائم[٦٥] وسمعت أيضا من والدها ومن اخرون، وتوفيت في السادس من ذي الحجة سنة ٧٤٠ هـ[٦٦].

- **الشاعرات**

سلمى البغداديّة.

شاعرة، قال الصفدي: «ذكرها القاضي أبو العلاء محمّد بن محمود النيسابوري فِي كتاب سرّ السرور الَّذِي جمعه فِي شعراء عصره، وأَوْرَدَ لَها من الوافر»[٦٧]:

عُيونُ مَها الصرّيم فداءُ عَيْني...
وأجْيَادُ الظِباءِ فـدَاءُ جِيدي
أُزَيَّنُ بالعُقودِ وإنَّ نَحْري...
لأزْيَـنُ لِلْعُقودِ مِنْ العُقودُ
وَلَوْ جاوَرْتُ فِي بَلَد ثَموداً...
لمَّا نَزَل العَذابُ عَلى ثمودِ [٦٨]

البغدادية الشاعرة

صعبة البغدادية الشاعرة؛ ذكرها أبو العلاء محمد بن محمود النيسابوري قاضي غزنة في كتاب سر السرور الذي جمعه في أخبار شعراء عصره، قال: أنشدت لها هذين البيتين [٦٩]:

أنا فتنة الدنيا فتنت حجى الورى...
كل القلوب فكلها بي مغرم
أترى محيانا البديع جماله...
وتظن يا هذا بأنك تسلم

الجوزاء بنت عروة البصرية.

شاعرة، اخوها عبد الله بن عروة البصري[٧٠]، قصيدتها التي اشتهرت بها في رثاء اخيها الذي أخذه يزيد مع عدي بن أرطاة الى واسط [٧١]، فلما قتل يزيد عدا عليهم ابنه معاوية فقتلهم وهم أسرى في يده فأنشدت الجوزاء تهجو يزيد و ترثي أخاها [٧٢]:

أيزيد حاربت الملوك ولم يكن
تلقى المحارب للملوك رشيدا

شمسة الموصلية:

شيخة عالمة وتميزت في الشعر، انشدت قائلة:

وتميس بين معصفر ومزعفر
ومكفر ومعنبر ومصندل
كبهارة في روضة أو وردة
في جونة أو صورة في هيكل
هيفاء إن قال الشباب لها انهضي
قالت روادفها اقعدي لا تفعلي [٧٣]

خرقاء العامرية:

هي من النساء الوافدات على البصرة، لم تذكر كتب التراجم والسير اسمها او نسبها جاء ذكرها على لسان محمد بن الحجاج التميمي قائلا: «حججت فلما صرت بمران جئت الى خرقاء صاحبة ذي الرمة فسلمت عليها فانتسبت لها فقالت أنت بن الحجاج بن عمرو بن زيد قلت نعم قالت رحم الله أباك عاجلته المنية من أين أقبلت فقلت حججت قالت إن حجك ناقص أما سمعت قول عمك ذي الرمة



تمام الحج أن تقف المطايا
على خرقاء واضعة اللثام»
وعلى مايبـدو كانت خرقاء جميلـة اذ وصفها التميمـي قائـلا: « وكانت قاعدة بفنـاء البيت كأنها قائمة من طولها بيضاء شـهلاء ضخمة فسـألتها عـن سـنها فقالـت لا أدري إلا أنـي أدركت شمر بن ذي الجوشن حين قتل الحسين وأنا جارية صغيرة وكان أبي قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حملات» (٧٤).

- فضل الشاعرة البصرية:
هي جارية ولـدت في البصرة, وصف جمالها وفطنتهـا ابن الجوزي قائلا: «وكانت حسـنة الوجه والجسـم والقوام أديبة فصيحة سريعة البديهـة مطبوعة في قول الشـعر. ولم يكن في نساء زمانها أشعر منها»(٧٥).
ولما دخلت على المتوكل يوم أهديت إليه(٧٦)، قال لها: أشـاعرة أنت؟ قالت: كـذا زعم من باعني واشـتراني, فضحك وقال: أنشدينا من شعرك, فأنشدته (٧٧):

استقبل الملك إمام الهدى
عـــام ثـلاث وثلاثينـا
خـلافة أفضت إلى جعفر
وهو ابن سبع بعد عشرينا

جالست الشعراء في مجلس المتوكل فألقى عليها يوماً الشاعر أبو دلف القاسم بن عيسى(٧٨):

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم
أشهى المطي إلي ما لم يركب
كم بين حبة لـؤلـؤ مثقوبة
نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فقالت فضل مجيبة له(٧٩):

إن المطية لا يـلذ ركوبهـا
ما لم تذلل بالزمام وتركب
والدر ليس بنافع أصحابه
حتى يؤلف للنظـام بمثقب

●الزاهدات والعابدات:
أمية الموصلية:
أمية بنـت أبي المـورع الموصليـة، متعبدة الى درجـة الخوف، وكانت إذا ذكـرت النار قالت: أدخلـوا النـار، وأكلوا مـن النـار، وشربوا من النار، وعاشـوا. ثم تبكي، وكان بكاؤها أطول من ذلك، وكانت كأنهـا جبة على مقلي، وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت دما وما رأيت أحدا أشد خوفا ولا أكثر بكاء منها (٨٠).

رابعـة ابنة إسـماعيل البصريـة العدوية مولاة آل عتيك.
ذكرها ابن عسـاكر قائـلا: «كانت من أعيان عصرها وأخبارها في الصلاح»(٨١).
والعبادة مشـهورة، عرفت بانهـا كثيرة البكاء والحـزن، وكانت إذا سـمعت ذكـر النار غشي عليهـا، وكانت تقـول: اسـتغفارنا يحتاج إلى اسـتغفار وكانـت ترد مـا أعطاه النـاس لها وتقـول: مـا لي حاجـة بالدنيا وكانـت بعد أن بلغـت ثمانين سـنة كأنها الخـلال البالي تكاد تسقط إذا مشت، وكان كفنها لم يزل موضوعا أمامهـا، وكان موضـع سـجودها كهيئـة الماء المستنقع من دموعها.
ومن وصاياها: «اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم»(٨٢).
ذكرهـا ابن الجـوزي في كتابه قائـلاً: وكانت من خيـار إماء الله تعالى، وكانت تخدم رابعة. قالـت: كانت رابعة تصلي الليـل كله فإذا طلع



الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول: إذا وثبت من مرقدها وهي فزعة: «يا نفس كم تنامين وإلى كم تنامين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور»(٨٣).

وكان الحسن البصري توفيت زوجته فأراد زوجة فقيل له عن رابعة العدوية فأرسل إليها يخطبها، فردته وقالت (٨٤):

راحتي يا إخوتي في خلوتي
وحبيبي دائما في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضا
وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حسنه
فهو محرابي إليه قبلتي
إن أمت وجدا وما ثم رضا
وإعناني في الورى واشقوتي
يا طبيب القلب يا كل المنى
جد بوصل منك يشفي مهجتي
يا سروري يا حياتي دائما
نشأتي منك وأيضا نشوتي
قد هجرت الخلق جمعا أرتجي
منك وصلا فهو أقصى منيتي

«إلهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل حبا لك وقصد لقاء وجهك». وتنشد (٨٥):

أحبك حبين حب الهوى
وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له
فكشفك لي الحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي
ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ومن اقوالها

ـ «ما مثلي يفطر في الدنيا».

ـ «إذا عمل العبد بطاعة الله تعالى أطلعه الجبار على مساوئ عمله فيتشاغل بها دون خلقه».

وكانت تقول لزوجها: «لست أحبك حب الأزواج وإنما أحبك حب الإخوان». وكانت تقول: «ما سمعت أذانا قط إلا ذكرت منادي يوم القيامة، ورأيت أهل الجنة يذهبون ويجيئون وربما رأيت الحور العين يستترن مني بأكمامهن». ومناقبها كثيرة رضي الله عنها(٨٦).

توفيت سنة (١٣٥ هـ). ودفنت بظاهرة القدس من شرقية، على رأس جبل، يسمى جبل الطور(٨٧).

فتحا الموصلي يقول: سمعت امرأة متعبدة عندنا تقول: إلهي وسيدي ومولاي لو أنك عذبتني بعذابك كله لكان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب، ولو نعمتني بنعيم أهل الجنة كلهم كانت لذة حبك في قلبي أكثر.قلت: هذه العابدة هي رقية.منصور بن محمد قال: قالت رقية الموصلية: إني لأحب ربي حبا شديدا فلو أمر بي إلى النار ما وجدت للنار حرارة مع حبه، ولو أمر بي إلى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبه، لأن حبه هو الغالب علي.محمد بن كثير المصيصي قال: قالت رقية العابدة، وكانت بالموصل: حرام على قلب فيه رهبانية المخلوقين أن يذوق حلاوة الإيمان، شغلوا قلوبهم بالدنيا عن الله عز وجل ولو تركوها لجالت في الملكوت ورجعت إليهم بطرف الفوائد. وكانت تقول



تفقهوا في مذاهب الإخلاص ولا تفقهوا فيما يؤديكم إلى الركوب على القلاص[88].

- أم سالم بنت مالك الراسبية البصرية

صحابية سمعت وروت عن السيدة عائشة في فضل اللبن روى عنها مولاها جعفر بن برد الراسبي وقال أبو هلال الراسبي أحرمت أم سالم من البصرة سبع عشرة مرة[89]

- عفيرة بنت واقد البصرية

صحابية: قالت: ألا أحدثكم حديثا ليس بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه إلا رجلين، أحدهما أبي ؟ كان أنس وأبو ظلال في بيت ثابت، فقال أنس: يا أبا ظلال، متى فقدت بصرك ؟ قال: وأنا صبي لا أعقل قال: ألا أحدثك حديثا حدثنيه حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل عليه السلام، يرويه جبريل عن ربه عز وجل قال: «يا جبريل، ما جزاء من سلبته كريمته»قال: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا قال: «جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي»[90]

● الهوامش والمصادر:

(١) هو أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ابن منصور البغدادي الشجري (ت: ٣٥٠ هـ) قاض، من أهل بغداد كان عالما بالاحكام والقرآن والادب والتاريخ، وله عدة مصنفات، ولي قضاء الكوفة وكان متساهلا في الحديث. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦مـ)، الاعلام دار العلم للملايين،ط٥، ٢٠٠٢، ج، ص١٩٩.

(٢) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٤٦هـ / ١٣٤٩م)، الوافي بالوفيات. تحقيق: احمد الاؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠،،ج٣، ص١٣٢.

(٣) البصلاني، نسبة الى محلة ببغداد خرج منها جماعة من العلماء، ومنهم أبو بكر محمد بن إسماعيل بن علي بن النعمان بن راشد البندار البصلاني، كان شيخ بغداد ثقة، توفي في شعبا ن سنة (٣١١هـ). ابن الجزري، ابو الحسن علي بن ابو الكرم بن محمد الشيباني (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧١م)، اللباب في تهذيب الانساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ج١، ص١٥٩.

(٤) هو ابو الطيب محمد بن حسين بن حميد بن الربيع بن مالك اللخمي من الكوفة ، محدث، مؤرخ، سكن بغداد وحدث بها، له كتاب،(مصنف في التاريخ)، كان فهما، عارفا، توفى في ذي الحجة سنة (٢٨٣هـ). السمعاني، ابو سعيد عبد الكريم بن محمد التميمي (ت:٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م) : الانساب. تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨، ج٥، ص١٣٢ ؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي (ت: ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨، ج١٢،ص٣٥٠.

(٥) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، (لا. ت)، ج١٤، ص٤٤٣.

(٦) هو القاضي محمد بن ابي القاسم علي بن المحسن بن علي بن محمد، ابو الحسين التنوخي البغدادي المعدل، شهد عند قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني فقبله. وروى عن أبيه، وغيره، مقطفات من الشعر. روى عنه: مفلح الدوني. ومات في شوال سنة (٤٩٤هـ). الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤، ص٤٧٦.

(٧) هو الامام ابو يعلي بن الفراء شيخ الحنابلة، القاضي الحبر محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي صاحب التصانيف، وفقيه العصر، روى عن علماء كثر وروي عنه الكثير، صنف تصانيف كثيرة،



وتــوفي في تاســع عشر مــن رمضان ســنة (٤٨٥هـــ) وعمــره ثمان وســبعون ســنة. ابــن العمــاد الحنبلي، عبــد الحــي بن احمد بــن محمــد (ت: ١٠٨٩ هـــ / ١٦٧٨م)، شــذرات الذهب في اخبار من ذهب. تحقيق عبــد القادر الأرنــاؤوط ومحمود الأرنــاؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦ ، ج٣، ص٣٠٦

(٨) ابــن العمــاد الحنبــلي،، شــذرات الذهــب، ج٣، ص١٣٢.

(٩) بــن أبو زمنــين، أبو عبد الله محمد بــن عبد الله، (ت: ٣٩٩هــ)، تفســير القرآن العزيز. تحقيق أبو عبد الله حســين بن عكاشــة - محمد بــن مصطفى الكنز، شركة الفــاروق الحديثة،، القاهــرة ، مصر، ٢٠٠٢م ، ج٣، ص١٧٧، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بــن هبــة الله بن عبــد اللــه الشــافعي (ت ٥٧١هــ / ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشــق وذكر فضلها وتسمية من حلها مــن الاماثل أو اجتاز بنواحيهــا من وارديها وأهلها. دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ج٩٨، ص٤٠٧.

(١٠) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٢٧، ص١٩٥.

(١١)الخطيــب البغــدادي، تاريــخ بغــداد،ج١٤، ص٤٤٦.

(١٢) التجبير في المعجــم الكبير. تحقيق: منيرة ناجي ســالم، ديوان الاوقاف، بغداد، (١٣٩٥هــ/١٩٧٥م)، ج١، ص١٥٨.

(١٣)ابن ناصر الدين الدمشــقي، شمس الدين محمد بــن عبد الله بن محمد القيــسي (ت: ١٤٣٨/٨٤٢م)، توضيــح المشــتبه في ضبط اســماء الرواة وأنســابهم والقابهــم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقســوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.، ج٤،ص١١٨.

(١٤)البغــدادي، أبــو بكــر محمــد بــن عبــد الغنــي البغدادي، تكملة الإكمــال. تحقيق: د. عبد القيوم عبد رب النبى، جامعة أم القــرى - مكة المكرمة - ١٤١٠، ج٣،ص٣٠

(١٥)هو حمد بن محمد أبو سليمان الخطابي البستي المحــدث اللغــوي المحقــق المتقن من الأئمــة الأعيان له كتاب معالم الســنن في شرح ســنن أبــي داود وغريب الحديث والأعــلام تعليقا على البخــاري. الفيروز اباد، محمــد بن يعقوب، البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة. تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٠٧.

(١٦)هــو أبــو محمــد الجواليقي القــاضي المعروف بعبــدان الأهــوازي ولــد ســنة (٢١٦هـــ)، كان أحد الحفاظ الأثبات يحفظ مائة ألف حديث جمع المشــايخ والأبواب روى عن هدبة وكامل بن طلحة وغيرهم وعنه ابن صاعد والمحاملي وغيرهم. ابن كثير، اســماعيل بن عمر بن كثــير القرشي(ت:٧٧٤هــ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية،مكتبــة المعــارف، بــيروت (لا.ت)، ج١١، ص١٢٩ .

(١٧) هــو أحمــد بن علي بن إســماعيل بــن عبد الله بن ميــكال الأمــير أبو نصر النيســابوري، توفى ســنة (٤٠٦هــ) ولم يحدث. سمع من جده. وله شعر حسن ورائــق، ومنه يقــول: وإذا الكريم مضى وولى عمره... كفل الثناء له بعمرٍ ثان الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٢، ص٤٣٥ .

(١٨) الســمعاني، التجبــير في المعجــم الكبــير، ج١، ص١٥٨.

(١٩) الذهبــي، المختــصر المحتــاج اليــه مــن تاريخ الحافظ الدبيثــي، دار الكتب العلمية، بــيروت، لبنان، (١٤٠٥هـــ/ ١٩٩٥م)، ج١٥، ص٤٠١ و المعــين في طبقات المحدثين، ج١، ص٥٣.

(٢٠) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد،ج١٧،ص٢٤٣.

(٢١) هو مســند العــراق، ابو عبد الله الحســين بن احمد بن محمد بــن طلحة النعالي البغدادي، الحمامي الحافظ، (اي يحفظ ثياب الحمام وغلته، له سماع عال صحيح، وكان فقيرا عفيفا من بيت علم، أســمعه جده مــن أبي عمر بن مهدي. الذهبي، ســير اعــلام النبلاء،



ج١٩، ص١٠١.
(٢٢) الـوافي، ج٤،ص٣٥٩ ؛ الذهبي، وفيات الاعيان، ج٣٩، ص٣٩٣.
(٢٣) أبو الحسـن علي بن روح بن أحمد بن الحسـن بن عبد الكريم الفقيه الشافعي المعروف بابن الغبيري القـاضي نائب قـاضي القضـاة ابـن الدامغاني حدث عـن عمته خديجة بنت أحمد النهرواني، وكان شـيخا صالحـا ثقـة ومـات سـنة ٦١٥. البغـدادي، تكملة الإكمـال،ج٤، ٣٤٦؛ ابن حجر، تبصير المنتبه بتحرير المشـتبه: تحقيـق ومراجعـة عـلي محمـد البجـاوي، المؤسسـة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر،(١٠٦٤ه / ١٩٦٤)، ج٣، ص١٠٢٦.
(٢٤) هـو إبراهيم بن عبد الواحـد بن علي بن سرور الشيخ عماد الدين المقدسي الزاهد القدوة الحنبلي أخو الحافظ عبد الغني ولد سـنة (٥٤٣هــ)، كان إماماً حافظاً عالماً محدثاً زاهداً عابداً فقيهاً.ابن تغري بردي النجوم الزاهرة،ج٦،ص٢٢٠، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٤، ص١٨٢
(٢٥) المقـدسي، ابـو محمد عبـد الغني عبـد الواحد المقدسي(ت:٦٠٠هـــ/ ١٢٠٠م)، الترغيـب في الدعاء. تحقيـق فـواز احمـد مـرلي، دار ابـن حـزم، بيروت، (١٤١٦هـــ/ ١٩٩٥م)، ج١،ص١٢٤.
(٢٦) (الجوامع من الدعاء) هي التي تجمع الأغراض المصلحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة.يراجع ابن الجزري، ابو السعادات مبـارك بن محمد الجـزري (ت:٨٣٣هــــ / ١٤٢٩). النهايـة في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الـزاوى - محمود محمـد الطناحي، المكتبـة العلمية، بيروت،(١٣٩٩هــ - ١٩٧٩م)،ج١،ص٣٢٤.
(٢٧) ابـن حنبـل، مسـند احمـد بـن حنبـل ، ج٦، ص١٨٩، رقم الحديث (٢٥٥٩٦).
(٢٨) هو سليمان بن طرخان التيمي البصري . أحد التابعين العُبَّاد الزهاد الحفاظ المتقين، حافظ ثقة روى عـن أنس بن مالك التابعين الكبار، أي عثمان النهدي، وطاووس، والحسـن، وثابت البناني وبكر بن عبدالله المزنـي، وغيرهم. وروى عنه، أبو إسـحاق السـبيعي، توفى ١٤٣هـ. ابن حبان، محمد بن حيان بن احمد ابو حاتم التميمي (ت:٣٥٤هـ/٩٦٥م) ، الثقات. تحقيق: السـيد شرف الدين احمد، دار الفكـر، لبنان،(١٣٥٠ هـ/١٩٧٥م)، ج٤، ص٣٠٠-٣٠١.
(٢٩) ابـن الملقـن، سراج الدين أبـو حفص عمر بن علي بـن أحمد الشـافعي المـصري (المتـوفى: ٨٠٤هـ /١٤٠١م) ، البـدر المنير في تخريـج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق: مصطفى أبو الغيط و عبداللـه بن سـليمان وياسر بن كمـال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض- السـعودية، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)،ج٧، ص٨١٠.
(٣٠) ابن حنبل ، المسند، ج٢، ص٢١٢. .
(٣١) واصـل الحديـث: كان رسـول اللـه صـلى الله عليه وسـلم لا يصافح النسـاء إنمـا كان يأخذ عليهن فـإن أقررن قـال: «اذهبـن فقد بايعتكن». السـهيلي، أبو القاسـم عبد الرحمـن بن عبد الله بـن أحمد (ت: ٥٨١هـ)الـروض الأنف في شرح السـيرة النبوية لابن هشام. تحقيق : عمر عبد السلام السلامي،: دار إحياء التراث العربي، بـيروت،(١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٤، ص٩٨.
(٣٢) ابن سعد، ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البـصري (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقـات الكبرى، دار صادر، بيروت، (لا. ت) ، ج ٩، ص٣٦٥.
(٣٣) هـو علي بن زيد بن جدعان الإمام أبو الحسـن التيمـي القرشي البصري عالم البـصرة روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وآخرين، روى عنـه قتـادة وشـعبة وغيرهم. الذهبـي، محمد بن أحمد بـن عثمان الذهبى، تذكرة الحفاظ، دراسـة وتحقيـق: زكريا عميرات، دار الكتـب العلمية بيروت، لبنان،(١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)،ج١، ص١٠٦.

(٣٤) هـو إياس بـن معاوية بن قرة المزني أبو واثلة قاضي البصرة ثقة، توفى سـنة (١٢٢هــ)، ابن حجر، أحمـد بن عـلي بن حجـر العسـقلاني (ت: ٨٥٢هــ / ١٤٤٨م)،لسـان الميـزان. تحقيق: دائـرة المعارف النظامية في الهند، ط٣، مؤسسـة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

(٣٥) ابو نعيم الاصبهاني:احمد بن عبد الله بن احمد (ت٤٣٠هــ / ١٠٣٨م)، معرفـة الصحابة. تحقيق: عادل بن يوسـف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ، ج٢٣، ص٩٥.

(٣٦) مسلم، صحيح مسلم ،ج٤، ١٩٤٨(رقم الحديث ٢٥٠٦ / باب من فضائل الانصار رضي الله عنهم).

(٣٧) العجيـلي، ابـو الحسـن احمد بن عبـد الله بن صالـح(ت: ٢٦١هــ/ ٨٧٤م)، معرفـة الثقات من رجال اهل العلم والحديـث وذكر مذاهبهم وأخبارهم، نـشر مكتبـة الـدار، المدينـة المنـورة، السـعودية، (١٤٠٥هــ/ ١٩٨٥م) ج٢، ص٤٥٠ ؛ ابن عسـاكر: ابـو القاسـم علي بن الحسـن بن هبة الله الدمشـقي (ت:٥٧١هــ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشـق وذكر فضلها و تسـمية من حلها مـن الاماثل: تحقيق محب الدين ابي سـعيد الاعمر، دار الفكـر، بيروت، ١٩٩٥ ، ج٥٣، ص١٨٦ .

(٣٨) الـدار قطنـي، ابو الحسـن علي بن عمـر الدار قطنـي البغدادي (ت:٣٨٥هـ/٩٩٥م) ، ذكر اسـماء التابعـين ومن بعدهم ممن صحـت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم. تحقيق: بوران الظناوي، بيروت، لبنان، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ج٢، ص٣٠٢.

(٣٩) ابـن حجـر، تهذيـب التهذيـب، دار الفكـر – بيروت، ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م، ج١٢، ص٤٣٨.

(٤٠) الصفدي، الوافي بالوفيات،. ج٤، ص٣٠٥.

(٤١) الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٤، ص٣٠٥.

(٤٢) هـو سـلمان بن عامـر بن أوس بـن حجر بن مضر الضبي، سـكن البـصرة،، وروى عن النبي صلى الله عليـه واله وسـلم . روى عنه محمد بن سـيرين. ابن عبد البر القرطبي، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص١٩١.

(٤٣) الترمـذي، السـنن، ج٤، ص٥٠ (باب الاذان في اذن المولود رقم الحديث ١٥١٥).

(٤٤) ماجـة، أبو عبد الله محمد بـن يزيد القزويني (ت:٢٧٥هــ / ٨٨٨م)، سـنن ابن ماجـة. تحقيق: محمـد فؤاد عبـد الباقي، دار الفكر، بـيروت،(لا. ت)، ج١، ص٥٤٢ (رقـم الحديث ١٦٩٩ باب ما جاء على ما يستحب الفطر).

(٤٥)هـو يحيى بن سـيرين أخو محمد بن سـيرين بـصري مولى أنـس روى عن أنس بن مالـك روت عنه حفصة بنت سـيرين. البخاري، التاريـخ الكبير، ج٨، ص٢٧٥.

(٤٦) الحميـدي، محمـد بـن فتـوح، الجمـع بـين الصحيحـين البخاري ومسـلم. تحقيق: علي حسـين البـواب ، ط٢ ، دار ابـن حـزم – لبنـان، بـيروت، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، ج٢، ص٤٢٠.

(٤٧) العقيـلي، ابو جعفر محمد بـن عمر بن موسى (ت: ٣٢٢هــ/ ٩٣٣م)، الضعفـاء الكبـير، تحقيـق: عبـد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج٢، ص١٦٠ .

(٤٨) هو أبو محمد ثابت بن أسـلم البناني البصري، عالم من البصرة صحابي تابعي وثقه اصحاب السـير والتراجم، سمع وروى عن بن عمر وابن الزبير وصحب انس بن مالك أربعين سـنة وكان من أعبد أهل البصرة وبنانة الذي نسـب إليه وهو بنانة بن سعد بن لؤي بن غالـب روى عنه وروى له البخاري ومسـلم وأبو داود والترمذي والنسـائي وابن ماجة، توفي سنة (١٢٧هـ) وهو ابن ست وثمانين سنة. ابن حبان، محمد بن حيان بـن احمد ابو حاتـم التميمي (ت:٣٥٤هــ/٩٦٥م)، الثقات. تحقيق: السـيد شرف الدين احمد، دار الفكر، لبنـان،(١٣٥٠ هـ/١٩٧٥م) ج٤،ص٨٩ ؛ أبو حفص



عمر بن شاهين .
(ت: ٣٨٥ هـــ - م)، تاريخ أسـماء الثقات. تحقيق صبحي السـامرائي ، الدار السلفية ، الكويت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، ص٦٠.
(٤٩) ابـن حنبـل، أبو عبـد الله احمد بـن محمد بن حنبل(ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسـند سـنن النسـائي الكـبرى. تحقيـق: عبـد الغفـار سـليمان البنـداري وسـيد كسروي حسـن، دار الكتـب العلميـة، بيروت (١٤١١هـ/ ١٩٩١م). ج٦، ص٥٤.
(٥٠) هـو مـوسى بن إسـماعيل المنقرى، أبو سـلمة التبوذكـى البـصري (اشـتهر باسـمه وكنيتـه مـن اتبـاع التابعين، ثقة صحيح الحديـث، وثقة اصحاب السـير والتراجـم، روى عنه الكثير مـن العلماء منهم البخاري و الترمذي و النسـائي توفي ودفن في البصرة سـنة (٢٢٣ هـ) ، الذهبي: شـمس الديـن محمّد بن أحمـد بـن عثمان بن قايمـاز التُّركمانـي، (ت: ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م)، سـير أعلام النبلاء، تحقيق شـعيب الأرناؤوط، ومُحَمَّد نعيم العرقسـوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٣ ، ج١٩، ص٣٤٥.
(٥١) الترمـذي: أبو عيـسى محمد بن عيسى الترمذي السـلمي (ت: ٢٧٥هـــ/٨٨٨م) ، الجامـع الصحيح سـنن الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر و اخرون، دار احيـاء الـتراث العربـي، بـيروت، (لا.ت) ج٤، ص٢٣٤ رقـم الحديـث ٢١٣٠ (بـاب في حث النبي صلى الله عليه وسلم على التهادي).
(٥٢) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب،ج١٢، ص٤٦٤.
(٥٣) الترمذي، السـنن، ج٣، ص٧٨ (رقم الحديث ٦٩٤ باب ما جاء ما يستحب عليه الافطار).
(٥٤) المـزي، يوسـف بـن الزكـي عبـد الرحمن بن الحجـاج المـزي (ت: ٧٤٢هـــ/١٣٤١م)، تهذيـب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسـة الرسـالة، بيروت، (١٤٠٠هـــ/ ١٩٨٠م)، ج٥٢، ص١٧١.
(٥٥) المزي، تهذيب الكمال،ج ٣٥، ص٢٠٦.
(٥٦) م. ن، ج٩٥، ص١٨٢ .
(٥٧) مسروق بن الاجدع.
(٥٨) البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسـين (ت: ٤٥٨ هــ / ١٠٦٥ م) ،سـنن البيهقـي الكـبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (١٤١٤هـــ - ١٩٩٤م) ، ج١، ص٣٤٦ رقـم الحديث (١٥٢٢).
(٥٩) سورة الشعراء: آية ٨٩.
(٦٠) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج٤، ص١٩٢.
(٦١) شذرات الذهب،جج٦، ص٢٦١
(٦٢) ابن الوردي، التاريخ، ج٢، ص٣٣٢.
(٦٣) ابـن حجـر العسـقلاني، انبـاء الغمـر، ج٦، ص٢٥٦.
(٦٤) نسـبة الى أبو بكر الآجري أبـو بكر محمد بن الحسـين بن عبد الله الآجري الفقيه الشافعي المحدث صاحب كتاب الأربعين حديثا وهي مشـهورة به وكان صالحا عابدا توفي سنة ٦٢٤ هـــ. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص٣١٠.
(٦٥) هو ابو الحسـن عبد الدائم بن الحسـين الهلالي الحورانـي ثم الدمشـقي المؤذن، آخـر أصحاب عبد الوهاب الكلابي، توفي سـنة ٤٦٠هــ عن ثمانين سنة سنة إحدى وستين. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٤، ص٢٥٠.
(٦٦) الوافي بالوفيات، ج٣، ص ٢٩٨ .
(٦٧) م. ن ، ج٥، ص١٩٨.
(٦٨)، ج٥ ص١٩٨.
(٦٩) م. ن، ج٥ص٢٤٦
(٧٠) ٩٨ م. ن، ج٥ص٢٩٧
(٧١)ابـن كثـير، اسـماعيل بـن عمـر بـن كثـير القرشي(ت:٧٧٤هــ/ ١٣٧٢م)، البدايـة والنهايـة، مكتبة المعارف، بيروت (لا.ت) ج٩، ص٩٦ .



(٧٢)ابن كثير، البداية ، ج٩، ص٩٦-٩٧.
(٧٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص٢١٢.
(٧٤) الاصابة، ج٤، ص٣٠٢.
(٧٥) الدر المنثور، ج٢، ص٩٩.
(٧٦) جلبت فضل الشاعرة، من البصرة، فاشتراها رجل من النخاسين يقال له: حسنوية بعشرة الاف درهم، وبلغ خبرها محمد بن الفرج الرخجي أخا عمر بن الفرج الرخجي، فاشتراها وأهداها الى المتوكل. ابو الفرج الاصبهاني، الاماء الشواعر. تحقيق: نوري حمودي القيسي ويونس احمد السامرائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م)، ص٦-٧ .
(٧٧) ابو الفرج الاصبهاني، الاماء الشواعر، ص٧.
(٧٨) هو أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي عرف بشجاعته وسخائه وفصاحته اضافة الى انه شاعرا وله شعر كثير. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،، ج١٢، ص٤٢٢ .
(٧٩) ابو الفرج الاصبهاني، علي بن الحسين الاموي الاصبهاني (ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، الاغاني. تحقيق:علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة، لبنان،(لا.ت)، ج٩، ص٢٠٥.
(٨٠) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج٣، ص٧٣.
(٨١) ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت:٥٧١هـ/١١٧٥م) ، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها و تسمية من حلها من الاماثل: تحقيق محب الدين ابي سعيد الاعمر، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ج٦، ص٢٣٥ .
(٨٢) ابن الجوزي، الدر المنثور، ج١، ص٢٨٤.
(٨٣) جمال الدين أبو فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي (ت: ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) صفوة الصفوة . تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، (١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م) ج٢، ص٤١٩ .
(٨٤) ابن الجوزي ، م. ن، ج١، ص١٨٥ .
(٨٥) ابن الجوزي، م. ن ، ج١، ص١٨٥.
(٨٦) ابن الجوزي، م. ن ، ج١، ص١٨٥.
(٨٧) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، (لا.ت)، ج٣، ص٤٠٧ .
(٨٨) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج٣، ص٣٦.
(٨٩) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج١٢، ص٤٩٦.
(٩٠) معجم ابن الاعرابي، ص٤٢٩.



Iraqi women scientists from Basra to Baghdad

From the first century to the eighth century (AH)

By: Dr. Nihad Neamah Majeed
College of Education for woman/ University of Baghdad

Abstract

The research pointed to Scientists who supported Arab and Islamic civilization in various fields of science They were an inexhaustible and endless wealth that included men's scholars and women had a share of it So the focus of the research centered on caring for the knowledge-able Iraqi woman, whether from Baghdad, Basra, Kufa, and even Mosul and the rest of the other Iraqi cities during the Islamic Epoch, Pointing to flashes and snapshots of their words, which were followed by later generations, Among the research classifications are the section of female scientists and female narrators performers, poets, ascetics and worshipers With the mention of their names and a brief summary of their lives and what was mentioned in their tongue or an incident in their period.



تصنيف العلوم عند الإغريق
تصنيفات أرسطو وأفلاطون إنموذجاً



د.يمينة هلالي*

●مقدّمة

يقتـضي البحـث في مسـألة تصنيف العلوم ضرورة الانطـلاق من التراث العلمـيّ في قراءة أفقيّة تهتمّ بتطوّر العلوم. فقد كشـف تاريخ العلوم عن مدى إسهام كلّ حضارة في سلسـلة المعارف تأثّرا وتأثيراً لأنّ المعرفة الإنسـانيّة حصيلة المسيرة العلميّة ماضيها وحاضرها ومسـتقبلها. ففهم نظريّة رياضيّة معيّنة يتطلّب وجوباً العودة إلى تاريخها تأصيلا لأسسـها وضبطا لمكانتهـا في الفكر القديم والمجهودات السـابقة. فالعلم يُعدّل ذاته بفضل النسبيّة ويُصحّح الأخطاء الّتي انبنت على أنقاضها تصوّرات علميّة جديدة تتواصل مع السابق هدماً وبناء.

يبحث تاريخ العلوم في تعليل الأشياء ومبادئها والعلم بالوقائع وعللها وتسلسلها ويُبرز مناهج العلماء القدامى وأساليبهم المعتمدة منذ أجيال. فلتاريخ العلوم علاقة بالظواهر الاجتماعيّـة لأنّه يوفّـر متطلّبات المجتمع ويخلق حاجات جديـدة، فتصبح العلاقة بين تاريخ العلوم والمجتمع علاقة وطيدة لأنّ الأوّل أصبح وسـيلة لمعرفة مدى نضج الثاني ووعيه وتقدّمه.

تكشـف عمليّـة الحفر في الـتراث العلميّ عن مدى إسـهام العلماء في التقـدّم بداية من الحضارات القديمة ودراسـة تطوّر العقليّة العلميّة. ويسجّل تاريخ العلوم الالتقاء بين حضارتـيْن تأخذ الثانية عن الأولى للتميّز والإضافة، وسـنتبيّن هـذا التواصل المعرفيّ من خلال البحث في وعي الثقافة الإغريقيّة بتصنيف العلوم.

---

* باحثة في مجال الحضارة العربية-الجمهورية التونسية



اولاً : التصنيف مفهوما

١. مادّة (ص، ن، ف) معجميّا واصطلاحيّا

ارتأينا التوسّـل بجهاز مفهوميّ دقيق لتحقيق مُقاربـة تضمن قـدراً من العلميّـة في تناول هذا المبحـث. لأنّ لمـادة (ص، ن، ف) في اللغة العربيّة دلالة معجميّة على تمييز الأشـياء والتفريق بينها فالتصنيـف في لسـان العـرب «تمييـز الأشـياء بعضها عن بعض[١]».

إنّ لمفهوم التصنيف علاقات دلاليّة مع مرادفات لغويّـة أخـرى مثل مـادّة (ر، ت، ب) من ترتيب ورُتبة ومرتبة وهي في لسـان العرب «المنزلة عند الملوك ونحوهـا وهي المنزلة الرفيعـة»[٢]، و(ب، و، ب). يقـول سـيبويه: «بيّنـت له حسـابه بابا وبابـات الكتاب وجوهه وطرقه»[٣]، و(ن، ظ، م) الّـذي يدلّ على التأليف «فكلّ شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض، فقد نظمته[٤]، أمّا مادّة (ق، س، م) ففيها معنـى تجزئة الشيء «ويُطلق التقسـيم على معان منها مرادف القسـمة سواء أكانت قسـمة الكلّ إلى أجزاء أم قسـمة الكلّيّ إلى جزئيّاته حقيقيّة أو اعتباريّة»[٥].

يشـتغل التصنيـف عـلى الجزئيّـات المندرجة ضمن الـكليّ، وانطلاقًا من سـمات التباين بينها يمكن ترتيبها فـإن كان تباينها بالذاتيّات كانت أنواعـاً وإن كان بالعَرَضيّات كانـت أصنافاً، أمّا إذا كان بالـذات والعـرض معاً سُـمّيت أقسـاماً لارتباط التصنيف بعناصر شـأن الأفراد والأنواع والأجناس.



يـؤوّل التصنيف إلى «ترتيب التصوّرات بحسـب ما سـبقها في سـلّم صاعد من الأفـراد إلى الأنواع إلى الأجنـاس فأجنـاس الأجناس حتّـى نصل إلى جنس أعـلى هو جنس الأجناس»[٦]، وتسـتوجب عمليّـة التصنيف تَحقّق جملـة من الشروط التي تجعله تصنيفًا بالمعنى الدقيق للكلمة إذ «يُشترط في التصنيـف ثلاثـة تضمـن صحّتـه، وهـي أن يسـتنفذ كلّ التصوّرات الكليّة التي يشتمل عليها التصوّر، وأن يكون التشابه بين الأنواع الموجودة في مرتبة أكـبر منه بين الأنواع في مراتب مُختلفة. وأن يكون أسـاس التصنيف واحداً طوال عمليّة التصنيف»[٧].

تبـدو تلـك المـواد اللغوّيـة متقاربـة في المعاني مُتفاوتـة في الأصل تقييـدا وإطلاقا فهي تترادف وتتقـارب في بعـض الدلالات منهـا التجزئة لكن بينها بعـض الفوارق المعنويّة. وسـننتخب منها مفاهيم الترتيب والتمييز والتقسيم وهي مفاهيم نزعـم أنّهـا تلائـم الثقافـة الإغريقيّة الّتـي يُعدّ منهجها منهجا تمييزيّا إقصائيّا بميله نحو الكلّيّ لأنّ مفهـوم الكثرة والتعدّديّة داخلها لا يعتبر من محدّدات الكمال معنى ومبنى. وسـنتبيّن لاحقا أنّ الدلالات: « ترتيب» و« تمييز» و « تقسيم» تلتئم منها العديد مـن مفاهيم الثقافة الإغريقيّة لأنّنا لم نجد لبقيّة الدوائر المفهوميّة مثل التبويب والتصنيف صـدى في هذه الثقافة، فـإلى أيّ حدّ حافظـت الثقافة العربيّـة الوريثة في تعاملها مع المعارف على تلك المفاهيم؟ وإلى أيّ حدّ سـاهمت في إغنائها وتطويرها نظريّاً وإجرائيّاً؟

٢.علاقة مفاهيم الترتيب والتمييز والتقسيم بمفهوم العلم

كان مفهـوم العلـم مادّة لهذه المفاهيم شـكلاً ومضموناً،وهـو مبدئيـاً نقيـض الجهـل. إنّـه مصطلح ذو مجال واسع ومُطلق. والعلم في عُرف الفلاسفة إدراك الكليّات وفي عرف العلماء «يُطلق عـلى معان منهـا الإدراك مُطلقاً تصـوّراً كان أو تصديقاً يقّينيّـاً أو غير يقينيّ»[٨]. ورد في المعجم الشـامل لمصطلحات الفلسـفة أنّ العلـم «إدراك الـكلّيّ مفهومـا كان أو حكمـا وإدراك المركّـب تصوّراً كان أو تصديقاً وإدراك المسائل عن دليل. المسائل التي يقتدر بها على استعمال موضوعات بغرض معيّن ويقال لها الصناعة أيضا»[٩].

لقـد قسّـم الحكمـاء العلـم إلى قديـم وهو علم الله، وحـادث وهو بديهـيّ لا يحتـاج إلى تقديم

كالعلـم بأنّ الـكلّ أكبر مـن الجـزء، والضروريّ بالحـواس الخمـس والاسـتدلاليّ وهو مـا يحتاج إلى تقديـم كالعلم بثبوت الصانـع[١٠]. أمّا صاحب التعريفات فذهب إلى أنّ العلم في معناه المطلق هو «الاعتقاد الجازم المُطابق للواقع»[١١]، أي أنّنا نظنّ شيئا معيّنا يتأكّد مع الواقع وهو «زوال الخفاء من المعلوم»[١٢] بمعنى الظاهـر والجليّ والبيّن الّذي لا نحتاج إلى تعريفه باعتباره متداوَلاً ومعروفاً.

قـدّم الجرجانـي (٨١٦هـ/١٤١٣م) تعريفـات يتجـاوز بعضهـا التعريـف اللغـويّ ويختلـف باختـلاف المذاهـب والـرؤى، كأن يذهـب الغزالي (ت٥٠٥هــ/١١١١م) إلى اعتبـار العلـم حاملاً معنى الحـدس وعلاقة النفـس بالحقيقة، ويقدّم جُملـة مـن العلوم يكـون مُنطلقهـا الثنائيّة التي ذكرنا من علم قديم يحمل صفة الله بما هو العالم الأزليّ وعلـم مُحدث وهو علم الإنسـان لنخلص إلى أنواع متعدّدة من العلـوم وهي: أوّلاً، العلم الإلهيّ ومحـوره الإلهيّات التي لا تحتـاج إلى مادّة لإثبات وجودها بما أنّها ورائيّات. وثانياً، العلم الانطباعيّ الّـذي تكون فيه معرفة الشيء إثر حصول صورته في الذهـن. وثالثاً، العلم الحضـوريّ الّذي يتمّ عن طريـق الحـدس. ورابعـاً، علم اليقـين أي إعطاء الدليـل على صحّـة تصوّر مـا. فالعلـم بالتصوّر يتـمّ في الذهن دون الحاجـة إلى دليل عكس العلم بالتصديـق. وإذا أضيف مصطلح علم إلى نوع من المعرفة فهو محمول على ذلك التخصّص بالإضافة والتقييـد مثـل علـم المعاني وعلـم البديـع وعلم الـكلام والعلم الطبيعيّ والعلم الاسـتدلاليّ والعلم الاكتسابيّ والعلم الفطريّ[١٣].

نُـدرك من خلال تفريـع معاني العلـم ومُلحقاتِه طبيعـة الترابط بـين معانـي الترتيب والتقسـيم والتمييـز باعتبارهـا أنشـطة نظريّـة وعمليّـة وتوسّعاً لمعاني العلم مادّةً قابلةً للتنظيم والترتيب والتقسـيم، أوّلاً لأنّـه يلـوّح أنّ كلّ علـم يحمل في داخلـه ما يميّـزه عن غيره من العلـوم، وثانيا لأنّ التحليل والمقارنة والقدرة على التمييز بين مكوّنات هـذه المعاني المختلفة التي تُجيـز في حال التئامها وبروزهـا القرائن الشـكليّة المنظوماتيّة فتفترض الحديـث عـن العلـوم علماً علمـاً ومـا ينبني من عناصر مُتجانسـة أو مُغايرة. فإلى أيّ مدى يتجلّى ذلك في الثقافـة الإغريقيّة على النحو الّذي وصلتنا عليه؟

ثانياً : مكوّنات الثقافة الإغريقيّة وسماتها

لكلّ ثقافة مكوّناتها الموضوعيّة والذاتيّة، والثقافة الإغريقيّة لا تشـذّ عن هذه القاعدة وإنّما تؤكّدها. وقـد تميّزت هـذه الثقافـة كغيرها مـن الثقافات بجملـة مـن المحـدّدات منها مـا ارتبـط بتصوّر الإنسان لنفسه أو لغيره، ومنها ما ارتبط بتصوّره لعلاقتـه بالطبيعة والكون، وهـذه المناحي الثلاثة تكون على ضربيْن: ماديٍّ يتجسّد في جملة الأدوات والآلات التقنيّة التي يستعملها الإنسان في معاشه، ومجرّدٍ ذهنيٍّ من قبيل الفلسـفة والدين والشعر. ممّا يدفعنا إلى النظر في مكوّنات الثقافة الإغريقيّة بحثـاً عـن سـمات تصنيفيّة بـدءاً من الفلاسـفة الأُوَل ومعارفهم العلميّة علّنا نكتشـف بوادر وعي بالتصنيـف. وسـنعتمد في ترتيبنا هـذه المكوّنات ما يمكن أن نسـتخلصه من جمع الإسـكندرانيّين لكتب أرسـطو (ت٣٢٢ ق.م) ومـا ضبطوه تحت عنـوان (أرغانون) أي الآلة حسـب فضل بعضها على بعض تراتبيّاً.

١. حظّ الأوائل من الوعي بظاهرة التصنيف

إنّ مـا حقّقتـه الحضارة المصريّة من اكتشـافات تهـمّ مبحـث الطبيعة (مثـل الاهتمـام بظاهرتيْ الكسـوف والخسـوف) صاحبـه جهـل بالعلـل المُنتجة لها، فكانت تُسـقط عليها تفسـيرات تعود إلى السـحر والطقوس الدينيّة. واطّلع الإغريق على مـا توصّلت إليه الحضارات السـابقة من معارف وإن لم تفسّر تفسـيراً منطقيّاً ولـم تتبلور حينئذ عديـد المفاهيم مـن قبيل الجوهر والمـادّة والعدل والعنـصر والذرّة والقوّة «وكانـت الكلمات تعقب التفكير، ومن ثمّ فقد كان من المسـتحيل أن يُعبَّر عـن الفكـر الفريد تعبـيراً واضحاً ودقيقـاً»[١٤]،



فالأفكار كانت موجودة والاهتمام بالظاهرة كبير مهما تنوّعت، لكنّه اهتمام افتقر إلى منهج مضبوط وتمييز واضح بين الأفكار حتّى أنّه لم يُميَّز بين الفلسفة والعلم من جهة وبينهما والدين من جهة ثانية.

تقترن الملاحظة بتفسيرات ميتافيزيقيّة يُرمى إليها بسببيّة الظواهر، إلاّ أنّه وجب الانتباه إلى أنّ غاية الفلاسفة الأُول كانت معرفيّة تنحُو نحو تجاوز الجهل. يقول أرسطو: «وهكذا فلمّا كان هدف الفلاسفة الأُول من تعاطي الفلسفة هو التخلّص من الجهل، فبديهيّ أنّ سعيهم إلى العلم كان لغاية المعرفة وحدها وليس لغاية نفعيّة»[١٥]. فأبو الهندسة كما يسمّى أو طاليس الملطي متنبّئ ناجح بكسوف شوهد في آسيا الصغرى (سنة٥٨٥ ق.م) لكنّه لم يُدرك الأسباب الحقيقيّة الكامنة وراء تلك الظاهرة. وقد حمل إلى بلاد الإغريق إثر زيارته إلى مصر مناهج علميّة قيّمة للقياس، ثمّ يتوقّف عطاؤه حسب ما نقله أرسطو الّذي يعزو إليه أنّ جوهر الأشياء هو الماء، ولعلّ ذلك راجع إلى الأسطورة القائلة إنّ المحيط أبو الأشياء كلّها دون التوصّل إلى الأسباب الدافعة لمثل هذا الحكم. أمّا أناكزيمندر Anaximander فقد ذهب إلى أنّ العنصر الأوّل في الأشياء هو الأبديّ Infinite ومنه «نشأت كلّ السماوات وما فيها من عوالم»[١٦]. وفي مجال الأجرام السماويّة اعتقد أناكزيمندر أنّ «الشمس عجلة تبلغ في حجمها حجم الأرض ثماني وعشرين مرّة وأنّها أشبه بعجلة مركبة حربيّة، تجويف إطارها مليء بالنار وتظهر النار في نقطة معينة من خلال فتحة كما لو كانت من خلال فوهة منفاخ»[١٧] وأنّ الأرض معلّقة في الفضاء شُكّلت في صورة اسطوانة لسبب ما.

أمّا أناكزيمينيز Anaximens ثالث فلاسفة مدرسة ملطيّة فقد ذكر أنّ «الجوهر الأساسيّ واحد وأبديّ، ومع ذلك لم يقل إنّه لا محدود مثل أناكزيمندر، بل محدّد وهو «الهواء» الّذي نشأت منه الأشياء الموجودة والتي كانت موجودة والتي سيكون لها وجود وخُلقت منه الآلهة والأشياء المقدّسة. في حين أنّ غيرها من الأشياء نشأت من أنسالها»[١٨]، فالهواء أصل الأصول أمّا كلّ أصل آخر فهو أصل الفروع.

لم تتطوّر تأمّلات هؤلاء الفلاسفة الثلاثة إلى حين ظهور فيثاغوراس Pythagoras الّذي جمع بين الدين والفلسفة، فأساس الأشياء عند الفيثاغوريّين الأرقام. «لقد كان لفيثاغوراس تأثير كبير على أفلاطون وكان له تاريخ طويل في صورته الأكثر روحانيّة»[١٩]، فالفيثاغوريّون هم الذين وضعوا أسس الفيزياء الرياضيّة ومن ثمّ يمكن الحديث عن نظريّة علميّة رغم اعتقادهم أنّ في الأرقام شيئاً مقدّساً. إنّها تتقدّم العناصر الأولى للطبيعة: النار والتراب والماء لأنّهم يعتقدون أنّ العالم تناسقٌ أو رقمٌ وأنّ داخل الأرقام ذاتها أفضليّة للأرقام الزوجيّة.

ومع هرقليطس أفسوس Heraclitus of Ephesus المرء لا يمكن أن يخوض نفس النهر مرّتيْن لأنّ «الوحدة هي التنوّع وما هو أساسيّ ليس مادّة بل تفاعلٌ، والصور التي يطرحها لهذا التفاعل هي صور لنهر أو للهب. ويمكن القول إنّ هذه الأشياء ثابتة ومتغيّرة في آن معاً»[٢٠]. إنّ الوجود بالنسبة إلى هرقليطس مرتبط بالحركة التي بُني عليها الكون، والإنسان إنّما هو جزء من القانون العام لهذا الكون وفي ذلك وعيٌ بثنائيّة الكلّ والجزء.

ويرى امبدوكليز Empedocles أنّ العالم مؤلّف من مادّة بل من أربعة فصول roots أو عناصر: النار والهواء والماء والطين إضافة إلى النضال والحبّ أو الجذب والتنافر، وهما قوّتان تمثّلان علّة التغيّر والحركة التي تمتزج هذه العناصر تحت تأثيرها. لكنّ آناكزاجوراس Anaxagoras لم يؤمن لا بأصل واحد ولا بأربعة أصول أو عناصر، بل ذهب إلى أنّ المادّة ليست سوى «سلسلة مُتعاقبة من عناصر



مُتداخلــة Continuum»[٢١]، يحتوي كلّ عنصر منها عــلى جزء مــن العناصر الأخــرى، والعلاقة بينها علاقة تمازج لا تفاضل. وقد وصف أرسطو هــذا الفيلســوف بأنّه «أشــبه بشــخص في كامل وعيه وســط حشــدٍ من الســكارى»[٢٢]. ويذهب ليوسيبوس Leucippus مخترع النظريّة الذريّة إلى التأكيد على أنّ كلّ شيء مكوّن من ذرّات وفراغ (أي اللاشيء) في تنظيمات مُختلفة.

لقــد ابتدع الفلاســفة الأُول الكثــير من مبادئ العلوم الأساســيّة لكن لم يذهبوا إلى أبعد من ذلك في تطبيقاتهم «فما من شكّ في بلوغهم اكتشافات هامّــة في الفلــك والميكانيــكا والطــبّ، ولكن كان الاتجاه بوجه عام نحو النظريّة والتأمّل والابتعاد عــن التجربــة والمشــاهدة»[٢٣].حدّ العجــز عــن التفسير المنطقيّ لعلل الظواهر التي تفطّنوا لها. وفسّر البعض توقّف الفكر الإغريقيّ عند الحدود النظريّــة بأنّ ثقافة الإغريق كانت أرســتقراطيّة، فالعمــل وإجراء التجارب لا يليق إلاّ بالعبيد، على أنّ أمبيدوكليــز في قمّــة أرســتقراطيّته كانــت له أنشطة وسقراط عمل في شبابه عالم فيزياء.

لا تنفي هذه النظريّات المتقاربة حيناً والمتضاربة حيناً آخــر الوعي بالتمييز بين العناصر وترتيبها وفق ســلّم الأفضليّــة. فتفطّــنُ طاليــس لثنائيّة الأصل والفــرع وتوصّلُ أناكزيمينيــز إلى هرميّة هذه الثنائيّــة التي تُنبئ بعقليّــة تفاضليّة وفكر تمييــزيّ قــادا طاليس إلى البحث عــن حقيقةٍ ما تكون أساس كلّ شيء.

إنّ مجــرّد التفطّــن إلى حتميّة وجــود جوهر أوّل يعني نوعاً من الوعي بالتراتب والإحساس بحدود التفاضل. فمن الفلاســفة من جعل الماء في المرتبة الأولى للوجــود ومنهــم مــن فضّل الأبــديّ، كذلك الشــأن بالنســبة إلى الفيثاغوريّــين الذين جعلوا أفضليّةً داخل الأرقام وهو تصنيف يُفصح عن لا محدوديّة الأرقام الزوجيّة مقابل الأرقام الفرديّة.

لقــد تعدّدت المجــالات المعرفيّة التي خاض فيها الفلاســفة الأُول لكنّنا ارتأينا أن نبحث فيما ارتبط منهــا بالمعــارف العلميّة ومــا تضمّنتــه من وعي بالتمييــز والتفصيل والتقســيم والترتيب لارتباط هــذه المســألة بتصنيــف العلــوم داخــل الثقافــة الإغريقيّــة التــي ســنحاول التعمّــق في مكوّناتها بالاستناد إلى مؤلفات أفلاطون وأرسطو.

٢.المكوّنات

اعتمدنا في دراسة مكوّنات الثقافة الإغريقيّة بعض مؤلّفــات أفلاطون وأرســطو التي رســمت صورة واضحــة عن ثقافة اليونان فضلاً عن كونها روافد تكوينيّة استُســيغت إلى حدّ لا بــأس به في الذهنيّة العربيّة على أساس أنّها مُنتظمة ومُكتملة ومُلتئمة. ومن دوافع اختيار أفلاطون وأرسطو أنّهما يكوّنان حدّيْ الثقافــة الإغريقيّة كما تعاملت معها الثقافة العربيّة في طور مبكّر من أطوار تكوينها[٢٤].

والثقافة مجموعة من الأجناس بتشكّلاتها الفنيّة والفلســفيّةوالعلميّة. إنّهــا مجموعة من الأقوال النظريّة والعمليّة بينها شيء من التمفصل سنسعى إلى البحــث في مظاهرهــا وصورهــا وتجلّياتهــا والعلاقــات التي تُبنى فيما بينها من جهة التداخل والترابط أو فكّ الترابط. فإلى أيّ حدّ كانت عناصر الثقافة الإغريقيّة ملتئمةً ومتجانسةً؟

إنّ مــا وصلنا من مؤلفات أفلاطون وأرســطو هو جماع إنتاج جملة من المكوّنات الذاتيّة والخارجيّة التــي ســيكون تقديمنا لها وفق ترتيــب زمنيّ أي وفق أسبقيّة ظهورها.

أ. السفسطة والجدل[٢٥]

يمكــن الحديث عن السفســطة انطلاقًا من بنية المحــاورة الأفلاطونيّة، فالهــدف الأوّل من التفكير الفلســفيّ بالنســبة إلى أفلاطون هو «تكوين قول منظّــم يســتطيع الحكــم بواســطته عــلى الأقوال الأخرى»[٢٦]، تجعــل البنية الحواريّــة المقابلة بين الأفــكار كتابــاً مفتوحا بالإمــكان أن نميّــز بينها اختلافــاً وائتلافــاً، لِم لا «والفلســفة بالنســبة إلى



أفلاطون هي قبــل كلّ شيء قول، ولكنّ هذا القول يريد أن يضع نفسه الحَكم بين الأقوال الأخرى من ناحية، ويبني القول الحكم المتماســك منطقيًّا من ناحية أخرى»[٢٧].

يضعنــا الجدال بين قولين: القول السفســطائيّ مــن ناحية والقول الســقراطيّ مــن ناحية ثانية، والمقارنة بــين القولين يمكن أن تصل إلى تمييز أو طلب غير مباشر للتمييز من قبل أفلاطون للقارئ الّــذي يجد نفســه مع القــول السفســطائيّ أمام ســؤال تليه إجابة سريعة غير دقيقة، إجابة يمكن أن تؤدّي إلى طرح ســؤال ثان حتّى يُنسى الســؤال الحقيقــيّ لأنّ هدف السفســطائيّ إقنــاع المُحاور بأفكار مسبقة ومحاولة إجباره على تبنّي المواقف ذاتها التي يتبنّاهــا هو. إنّه يدّعي معرفة كلّ شيء فيختلــف تماماً عن القول الســقراطيّ الّذي يركّز مُحاورته على السؤال المطروح ويفرّق بين السؤال عديم الفائدة والســؤال الحقيقيّ الّذي يكون مبنيًّا على معرفة حقيقيّة للأشياء.

عندمــا يبــدأ ســقراط الحــوار يكون غــير مالك للمعرفة شــأنه شــأن الطرف الآخر فهو لا يدّعي معرفــة، ويعتمــد في حواراته ما يســمى بالتوليد السقراطيّ الّذي يسعى من خلاله إلى دفع المُحاور إلى التمييــز بــين الوهــم والحقيقة. يقــول: «لكنّ الفائــدة الرئيســيّة لفنّي هــي أنّه يجعلنــا مؤكّدا قادريــن عــلى التثبّــت إن كان ذهن الشــاب يولّد وهما كاذبــاً أو ثمــرة حقيقيّة وفعليّــة»[٢٨]. وإن بدا ســقراط أثناء الحوار غير مالــك للحقيقة فإنّ توصّــل مُحــاوره إليها يكون بــوازع وتوجيه منه للحــوار. يقول: «إنّني لم أعلّمهم أبداً شــيئاً وإنّهم عثروا بأنفســهم على كثير من الأشــياء الجميلة في أنفســهم وولّدوها وهذا أمر واضح وضوح النهار ولكــن وإن ولّدوهــا فذلــك بفضل اللــه وبفضلي أنا»[٢٩]. ففي محــاورة بروتاغوراس (٣٣٦-٣٣٤ ق.م) طلب ســقراط من بروتاغــوراس الاختصار في الإجابــة فرفض بروتاغوراس وحاول ســقراط حينئذ الانســحاب معلّلا موقفه بأنّه أراد مناقشــة خُطبة لا سماعها، وهو ما يعكس وعياً بالفرق بين المناقشــة والخُطبة كنوعيْ قول، ووعي بالاختلاف بين الســؤال الســقراطيّ والســؤال السفسطائيّ. يقــول ســقراط في المحاورة (٣٣٦) «إنّ المناقشــة في رأيــي المتواضــع شيء يختلف تمامــاً عن إلقاء خطبة»[٣٠].

ويُعدّ نقد القول السفســطائيّ مظهرا من مظاهر الوعــي بالتمايــز والاختــلاف عبر الوعــي بما هو أفضل، فبالنســبة إلى أفلاطون «السفسطة كزينة والزينــة تملّــق» وفي ذلــك دحض ونقد وتشــهير بالسفســطائيّة لبلوغ الحقيقة والدقّة لأنّ الهدف من الدحض «هو فصــل القيم الحقيقيّة عن القيم الكاذبــة وبالتــالي تصحيحهــا وتعريفهــا تعريفاً فلســفيّاً يرتكز على معرفة طبيعة الأشــياء لا على وصف خاصيّاتها»[٣١].

يذهب ســقراط إلى أنّ الحبّ مثــلاً ليس في مرتبة الإله ولا في مرتبة الإنسان فهو بين بين: بين ثنائيّة يجمعهــا التناقض وهــي الآلهة والنــاس والقبح والجمال والمعرفة والجهل والفقر والغنى، فالحبّ نشــأ من متناقضات والفكــر الإغريقــيّ واع بها. أمّــا أفلاطون فقد أراد من خــلال إدراجه الحبّ في نظريّاتــه ومحاوراته أن يبيّن الفــوارق بين نظرة الفيلســوف الثاقبــة للحــبّ ونظــرة الآخريــن أي السفســطائيّين والشــعراء والأطباء وغيرهم، إنّها تعتمــد العواطــف، وهــو اختلاف ينمّ عــن عقليّة إغريقيّة تمييزيّة.

يبــدو الدحض ضروريّا لإبــراز الفوارق إذ يرتكز عليه فــنّ الحــوار المُقــترن بالدّيالكتيكيّــة. يقول أفلاطــون: «فالمنهج الديالكتيكــيّ هو وحده الّذي يُمكنــه أن يرتفع إلى المبــدأ الأوّل ذاته كما يضمن سلامة نتائجه، وهو وحده القادر بحقّ أن يخلّص عين النفس مــن وهدة الجهل الفــادح التي تردّت فيهــا، ويرفعهــا إلى أعلى مســتخدماً في هذا العمل مــا عددنــاه مــن فنــون»[٣٢]. وفي محــاورة بــين ســقراط وأنيتوس حول الفضيلة إن كانت تُتعلّم



أجاب سقراط أنّ السفسطائيّين هم معلّموها وردّ أفلاطون على لسان أنيتوس بالرفض واصفا إيّاهم بأنّهم «الأذى الواضح والدمار المُبين لمن كان لابدّ له من التعامل معهم»(٣٣)، وأضاف على لسان سقراط زاعما الدفاع عنهم: «ما هذا يا أنيتوس؟ هؤلاء هم الأشخاص الوحيدون الذين يدّعون أنّهم يعرفون كيف يصلحوا من أمرنا، ومع ذلك هم يختلفون كثيرا عن البقيّة ليس فحسب في أنّهم لا ينفعوننا كما ينفعنا غيرهم عندما يضع المرء نفسه بين أيديهم، بل لأنّهم على النقيض من ذلك يفسدوننا. ولقاء هذا هم بالفعل يطلبون أجراً ولا يكتمون المطالبة به. وأنا كفرد من الناس لا يمكنني أن أصدّقك لأنّني أعرف واحداً منهم هو بروتاغوراس Protagoras الّذي جمع مالاً وفيراً من هذه الحكمة يفوق ما جمعه فيدياس Pheidias عن كلّ أعماله المجيدة التي قام بها»(٣٤).

استُخدمت عبارات مثل «الزعم» و «الدمار المُبين» و «لا ينفعوننا» و «يدّعون» و «يفسدوننا» وفيها ترتيب ضمنيّ لقول السفسطائيّين في المرتبة الأدنى ممّا ينمّ عن ذهنيّة تمييزيّة فالجدال حجاجيّ بالنظر إلى الفكرة ونقيضتها. إنّه نشاط عقليّ يساعد على التصنيف تساهم فيه فكرة الاختلاف. وها هو أفلاطون يواصل سخريته على لسان سقراط متسائلاً: «هل لنا أن نفترض طبقاً لما تقول أنّهم كانوا يعرفون أنّهم كانوا يخدعون ويصمّون الشباب، أم أنّهم كانوا يخدعون أنفسهم؟ وهل يحقّ لنا أن نعتبر هؤلاء مخبولين في الوقت الّذي يعتبرهم فيه البعض أحكم البشر قاطبة؟»(٣٥)، ثمّ يُضيف على لسان أنيتوس «لا شيء سوى أنّهم مخبولون يا سقراط، والشبّان هم أكثر خبلا لأنّهم يدفعون لهم أجراً، بل وأكثر منهم خبلاً أقاربهم الذين يضعون الشباب أمانة في عنقهم. وأكثر الجميع خبلاً المدن التي تسمح لهم بدخولها ولا تلفظهم سواء أكان من يحاول أن يقوم بمثل هذا الشيء غريباً أم مواطناً»(٣٦).

لم يكن دفاع أفلاطون عن السفسطائيّين سوى دفاع مصطنع ووسيلةً لمزيد حثّ أنيتوس على شتمهم. فقد استطاع القول السقراطيّ بواسطة الحوار أن يدحض القول السفسطائيّ ويبيّن قصوره عن الوصول إلى المعرفة الحقيقيّة. فأثينا كانت «تزخر بالسفسطائيّين إبّان انتصارها لأنّ الجوّ السياسيّ الديمقراطيّ السائد فيها آنذاك يخوّل للخطابة أن تُمارَس وللسفسطائيّة أن تتبلور، فالقول السفسطائيّ يُعين الشعب على الخطابة والجدل والمناقشات والبيان والسياسة».(٣٧)

إنّ الجدال هو اللّجاج أيضا وهو «عبارة عن مراء يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها»(٣٨)، فالمجادلة هي المُخاصمة والمُنازعة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم. والجدل هو القياس المؤلّف من مقدّمات مشهورة أو مسلّمة ويُسمّى «صاحب هذا القياس جدليّا ومُجادلاً Dialecticien. أمّا الغرض من الجدل إن كان المُجادل سائلاً مُعترضاً فهو إلزام الخصم وإسكاته وإن كان مُجيباً حافظاً للرأي فهو أن لا يصير مُلزماً من الخصم».(٣٩) وقد قسّم أفلاطون الجدل إلى جدل صاعد يتدرّج من الإحساس إلى الظنّ ثمّ إلى العلم الاستدلاليّ ومنه إلى التعقّل الخالص، وجدل نازل ينزل بالتفكير من المُثل إلى ما دونها. والجدل في نظر الفلاسفة صنف من الصيغ المنطقيّة يحذو حذو الصيغ الأخرى مثل الشعر والخطابة والسفسطة والبرهانيّة اليقينيّة. لكنّ المقدّمات الجدليّة هي أقوال مقبولة الصحّة على أساس اشتهارها أو على أساس إجماع الأغلبيّة عليها فتنوب شهرتها عن اليقينيّة. تتمثّل خاصيّة الجدل في أنّه يقتضي خصمَيْن فآليّات القياس ليست موجّهة صوْب الاستنتاج بقدر ما هي لغاية إبطال رأي أو الانتصار لآخر. إنّ ما نستعمله جداليّا لا يتمثّل في تحصيل علم كان مجهولاً فالجدل سجاليّ احتجاجيّ.

يقول أفلاطون في محاورة فيليبوس philebus «لن تكون هنالك على الإطلاق طريقة أفضل من



طريقتي المفضّلة، ولو أنّها غالباً ما تتخلّى عنّي وتتركني لا حول لي ولا قوّة وقت الحاجة، هي أب كلّ ما يُكتشف من فنون. في كلّ بحث علينا أن نبدأ بوضع صورة لما هو موضوع البحث وسنجد هذه الوحدة في كلّ شيء فإذا ما وجدناها يمكننا أن نتّجه بعد ذلك إلى البحث عن شيئيْن اثنيْن، لو كان هناك اثنان أو لم يكن فعن ثلاثة أو أيّ عدد آخر، مجزّئين أجزاء تشكّل وحدة حتّى نشاهد في النهاية الوحدة التي بدأنا بها ليست شيئا واحداً أو عدّة أشياء أو عدداً لا حصر له من الأشياء فحسب بل أيضاً عددٌ محدّدٌ. ويجب ألاّ نعزو اللانهاية إلى الكثرة حتّى يُكتشف العدد الكامل للنوع الوسط بين الوحدة واللانهاية»[٤٠].

يدعو أفلاطون إلى الإجراء الصحيح للجدليّة ويرى أنّ الجدل «أب الفنون» فكثيراً ما يُردّد الرأي في الجدليّة و « المنهج الجدليّ» في محاوراته، و «لعلّ كثيراً من المحاورات الأولى قد كُتبت بالأخصّ لتسجيل مُحتوى المُناقشات الفعليّة مع سقراط الّذي لم يترك هو نفسه من بعده أيّة كتابات واستناداً إلى ذلك فإنّه يلاحظ أنّ الجدليّة هي جدليّة سقراط والهدف من البحث هو وضع تعريف «للاعتدال» في محاورة خارميديس charmides، وفي محاورة لاخيزوسير كانت الغاية «هدم» المحاولات المتعاقبة»[٤١].

تكشف المحاورات عن ثُنائيّة الهدم والبناء ومن ثمّ «التوليد السقراطي» وهي طريقة البحث التي ترتكز عليها نظريّة التذكّر. إنّها بحث جماعيّ يتوسّل الحوار ويُجبر المخاطَب على أن يجد في نفسه الحقائق المطلوبة، فحوار البحث عن العلّة الأولى في الفيزياء وصل حدّ التمييز الواضح بين العلّة المزعومة والعلّة الحقيقيّة أي بين القيمة المزعومة والقيمة الحقيقيّة، وكان من الواضح أنّ هذه العلّة لا تكمن في «الأشياء» كوضع العلل الفيزيائيّة بل في الفكر «لوغوا» logoi، فالعلّة الأولى عند أفلاطون المثال لأنّ المُثل هي الوحيدة التي تستطيع أن توحّد التعدّد، وفهم سقراط الأوّل كان «دحضاً لمزاعم الفيزيائيّين الذين يعتبرون أنّ العلّة الأولى تكمن في عنصر ماديّ كالماء والنار وغيرهما، ودحضاً لمزاعم أنكساغورس بتوحيد هذه العلل في العقل أو الروح وبيان أنّ ذلك لا يعدو أن يكون ادّعاءً لأنّه لم يستطع تحديد هذا العقل وإعطائه قيمته الحقيقيّة (أي ربطه بمبدأ الأفضل)»[٤٢].



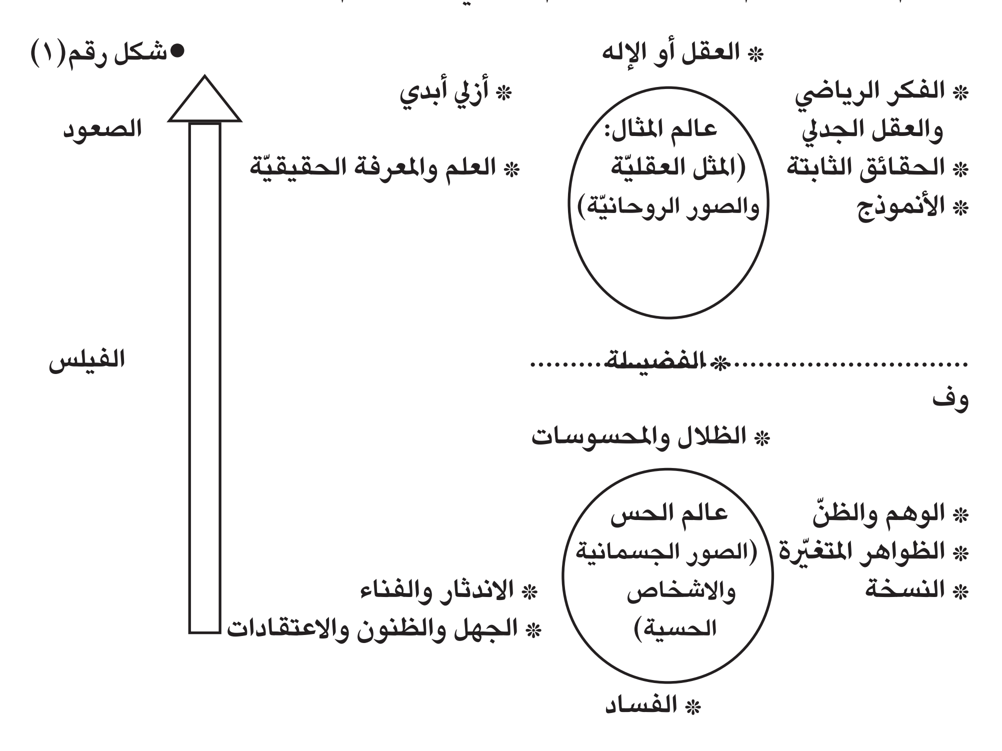
تُعدّ النّقائص التي يستخلصها سقراط من خلال محاورات الفلاسفة الأُول ونقده لهم دحضاً وإن كان ضمنيّاً فهو هدم فكرة أو موقف وتوليد موقف مغاير وبناء فكرة جديدة. والفلسفة عند أفلاطون تُنصّبُ نفسها «حَكماً» بين الأقوال الأخرى فتدحضها.

ب. القول الفلسفيّ

مصطلح فلسفة مشتقّ من «فيلوسوفيَا اليونانيّة وتفسيرها محبّة الحكمة. وكان فيثاغوراس أوّل من سمّى نفسه فيلسوفاً وعرّف الفلاسفة أنّهم الباحثون عن الحقيقة. تأمّلَ الأشياء ووصف الحكمة بأنّها المعرفة القائمة على التّأمّل. أمّا أفلاطون فعرّف الفلسفة على أنّها علم الواقع الكلّيّ وجعل حبّ الحِكمة علما»[٤٣]. واستند في عرض آرائه إلى المحاورة التي تقوم على ثلاثة أصول: أوّلها الأخذ بعنصر المسرح من أشخاص وأحداث تجري في زمان ومكان مُعيّنيْن وتُعرَض عرضاً مشوّقاً يستأثر باهتمام القارئ يكون فيه سقراط الشخصيّة الرئيسيّة، وثانيها الشرح ويقوم على الخطاب والقصّة المليئة بالرموز الموحية، وثالثها الجدل وهو ما ساعد على فهم القول السفسطائيّ، فالجدل هو: «النقاش الّذي يدور بين أشخاص المُحاورة حيث تتوضّح آراء أفلاطون وآراء أهل زمانه جميعا»[٤٤].

نتبيّن فلسفة أفلاطون من خلال التعرّف على نظريّتيْ هرقليطس وبارمنيدس، فبينما يرى الأوّل أنّ الحقيقة هي التغيّر وأنّ كلّ شيء يحمل ضده معه حيث يجتمع الوجود والعدم في كلّ شيء وأنّ التغيّر هو الحاجز أمام وصول العقل إلى إدراك الحقائق الثابتة، يذهب الثاني إلى أنَ الوجود واحد وساكن وأبديّ ممّا يجعل الحقيقة

عقليّة والمُدركات الحسّـيّة ذات أهميّة بسـيطة لأنّها مُتغيّرة ومتعدّدة وكلّ ما كان متغيّرا لا مجال فيه إلى معرفة الحقيقة. وقد اعتقد أفلاطون أنّ كلّ شيء في العالم المحسـوس يتبدّل ويتغـيّر لكنّـه لم يؤمن بقيام العلم على المحسوسـات وحدها، وميّز بـين الوجود الحقيقيّ والوجود الحسّي فخرج بمحاولة إثبات عالمَيْن: عالم العقل أو عالم المُثل وهو العالم الحقيقيّ وعالم الحسّ أو عالم الظلال وهو العالم الوهميّ.(شكل رقم ١)



إنّنـا إزاء مفاضلة بين عالمَيْن يكون فيهما المحسـوسُ أدنى مرتبة مـن المعقول ونظريّة المُثل نُقطة الانطلاق لفلسفة أفلاطون.

وقـد رسّـخ نظريّتـه في الأذهـان عبر تشـبيهه المعروف باسـم أُمثولـة الكهف الّـذي نمثّله بالرسم(شكل رقم٢).

●شكل رقم(٢)

الكهف	الظلال	السجين	الاشياء المرئية	الثابت والحقيقي
العالم المحسوس	المعرفة الحسية	الإنسان	الانواع والاجناس	المُثل

في هــذه الأُمثولــة الفلاســفة وحدهم هــم الذين تجاوزوا المحســوس والمُتغيّر ووصلــوا إلى العالم المعقــول أي إلى الخــير في ذاته والجمــال في ذاته. إنّهــا تعكــس عقليّة تمييزيّــة تفاضليّــة تُنَصِّب الفيلســوف في المرتبــة الأولى باعتبــاره الوحيــدَ القادر على كــسر قيود العالم المحســوس. يقول أفلاطــون عــن منزلة الفلســفة في ســلّم العلوم: «يتوسّــط الفيلســوف الطريق بين العلم والجهل والأمر بالفعل، فلا وجود لإله مُنشغِلٍ بالتفلسف أو تأخذه رغبةٌ في اكتساب المعرفةِ فهو متملّكُها».[٤٥] لهذه العقليّة التمييزيّة صدى كبيرٌ لدى أرســطو إذ ميّــز بين الوجود الطبيعــيّ وما وراء الطبيعة. ورغم أن ثمّة موجودات ثابتــة فإنّ عِلمها يُدْعى علم مــا وراء الطبيعة «أمّا الموجــودات الطبيعيّة فوجودها الماديّ مُتحقّق في الحقيقة والذهن معاً. وكلّ مادّيّ مُتحرّك حركتُه محسوســة بالفعل أو بالقوّة. والأجســام الطبيعيّــة مُركّبة من مبدأيْن: أوّلاً الهيــولي وهي مادّة أولى تشــترك فيها جميع الأجســام من حيث كونها أجســاما ولكنّها مادّة غير معيّنة بحدود وأشــكال. وثانيــا الصورة[٤٦] تُعيّن الهيولي وتُعطيها ماهية خاصّة»[٤٧] فالكائن الطبيعــيّ مُكوّن من هيولي وصورة وهو ما يدعّم وجود العقليّة التمييزيّة.

يميّــز أرســطو ضمن حديثــه عن المحــرّك الأوّل للوجود بــيْن صنفيْن: المُتحرّك بنفســه والمتحرّك بفعــل عــدّة قــوى يحــرّك بعضهــا بعضــاً مثل الإنســان والشــمس اللذيْن يتحرّكان بفعل قوى متعــدّدة. وقد اعتبر المحــرّك الأوّل عاقلا لا يعقل إلاّ ذاته وكلّ معقــولٍ آخر ناقص وليس للمحرّك الأوّل أي نشــاط طبيعيّ بل ينحصر كلّ نشــاطه في كونــه مفكّــراً فهــو في جوهــره حيــاة وروح. وعندمــا لا يخضع الفكر للحواسّ والخيال يكون موضوعــه أشرفَ الموضوعــات وأســماها. ضمن هــذه الأفضليّــة يكون الإلــه المحــرّك الأوّل الّذي يعتــبره أرســطو عقــلاً لا يعقل إلاّ ذاتــه. يقول: «أمّــا فيما يتعلّق بالأجســام المنقولة فإنّه يَحسُــن بنا أن نناقــش بادئ الأمر مُعضلة. فــإذا كان كلّ متحرّك إنّما يتحرّك بفعل شيء ما، فكيف تتواصل حركة بعض الأشــياء من قَبيل تلك التي لا تتحرّك بذاتها دون أن يلامســها المحــرّك؟ ومن ذلك مثلاً القذائف»[٤٨].

والنفوس لدى أرسطو أصناف: نفسٌ ناطقة تكون للإنسان وحده يكون فيها العقل غير متّحد بالمادّة ولهذا يدرك الماهيات محسوسة ومعقولة، والإرادة قــوّة نزوع إلى الخير المعلــوم بالعقل وهي روحيّة كالفضيلة. ونفسٌ حاسّة متّصلة بالجسم مباشرة تحتوي تراتبيّة فكلّما ارتقت أنواع الحيوان ارتقت وظائــف النفــس وتعــدّدت بواســطة الإحســاس (الحواس الخمس) والحسّ المشــترك (ينتهي إليه الإحساس الظاهر فهو قوّة تؤلّف بين الإحساسات) والمخيّلة (تساعد على تفسير الإحساسات بواسطة الصــور المحفوظة) ثمّ الذّاكرة (خاصّة بالإنســان وحــده). ونفسٌ ناميــة تكون في النبــات والحياة والحيوان وهي الأدنى.

أمّــا منهــج أفلاطون في المعرفة ففيــه جدل بعمليّه الصاعد والنازل. ويــرى أنّ المادّة أو الهيولي في الكون إنّما كلّ منها مبدأ غــير منظور وغير ملموس تخرج عنه جميع الصور الجزئيّــة وإليه تعود، ويعتبر هذا المبدأ وســطاً بين الكائن والعدم. وأنّ الكون لن يكون له انقضاء لأنّ النفس التي تحرّكه لا تموت. تنمّ هذه الوسطيّة عن فكر ترتيبيّ تمييزيّ. وقد رتّب أفلاطون النفس إلى ثلاث قوى: العقل في الرأس والشــجاعة في القلب والشهوة الحسيّة في البطن.

ج. القول العلميّ

يعتــبر ســقراط في محــاورة تيتاتــوس أنّ المعرفة العلميّــة صحيحــة أمّا تلــك التي يكــون موضوعها المحسوســات فهي متغــيّرة ومتعدّدة لذلــك لابدّ من الانفصــال عن العالم المتغيّر وربط صلة وثيقة بعالم المُثل أو عالم المعقولات. ويذهب أفلاطون في تيتاتوس إلى أنّ الرياضيّــات هــي الفكــر المجــرّد وأنّ معرفة طبيعــة العدد لا تكــون إلاّ بالعقل فــلا دخل للحسّ



فيهـا، وفي ذلـك تمييز وفصل ضمنيٌّ بـين عالميْ المُثل والحسّ.

إنّ الوصـول إلى الفكر الريـاضيّ يكون بتجاوز العالم المحسـوس أمّـا الفيزياء فتتنـدرج ضمن خانـة الظنّ الصادق. يقول في تايمـوس: «وهكذا إذن أقول رأيي: إذا كان العلم والظنّ الصادق جنسـيْن مختلفيْن يجب أن نمنـح حتما صفـة الوجود لهذه الأشـياء في ذاتها. وهي حقائق لا نسـتطيع النظر إليهـا ولكنّنا ندركها فقـط. وإذا لـم يتميّز الظـنّ الصادق عـن العلم كما يظهـر لبعضهـم، يجب أن توضـع كلّ الأشـياء التي تراها بواسـطة الجسـم هذه المرّة وكأنهـا هي الأكثر يقينـاً، والحال أنّه لابـدّ لنا أن نقـول إنّ هناك نوعيْن يختلفـان لأنّهمـا مميّـزان بمصدريْهمـا ومتباينـان بخاصيّتيْهمـا: فأحدهمـا يُولَـد فينا فعـلاً عن طريق التعلّـم والآخـر نتيجةَ الإقنـاع. أحدهما يكـون دائماً مرفوقاً بالعقل الحقيقـيّ والآخر دونَ عقل. وأحدهما لا يزعزعـه الإقنـاع والآخر يتغـيّر بـه»[49]. يكفي أن نتوّقف عند بعض العبارات مثل «جنسـيْن مُختلفيْن» و «يتميّـز» و «نوعيْن» و «مميّـزان» و «خاصيّتيْهما» حتّـى نتبـيّن العقليّـة التمييزيّـة التي تنـمّ عن وعي بالاختلاف وباسـتقلاليّة العنـاصر بعضها عن بعض لنخلُـص إلى ثنائيّـة: العلم والظنّ الصـادق من جهة واليقين والوهم من جهة ثانية.

اهتـمّ أرسـطو «بالجانـب الإدراكيّ للعلـم» وأنماط الـشرح التي يجـب أن تهيّئ الإطار لبلـوغ الحقائق. يقـول في الفيزيـاء: إنّ «شـأن العمـل الماهر كشـأن الطبيعـة، فـإذا كان العمـل الماهر يسـعى إلى هدف، فإنّ طبيعة الأشـياء تسـعى هي أيضاً إلى هدف»[50]. إنّـه وعي بنقاط الاختلاف والتماثـل بين العمل الماهر والطبيعـة، فالفيزياء ليسـت علماً اعتباطيّـاً إنّما هي بحث في الحقيقة.

نلاحـظ عقليّـة تمييزيّـة ترتيبيّـة في مؤلّف (أقسـام الحيوانـات) لأرسـطو وتحديداً في الكتـاب الأوّل منه حيث يصنّف الحيوانات إلى «ذات الدم الأحمر» و «غير ذات الدم الأحمر»وتحت كل قسـم منها أربعة اصناف من الحيوانات. وهو تصنيف ارتأينا تقديمه على النحو الآتي:(شكل رقم ٣)

يسـمّي أرسـطو هذه المجموعـات الثمانـي «الأنواع

●شكل رقم(٣)

الحيوانات ذات الدم الاحمر

أربع مجموعات

ذوات الاربع التوالدية	ذوات الاربع البيضيّة	الطيور	الاسماك
الثدييّات الحوتيّات الفقمة لوطواط هذه المجموعة يمكن أن تخضع لتقسيم فرعيّ جديد.	الحرذون السلحفايات الضفدعيّات الحيّات	ا ثمانية أصناف سنداً لأطرافها ذات المخلب ذات الأصابع المغشاة (ثمّ بحسب طريقة تغذيتها) آكلة الحبوب- آكلة الحشرات...	ُتقسّم بحسب طبيعة هيكلها العظمي غضروفيّة عظميّة

الحيوانات غير ذات الدم

أربع مجموعات

اللينات ذات الاجسام الخالية من العظم	الرخويات المكسية بالصدف	الرخويات ذات القوقعة القاسية	الحشرات
رأسيّات الأرجل الرخويّات	القشريّات	لصدف توتيا البحر...	تسعة أصناف يلحق بها الدود

الكـبرى» وهي أصنــاف. وقد كشــف مصطلحا «أنواع» و«تقسيم» عن أرسطو الفيزيائيّ العالم الّذي احتـوت كتاباته حـول علم الحيــاة ذهنيّة تبوييبّة. ففــي كتابه (خلـق الحيوانات) «درس الأجنــاس والتــزاوج والإخصــاب وعلــم الأجنّــة والولادة والوراثة والعناية بالصغار»[٥١] وفي ذلك وعي بالفروق بين عديد المواضيع والاختصاصات داخل العلــم الواحد (علم الحيــاة). وقد ذهب في كتابه حول ولادة الحيوانات إلى أنّ كلّ الحيوانات «تُولـد مـن حيوانات مـن نفس الصنـف، كانت موجـودة من قبل. والحيوانات تنقسـم بحسـب أسـاليب توالدها المتنوّعـة إلى خمس مجموعات: فبعضٌ منها يولد حيًّـا وبعضٌ يخرج من بيضة ولكنّها تفقس داخـل الأُنثى فتولد الصغار حيّة. وبعض الأنواع الدنيا قد تولد من جزء مُنقطع من جسم الأمّ كحال بعض النباتات. وأخيراً حيوانات تتوالد بالتحوّل أو التبدّل من حيوان آخر (شـأن اليرقة)»[٥٢].

د. الخطابة والفنّ

الخطابـة هـي «القيـاس المؤلّف مـن المظنونات أو منها ومن المقبولات. ويُسـمّى قياسـا خطابيّا أيضـاً وأمارة عنـد المتكلّمـين»[٥٣]. والحديث عن الخطابـة حديـث عن الخطيب صاحـب القياس ووظيفتُـه ترغيـب النـاس في مـا ينفعهـم مـن أمور معاشـهم ومعادهم لأنّ القيـاس الخطابيّ قيـاس إقناعـيّ. وقد نفـى سـقراط في محاورة الغورجيـاس Gorgias (معلّم الخطابة في أثينا) أن تكـون الخطابــة فنّـا. إنّهـا «خـبرة» تُحدث الانـشراح والـرضى وهـي «بالنسـبة إلى الـروح كالطهاية بالنسبة إلى الجسد، فالطاهي يقدّم ألذّ المأكولات دون أن يسـتطيع الاعتناء بالجسد كفنّ الطبّ»[٥٤]. لكنّ الخطابة مُقترنة بالنفاق والتملّق أيضـا إذا كان هدفها مصلحة الخطيب فحسـب. يقول سـقراط في محاورة الغورجياس: «في رأيي يا غورجياس أنّ الكلّ الّذي تؤلّف الخطابة جزءا منـه ليس فنّا على الإطلاق وإنّما هو عادة النباهة الجريئـة الحـاضرة التـي تعرف كيـف تتناول الناس: هذه العادة ألخّصها بكلمة التملّق»[٥٥].

الخطابة جزء من الأدب، والوعي بالكلّ والجزء وعي بالأصل والفرع يشـمل الوعـيَ بالتصنيف. أمّـا الفنّ فيعرفّه أرسـطو في كتـاب (الأخلاق إلى نيكوماخـوس) بقولـه: «إنّ كلّ فـنّ وكلّ بحث، وبالمثل كلّ غرض عمليّ أو مهمّة يبدو أنّها تهدف إلى خـير ما، ومن ثـمّ فقد صدق ما قيـل عن أنّ الخـير هو ما تهـدف إليه كلّ الأشـياء. ولَمّا كان هنالك عديد من الأغراض والفنون والعلوم، فإنّه يسـتتبع ذلـك أن تكـون أهدافها عديـدة بالمثل: فمثلا هـدف علم الطبّ هو الصحّـة. وهدف فنّ بناء سـفينة ما هـو اسـتراتيجيّة النصر. وهدف الاقتصاد القوميّ هو الثراء»[٥٦].

لاحظ أرسـطو تنوّعاً بـين أهداف كلّ علم أو فنّ تختلف وتتفرّع بتفـوّق بعضها على بعض وهذا هـو التمييز. يقول: «على أنّه في حالات تكون مثل هذه الأغراض العديـدة ثانويّة بالقياس إلى ملكة فريدة مثـل صناعة ألجِمة الخيـول والصناعات الأخـرى المتّصلة بأطقـم الخيول تُعـدّ صناعات ثانويّـة بالنسـبة إلى الفروسـيّة»[٥٧]. نحـن إذن إزاء ثنائيّة الأسـاسيّ والثانويّ ويمكن اعتبار هذا التعـدّد والتفضيل درجةً أولى في سـلّم التصنيف بما أنّ أهداف الفنون الأساسيّة أرقى من أهداف



الفنون الثانويّة.

أمّا الفنّ عند أفلاطون ففي مرتبة أدنى لأنّ وظيفته الوهم والفنون بصفة عامّة كالشعر والرسم إنّما هي «محاكاة مُحرّفة، عابرة، خادعة، ماسخة تصوّر بخُبث السطور والألوان ونور الأشياء التي تُحاكيها»[٥٨]. يعتبر أفلاطون في الكتاب العاشر من الجمهوريّة الفنّ مزيّفاً يُفسد النفس وبعيداً عن الحقّ الّذي يصبو إليه أفلاطون لأنّه «محاكاة المحاكاة» أي مُحاكاة المظهر الّذي هو بدوره محاكاة للحقيقة.

تعدّدت بحوث الفيثاغوريّين في هذا المجال حول الموسيقى. ويمكن تقسيم هذه البحوث إلى موضوعيْن مختلفيْن: أوّلهما نظريّة طبيعة الصوت. وثانيهما النظريّة المتعلّقة بسلّم الأنغام و « قد كان من الطبيعيّ لديهم أن يشبّهوا الأصوات بالأعداد وأن يجعلوا من سلّم الأصوات بناءً رياضيّا»[٥٩]. وهو تقسيم للمواضيع يتضمّن تصنيفا للبحوث. إنّ «بناء السلّم قد طبّق في علم الفلك بعد أن شُبّهت المسافات بين النوتات بالمسافات المتتالية بين النجوم والأرض»[٦٠]، فالبحث إذن عن نقاط ائتلاف بين الموسيقى والفلك هو مُحاولة جمع بين مجاليْن مختلفيْن مع الوعي بنقاط الاختلاف.

ه. القول الأخلاقيّ

يكاد القول الأخلاقيّ يكون مبثوثا في جلّ مؤلّفات أرسطو وأفلاطون سواء أكان ذلك مباشرة أم باستخدام بعض المفاهيم كالعدالة والفضيلة والخير والسعادة دلالة على القيمة الأخلاقيّة. فقد يكون علم الأخلاق «ذا قيمة عظيمة بالنسبة إلى من يقود رغبتهم وأعمالهم مبدأ[٦١] وهو علم يُعنى بأفعال الإنسان التي تهدف إلى الخير بُغية بلوغ السعادة لذلك يرى أرسطو اللذّة مرتبطة بقيمة القوّة والفعل والمطلب وهي لا تكون غايةً في حدّ ذاتها فاللذّة «إذا طُلبت لذاتها جرّت على طالبها الأضرار»[٦٢] واللذّة ليست هي السعادة لأنّ السعادة تجسّدها الحكمة.

يبيّن أرسطو أهميّة النفس الناطقة في تحقيق السعادة لتميّزها عن النفس الحاسّة أو النامية. فبفضل النفس الناطقة يمكن تحقيق اللذّة القُصوى وإذا حكّم الإنسان عقله لتوجيه أفعاله اكتسب الفضيلة لأنّها تُكتسب وتُعلّم. وكلّ فضيلة هي وسط بين رذيلتيْن كتوسّط الكرمِ التبذيرَ إفراطاً والشحّ تفريطاً. وهذا مُرتكَزُ نظريّة أرسطو في الأخلاق.

يُعرّف أرسطو الحياة الصالحة أنّها تتضمّن السلوك الطيّب في الحياة العامّة معتبرا إيّاها درجةً معقولةً للنجاح الدنيويّ. يقول: إنّ «كلّ الدراسات والمهامّ وجهتها بلوغ خيرٍ ما»[٦٣] والخير هو المنفعة والسعادة. وقد ذهب إلى أنّ «بعض صور الفضيلة تُسمّى فضائل عقلانيّة، وغيرها فضائل أخلاقيّة، فالحكمة والإدراك والفطنة فضائل عقلانيّة في حين أنّ الكرم والاعتدال فضائل أخلاقيّة»[٦٤] وفي ذلك ذهنيّة تمييزيّة للفضائل. فعن الأشياء الصالحة يقول أرسطو: «وبما أنّ الأشياء الصالحة قد قُسّمت إلى فئات ثلاث: الأشياء الخارجيّة الصالحة من ناحية، والصالحة للنفس والصالحة للجسم من ناحية أخرى، فإنّه من هذه الأنواع الثلاث من الأشياء الصالحة يقال بصورة عامّة أنّ الصالحة للنفس هي أسماها وأنّها صالحة في أكمل درجةٍ.



ولكـنّ أفعالنـا أعنـي ممارسـة النفـس الفعّالة لوظائفهـا يجـب أن توضـع في مرتبـة الأشـياء الخاصّـة بالنفـس، ومـن ثـمّ فإنّه فيمـا يتّصل بهذا الـرأي، وهو قائم من قديم وتقبّله دارسـو الفلسـفة بوجهٍ عامّ، فإنّ تعريفنا للسعادة يؤيّد صحّته»[٦٥].

أمّا أفلاطون فقد طرح على لسـان سـقراط في محاورته ميمون مسألة مصدر الفضيلة: هل هو التعلّـم أم المِران أم تَجُود بهـا الطبيعة أم هنالك مصـدر آخـر؟ خاصّة إذا كانـت تُتعلّم لن يكون معلّموها من السفسـطائيّين أمثال بروتاغوراس Protagoras أو مـن المحاربـين أمثـال تيميستوكليز Themistocles أو من السياسيّين أمثـال أريسـتدير Aristeider وثوسـيديدز Thucydides فالفضائـل عنـد أفلاطـون أنواع عديـدة ومُختلفة تجمعها خَصيصـة واحدة. أمّا الإنسـان الصالح في نظره فهو ذلـك الّذي يجمع بـين العـدل والاعتـدال[٦٦]، سـواء أكان رجلاً أم امرأة أم طفلاً أم عجوزاً.

توصّل سـقراط في محاورتـه إلى أنّه يُمكن تعلّم الفضيلـة، فالنفـس إذا اقترنـت بالحكمة تُصبح نافعـةً وتكتسـب فضيلـة لكـن في حـال غياب الإدراك تصبـح ضارّة وتقـترن بالرذيلة. يقول: «ليس عن طريق المعرفة وحدها يكون الأشخاص فاضلـين ونافعـين لمُدنهم (لو كانـوا كذلك)، بل بالفكر الصائـب أيضا. ولمّا كانت المعرفة والفكر الصائـب لا يأتيـان إلى البـشر تلقائيـاً فلابدّ من اكتسابهما»[٦٧].

وقـد اعتبر أفلاطـون الخير المبـدأ الأعلى للوجود والجوهر، إنّه علّة المعرفة ومنه تنشـقّ كلّ القيم. ويمكن للشيء أن يفقد القيمة والفضيلة إذا اختلّ نظامه المتمثّل في الاعتدال لأنّه الحكمة والسيطرة على الشـهوات. ويقسّـم أفلاطون فضائل النفس إلى ثلاث: الحكمة والعفّة والشجاعة: فالأولى أُولى الفضائـل تكمّل العقـل بالحـقّ، والثانية تلطّف الأهواء، والثالثة فضيلة القوّة الغضبيّة.

و. القول السياسيّ

السياسـة بالنسـبة إلى أفلاطون «تدبير شـؤون المدينة لتتحقّق سـعادة الأفـراد وفضائلهم»[٦٨]. داخل المجتمع الأمثـل. لكن من يقوم بتدبير هذه الشـؤون؟ إنّه صنف خاصّ من ساسـة وحكّام أفاضل يتّبعون نظاماً عـادلاً دقيقاً. وهذه نظرة تفاضليّة تُؤدّي إلى مدينة فاضلة تنبني على ثلاث وظائف: الإدارة والدفاع والإنتاج، وثلاث طبقات: الحكّام والجند والشعب. فالحكّام والجند دعامتا المدينة يسـمّيهما أفلاطـون «الحـرّاس»، وحتّى يتكـوّن هؤلاء جيّـداً لابـدّ من «تغذية نفوسـهم بالآداب والفنـون وتعليمهم القصص التي تحثّ عـلى عمـل الخير. أمّـا الشـعر والقصـص التي تحـثّ على عمـل الـشرّ فنُبعدهـا عنهـم وننفي أصحابهـا»[٦٩]. نلاحـظ أنّ هـذا التمييز تحكمه قيمتا الخـير والشرّ لذلـك اعتُبر تمييـزا أخلاقيّا أكثـر منه معرفيّا. يقول أفلاطون في الجمهورية: «إنّ مـا يُضفي الحقيقة عـلى موضوعات المعرفة ومـا يُضفي مَلكة المعرفة عـلى العارف هو مثال الخير فهـو علّة العلم والحقيقة. إنّه يحسـن بك أن تعده شـيئًا يتجاوز الحقيقة والمعرفة ويسمُو عليهمـا على الرغم ممّا لهما مـن قيمة»[٧٠]. ففي التدريبـات العسـكريّة مثـلا مرحلـة يُنتقى لها أفضـل العسـكريّين «مـن حيـث شرف النفـس



ومحبّة الحقّ وضعف الشـهوة وسـهولة الحفظ. ومـن ثـمّ يتعلّمون الفلسـفة لمدّة خمس سـنين، وبعدها يتمرّسـون بالمناهـج العلميّة. ويُعهد إلى هؤلاء بعد الخامسة والثلاثين بالوظائف الحربيّة والإداريّة حتّى الخمسين فيترقّى المُتميّزون منهم إلى رتبة الحكّام فبهم تصلُح المدينة لأنّهم وحدهم يسـتطيعون وعي القوانين وعيـاً علميّاً وتعليمها لغيرهم»[٧١]، إنَ في ذلك تدرّجا للوصول إلى مرتبة الحاكم وهي مرتبة في أعلى الهرم الوظيفيّ.

نلاحظ اهتماما تراتبيّا بالأخلاق ثمّ بالفلسفة ثمّ بالعلم فبالإدارة، وتصنيفًا للمعرفة بتقديم بعض مجالاتها عن أخرى، ثمّ ترتيباً للوظائف في المدينة الفاضلة وأعلاها مرتبة الحكّام وهم من الفلاسفة الأقدر معرفةً وفضيلـةً وتصوّراً للقوانين العادلة تصـوّراً علميـاً إنّهم حسـب أفلاطـون على رأس الدولة. يقول على لسـان سقراط: «أيّ الأشخاص سـتدفع بهم إلى تقبّل الوِصاية على المدينة سـوى من هـم أحكم الناس في الأمور التـي تُتيح لمدينة من المُدن أن تُدار أحسـن إدارة، وسـوى من لهم أمجـاد من نوع آخـر ويحيوْن حيـاةً أفضل من الحياة السياسيّة»[٧٢]، في هذا القول ترتيب ضمنيّ يرشّح الفيلسوف للمرتبة الأولى، وفيه مُفاضلة أو تراتبيّة تدلّ على عقليّة تصنيفيّة. فهدف الساسة إحلال العدل محلّ الظلم لذلك أعتبر الفيلسـوف الأصلح لهذه المهمّة لأنّ بيده رؤية الحقّ والصعود إلى المُثل، وإليه يجب أن تعهد حراسة الدولة.

يقـول أفلاطون عن السّاسـة: «لا يهمّهم الفهم والإدراك أكثر من اهتمام منشـدي قدس الأقداس والمتكهّنـين بـه، لأنّ هـؤلاء في اسـتغراقهم غالباً مـا يقولون الصـدق بما فيه الكفايـة. ولكنّهم لا يعرفون شـيئاً عمّا يقولونـه»[٧٣]، فهم عاجزون عن تعليم الفضيلة. ويضيف مُخاطبا الفلاسـفة: «يجب عليكم أن تهبطوا إذن بدوركم إلى مساكن غيركـم وتُعوّدوا أنفسـكم على ظُلمتهـا لأنّكم إذا اعتدتـم عـلى ذلك سـتكون رؤيتكـم أفضل ألف مـرّة من رؤية من يعيشـون هناك. وسـتعرفون مـا عليه الصور وصور من تلك الصور، لأنّكم قد رأيتم الحقائق التي تكمن وراء الأشياء الحقيقيّة والجميلـة. ومـن ثـمّ فـإنّ مدينتنـا لمصلحتنـا ومصلحتكم ستُدار دفّة أمورها في يقظةٍ تامّة لا في حُلم كما هو الغالب الآن إذْ يُديرها أُناس يُحاربون بعضهم بعضا من أجل ظلال. ويتصارعون فيما بينهم ليكونوا حكّامـاً كما لو كان وراء ذلك خيرٌ عميـم. ولكـنّ الحقيقة هـي في قليـل أو كثير أنّ المدينة التي يحكمها أُناس هم أقلّ الناس رغبة في أن يصبحوا حكّاما، هي بالضرورة أحسـن إدارة وأقلّ شغبا، في حين أنّ المدينة التي يحكمها أناس يريدون أن يحكموها أكثر من أيّ شيء سواه، هي أسوأ المُدن إدارةً»[٧٤].

ويـرى أرسـطو أنّ الأسرة والملـك ضروريّـان للإنسـان لأنّ العائلـة كُتلـة اجتماعيّـة لا يُمكن تجاوزها. أمّا عن الرقّ فيذهب إلى أنّه أمر طبيعيّ وضروريّ مثلما أنّ الدولة ضروريّة لأنّ الإنسـان «حيـوانٌ اجتماعـيّ» لا يُمكنـه بلـوغ السـعادة خـارج الإطـار الاجتماعـيّ، والدولة هـي المنظّم لهـذا المجتمع وهي التـي تقوم بالعنايـة به. أمّا المجتمعـات فأصناف: الأسرة والقرية والمدينة. في حين أنّ الإمبراطوريّات والممالك الكُبرى مجتمعات غير طبيعيّة. ولا فـرق في الدولة أن يكون الحكم ملكيّا أو أرستقراطياً أو ديمقراطياً، المهمّ تحقيقُ



المنفعة للجميع.

٣. تداخل المكوّنات

يميّـز أفلاطـون بين المعرفـة والأفـكار الصائبة ويكمـن الاختـلاف بينهما في وثـاق التذكّر الّذي يجعـل من الأفكار معرفـة ويخلُص إلى أنّ هذين العنصرين يَهديان إلى الصـواب فنلاحظ تداخلاً بين القول الفلسفيّ والقول الأخلاقيّ.

ويُعـرّف أفلاطون الفضيلة في مجال السياسـة عـلى أنّها «القـدرة على أن تَسُـوس في عدل». وفي ذلك تقديم للقـول الأخلاقيّ المتمثّل في العدل على القول السـياسيّ وتداخلٌ بين القولَيْن. وقد بيّن في الغورجيـاس أنّ آمال الخطبـاء يمكن أن تكون خـيراً إذا كانت مبنيّةً عـلى العدالة. إنّه قول أدبيّ يُداخله قول أخلاقـيّ ينضاف إلى ما توصّلنا إليه في بداية البحث من تداخل بين الموسـيقى والفلك مـن ناحية والموسـيقى والرياضيّـات من ناحية أخرى.

اعتمـد أفلاطـون في المحـاورة التـي دارت بين سقراط ومينون حول إذا ما كانت الفضيلة تُتعلّم عـلى مثال هندسيّ في تفسـيره. يقول على لسـان سقراط: «فأنا أحبّ إذن أن أفترض فرضاً قبل أن أقول لك ماذا سـيحدث بالنسبة إلى إدخال المثلّث في الدائـرة سـواء كان ذلك مُمكناً أو مُسـتحيلاً، فعلينا إذن أن نتنـاول الفضيلة بتلك الطريقة إذ مـا دمـت لا تعرف ما هي أو على أيّة شـاكلة، ثمّ نفكّر فيما إذا كان من المُمكن تعلّمها أم لا»[٧٥].

ثالثـاً: محـدّدات ظاهرة التصنيـف في الفكر الإغريقي: افلاطون وأرسطو مثالين

١.الفهـم المثـالي أو إنمـوذج المعرفـة التذكّريّة (أفلاطون)

تحتـوي الديالكتيكيّـة الأفلاطونيّة عـلى ثنائيّة طرفاها متقابلان وهمـا منطق الدحض ومنطق الإقرار. يجسّـدان مظهراً أوّلاً يميّز فيه بين القيم سـواء أكانت مزعومة (السفسطائيّة) أم حقيقيّة (فلسـفيّة). ومظهراً ثانياً يميّز فيه بين المعارف المقسّـمة إلى اعتقاد ومعرفة صحيحة فننتقل من الاعتقاد إلى الوهم مـن جهة، والظنّ الصادق من جهـة ثانية داخل عالم المحسوسـات ثـمّ المعرفة الصحيحة وما تحتويه من فكر رياضيّ وفلسـفة داخـل عالم المثـل. ومظهـراً ثالثاً يشـمل إقرار العلم والعلم الكامل والمعرفة التقريبيّة والرسـم والتعريف والاسـم. نسـتنتج إذن أهميّـة الفكر الرياضيّ في نظريّة المعرفة لدى أفلاطون.

إنّ طريـق الرياضيّـات هو الطريـق إلى عالم المُثل والفلسفة والحكمة. فالأشـياء الرياضيّة تشتمل على الأعداد والكميّات. وهي حقائق تتوسّط المُثل والمحسوسـات التي تكون ثابتـة ومتعدّدة بينما يكون المثال واحدًا، لذلك حازت الرياضيّات مرتبة عُليـا ضمن النظريّـة التصنيفيّة لأفلاطـون[٧٦]. إضافـة إلى أنّ للفلسـفة مرتبتهـا المهمّـة في الديالكتيكيّـة الأفلاطونيّـة. فالفلاسـفة هـم الأقدر معرفةً وفضيلةً وتصوّراً علميّاً للقوانين العادلـة. أمّا السياسـة بالنسـبة إلى أفلاطون فزيـف ووهم وفنّ ينقسـم إلى تشريـع وعدالة مقابـل الـروح، أمّا فـنّ التدريب فينقسـم إلى الطبّ والرياضة مقابل الجسد.

لقد جمع أفلاطون بين الشـعر والرسـم على أساس الأداة، لأنّ الشعر كالرسم يستعمل فيه



الشاعر الألفاظ والجمل مثلما يستعمل الرسّام الألوان والأبعاد. والفنّ بالنسبة إلى أفلاطون محاكاة للواقع بل إنّه محاكاة من درجة ثالثة يتضمّنها عالم المحسوسات والأوهام لأنّ المعرفة درجات: معرفة وهميّة في القاعدة ثمّ الظنّ الّذي يخصّ المحسوسات فالفكر الرياضيّ فالعقل أو الديالكتيكيّة.

٢. الفهم الواقعيّ (أرسطو)

إنّ مقاربة أرسطو تمييزيّة تنبني على التعريف الماهوي الّذي يحدّد سمات التباين بين العلوم. يقول أرسطو: «ويقال عن هذا الأخير (العلم) إنّه نظريّ وعمليّ وإنشائيّ وكلّ من هذه الفروق يُميّز علاقة ما، إذ أنّ العلم هو إمّا نظريّة شيء أو إنشاء شيء أو فعل شيء»(٧٧). ففي تصنيف العلوم تمييز بين ثلاثة أصناف من المعرفة: نظريّة وعمليّة وإنتاجيّة و»تستند هذه القسمة الثلاثيّة إلى معيار القصديّة الإبستومولوجيّة وطبيعة الموضوع المقصود»(٧٨).

تختلف المعارف الثلاث في الغاية فغاية المعرفة النظريّة هي المعرفة الخالصة، وغاية المعرفة الإنتاجيّة هي إنتاج شيء ما، وغاية المعرفة العمليّة هي العمل. ويُعتبر مبدأ الكليّة مبدءاً أساسيّاً للمعرفة النظريّة التي من خصائصها الأساسيّة الضرورة والأبديّة اللتان تضمنان لها نوعًا من الاستقلال عن الذات العارفة. أمّا المعرفة الإنتاجيّة والمعرفة العمليّة فهي «ليست مُطلقة الكليّة والضرورة والأبديّة»(٧٩). وقد بيّن أرسطو أن لا علم إلاّ بالكليّات وأنّ «ما ليس محدّدا وليس ضروريّا يُنسب إلى الاتفاق والبحث إذن فهو لا يمكن أن يكون موضوعاً للقول العلميّ»(٨٠). ولكن لابدّ من الإقرار بأنّ ترتيب المعرفتيْن الإنتاجيّة والعمليّة في درجة أدنى من تلك النظريّة لا يعود إلى طبيعة الموضوع وإنّما إلى طبيعة القصديّة.

لقد حصر أرسطو العلوم النظريّة في ثلاثة أصناف وهي: الرياضيّات والطبيعيّات وما بعد الطبيعة مُستثنياً المنطق. ولئن اعتبر ج.ج. جرانجي أنّ المنطق علم إنتاجيّ فإنّ حديث أرسطو «عن إنتاج القياسات أو الحُجج ليس كافياً لنصنّف من خلاله المنطق ونظريّة العلم بين العلوم الإنتاجيّة»(٨١).

بيّن أرسطو أنّ العلوم النظريّة تنضوي تحت محدّدين كبيريْن: إثبات علم ما بعد الطبيعة وتحديد علاقة علم الطبيعيّات والعلم الرياضيّ بالعلم الأوّل. وحدّد السمات المميّزة لكلّ علم من هذه العلوم في حين أنّه لم يحدّد مُحتوى الجدل أو الصور الجدليّة.

يعتبر أرسطو العلم الإلهيّ والعلم الطبيعيّ والعلم الرياضيّ أجزاء من منظومة معرفيّة خاصّة لقوانين تسمّى المنطق، خاصّة أنّ وازع الفلسفة نظريّ معرفيّ يندرج ضمن مفهوم علميّ هو «العلّة».

في المنظومة الأرسطيّة ترتيب للعلوم النظريّة. إنّنا إذا اعتمدنا في ذلك معيار تناول الإنسان لها كان العلم الطبيعيّ أقرب إلى التناول، ثمّ العلم الرياضيّ، فالعلم الإلهيّ وهو ترتيب عكسيّ مقارنة بالترتيب وفق الموضوعات بما أنّه ترتيب ينطلق من الأدنى إلى الأرقى، أمّا إذا انطلق الترتيب من شرف الموضوعات فإنّ



الاتّجاه سيكون من الأرقى إلى الأدنى ليكون العلم الإلهيّ في المرتبة الأولى يليه العلم الرياضيّ فالعلم الطبيعيّ.

قسّم أرسطو العلوم إلى نظريّة مجالها العقل، وعمليّة مجالها الإرادة والفعل. في العلوم العمليّة التي تهتمّ بالمنفعة الخاصّة تحتلّ السياسة المرتبة العليا لتكون موضوعاتها الأخلاق والعدل وهدفها العمل لا المعرفة. إنّ السياسة وفق أرسطو أرفع من علم الأخلاق لأنّها تتناول المجتمع لا الفرد وهي «علم يسنّ القوانين ويرعاها مُستفيداً من عدّة علوم كالأخلاق والاقتصاد والفنون»[٨٢].

وبالسؤال عن «الخير الأسمى» يقول: «يبدو أنّ هذا الهدف الأسمى لابدّ أن يكون موضوع أكثر العلوم تسلّطا. ولكن مثل هذا العلم من الواضح أنّه علم السياسات، وفروع المعرفة يجب أن تتعلّمها مُختلف طبقات المواطنين ولأيّ غرض. ونلاحظ أنّه حتّى أسمى الملكات تقريراً مثل الإستراتيجيّة والاقتصاد القومي والبلاغة تُعدّ ثانويّة بالقياس إلى علم السياسة. ونظراً لأنّ بقيّة العلوم إذن يخدمها هذا العلم الواحد، ونظراً لأنّه فضلاً عن ذلك يضع قوانين عمّا ينبغي على الناس أن يفعلوه وأي الأشياء يجب أن يتجنّبوها، فإنّ هدف هذا العلم يجب أن يتضمّن أهداف العلوم الأخرى جميعاً. ومن ثمّ فإنّ خير الإنسان يجب أن يكون هدف علم السياسات. إنّه بالرغم من أنّ القضيّة هي قضيّة الخير سواء بالنسبة إلى الفرد أو بالنسبة إلى الدولة فإنّ خير الدولة واضح أنّه أكبر وأكثر كمالاً سواء فيما يبلغه أو فيما يحافظ عليه»[٨٣].

لا يعدو التصنيف الأرسطي أن يكون تحديداً أو تعريفاً ماهويّاً للعلوم وما تشمله من تمييز، وبناء على ذلك يرتّبها ترتيباً مخصوصاً ضمن سلّم الموضوعات.

نخلص إلى أنّ العقليّة التصنيفيّة عقليّة عريقة لاسيّما إذا انتبهنا إلى حقيقة أنّ الحضارة الإنسانيّة قد خضعت لمسار تطوّر حقّقت فيه ظاهرة تصنيف العلوم نُقلة نوعيّة بانتقال العلوم من طور الفوضى والتشتّت إلى طور الضبط والتحديد العلميّين. لقد تميّزت الثقافة الإغريقيّة بالثراء المعرفيّ فتعدّدت فيها الأفكار وتنوّعت بتنوّع مجالاتها وراوحت بين السياسة والحقّ والآلهة. وكانت أرضيّة خصبة لظُهور أفكار علميّة وفلسفيّة نقيصتُها أنّها كانت أقوالاً مُبعثرةً ذات اتجاهات متضاربة بحسب أهواء الفيلسوف وميوله العامّ.

لعلّ «شاتلي» Chatli لم يُخطئ عندما اعتبر أفلاطون مُبتكر الفلسفة، لِمَ لا وقد جمع هذه الأقوال المُبعثرة وجعلها في نسق متّحد ومُتكامل. لقد وضع نسقاً فلسفيّاً يجمع بين طريقة التفكير الديالكتيكيّة والنظريّة السياسيّة والفلسفيّة خاصّة وقد أدرك أنّ الممارسة الفلسفيّة تتطلّب جهداً كبيراً حتّى تستهوي العقول الموهوبة. ومن ثمّ فإنّ تنسيق هذه الأفكار المشتّتة كان في إطار بناء قول فلسفيّ قادر على أن يكون حكماً بين الأقوال الأخرى.

إلاّ أنّه من الضروريّ الإشارة إلى وجود اختلاف جوهريّ بين أفلاطون وأرسطو في مستوى



التمييـز بين عالم عـاديّ بمضمونه وعالم آخر فُـرض مـن الكيانات المُدركة. ففـي حين وجّه أرسـطو اهتمامـه إلى مـا وراء الطبيعـة وإلى علم الإلهيّـات وكان هاجسـه البحث في مكانة الإنسـان في العالـم أَدانَ أفلاطون هـذا العالم لعدم واقعيّتـه ولكونه مجرّد أوهـام. ومن ثمّ ندرك أنّ أرسطو وأفلاطون مثّلاَ حلقتيْ بداية للتفكير المنهجيّ الّذي تأكّد خاصّة مع أرسطو. فهل كان ذلك التنظيم عفويّاً أم نتيجةَ وعيٍ؟

●خاتمة

بـدت العقليّـة الإغريقيّة تمييزيّـة تصنيفيّة انبنـت أساسـاً في فصلهـا بـين العلـوم عـلى التعريف الماهوي اعتماداً على طبيعة القصديّة الإبسـتيمولوجيّة وطبيعـة المواضيـع العلميّة ذاتها ممّا يُحدّد سـمات التبايـن بينهما. ومن ثمّ يُمكن تمييز هذه العلوم بعضها عن بعض. ثمّ ترتيبها ضمن سـلّم من الموضوعات بحسب شرفها وبحسب قُرب تناولها من الإنسان.

يكشف اعتماد المنحى الأركيولوجي في التراث العلميّ لدراسـة تصنيف العلوم مدى إسـهام كلّ حضارة في فترة من فترات التاريخ بنزرٍ من العلوم باعتبارها حلقة ضمن سلسلة مُتواصلة من الحوار بين الثقافات إذ مثّلت كلّ منها جدولاً يتدفّق معرفةً مُتفرّعة بشتّى مجالاتها تستقي من سـابقاتها كما اسـتقت الحضارة العربيّة من الحضارات السابقة لها فارتوت من الثقافة الهنديّة رياضةً وفلكا، ومن الفارسـيّة تنظيماً وإدارة وأدباً، ومن اليونانيّة علوما أطلَقَ عليها العرب اسم علوم الأوائل.

وإذا عرفنـا تاريخيّاً أنّ الفتوحات الإسـلاميّة مسّـت الجانب المعـرفيّ والعلميّ فـإلى أيّ حدّ تنوّعت طرائق اسـتلهام العرب من تلك المنافع الثقافيّة استيعاباً وتطويراً؟

●الهوامش:

(١) ابـن منظور، لسـان العـرب، دار صادر، بيروت، مج٩، ص١٩٨.

(٢) المصدر نفسه، مج٩، ص٤٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦.

(٤) المصدر نفسه، مج١٢، ص٥٧٨.

(٥) محمّد علي التهانوي، كشّـاف إصطلاحات الفنون، ط١، لبنان، ص٤٩٧ .

(٦)عبـد المنعـم حنفـي، المعجـم الشـامل لمصطلحـات الفلسـفة، ط٣، ٢٠٠٠، ص ص ١٩٦- ١٩٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٩٦- ١٩٧.

(٨) التهانوي، كشـاف اصطلاحـات الفنون، ص١٠٥٥.

(٩) عبـد المنعـم حنفـي، المعجـم الشـامل لمصطلحات الفلسفة، ص٥٤٨.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٥٤٩.

(١١)الجرجانـي، التعريفات، معجم فلسـفي منطقي فقهي لغوي نحوي، تحقيق عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، ص٨٠.

(١٢) المصدر نفسه، ص٩١.

(١٣) ينظر: تعريفاتها تباعا في المصدر نفسه، ص٩٣.

(١٤) وورنر ريكس، فلاسفة الإغريق، ترجمة عبـد الحميد سـليم، الهيئـة المصريـة العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص١١.

(١٥) أرسـطو، ما بعد الطبيعـة، أ. II ٩٨٢ ،



ب ١٠،٢٥.

(١٦) وورنر ريكس،المصدر نفسه، ص ١٤.

(١٧) وورنر ريكس، المصدر نفسه، ص ١٦.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٧.

(١٩) المصدر نفسه، ص٢٣.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٢٧.

(٢١) المصدر نفسه، ص٤٤.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٤٥.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٢٤) نعني النصف الثاني من القرن الهجري الأوّل.

(٢٥)السفسطائيّة فرقة من المشتغلين بالحكمة وتدريسها، وأبرزهم بروتاغوراس الأبديري (نحو ٤٨٠– ٤١٠ ق.م) وجورجياس الليوتي (٤٨٣-٣٧٥ ق.م) وهيمياس الإيلي وبروديتوس. يجزم كلّ منهم بحقيقة قوله وبطلان الأقوال المخالفة له. أمّا السفسطة فهي «قياس مركّب من الوهميّات وقيل مركب من المشبّهات بالواجبة القبول». عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص٤٢٣. والغرض منها تغليط الغير فيكون السفسطائيّ بذلك هو «الحكيم المموه الّذي يلجأ إلى المغالطة ويستخدم قياسًا ظاهره الحقّ وباطنه الباطل». المصدر نفسه، ص٤١١.

(٢٦)فتحي التريكي، أفلاطون والديالكتيكية، المكتبة الفلسفية- الدار التونسية للنشر، ماي, ١٩٨٥، ص٢٩.

(٢٧) المصدر نفسه، ص٨.

(٢٨)G.Flummariory أفلاطون Cheetete تعريب محمّد العريبي ١٥٠a – ١٥٠، ص٧١.

(٢٩) المصدر نفسه، ص٧٠.

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) فتحي التريكي، المصدر نفسه، ص٤٠.

(٣٢) أفلاطون، الجمهورية-٥٣٣- ترجمة فؤاد زكرياء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص٤٥٩.

(٣٣) وورنر ريكس، المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٣٧) فتحي التريكي، أفلاطون والديالكتيكية، ص٩٧.

(٣٨) عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص ٢٤٩.

(٣٩) المصدر نفسه، ص٢٤٩.

(٤٠) ريكس وورنر، فلاسفة الإغريق، ص٨٨.

(٤١) فتحي التريكي ، المصدر نفسه ، ص ص ٦٩ – ٧٠.

(٤٢) عبد المنعم حنفي، المصدر نفسه، ص٦٠٢.

(٤٣) كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفيّ والاجتماعيّ، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ص٢٠٣.

(٤٤) أفلاطون، المأدبة، ٢٠٤ .أ.ت
(Platon = La banquet 204.a.c)

(٤٥) الصورة هي عمل خصائص الجسم ومصدر أفعاله وما التمايز في الأفعال إلاّ من تمايز الصور.

(٤٦) كميل الحاج، الموسوعة الميسّرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ص٢٠٥.

(47) Aristote: physique.livre III chapitre 5 .266.b 25-29

(٤٨) فتحي التريكي، المصدر نفسه، ص٥.
(٤٩) المصدر نفسه.
(٥٠) رينيــه تاتــون، تاريــخ العلــوم العــام. العلم القديم والوســيط من البدايات حتّى سنة ١٤٥٠م، ترجمة علي مخلّد، المؤسسة الجامعية للدراســات والنشر والتوزيــع، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٧٢.
(٥١) المصدر نفسه، ص ص ٢٧٣-٢٧٤.
(٥٢) عبــد المنعــم حنفــي، المعجــم الشــامل، ص٣٣١.
(٥٣) فتحي التريكي، أفلاطون، ص١٠٢.
(٥٤) المصدر نفسه، ص١٠٢.
(٥٥) المصدر نفسه، ص٣٤.
(٥٦) وورنر ريكس، فلاسفة، ص١٤١.
(٥٧) فتحي التريكي، أفلاطون، ص٥٥.
(٥٨) المصدر نفسه، ص٦٥.
(٥٩) رينيــه تاتــون، تاريــخ العلــوم العــام. العلم القديم والوســيط من البدايات حتّى سنة ١٤٥٠م ، ص٢٤٢.
(٦٠) المصدر نفسه، ص٢٤٣.
(٦١) وورنر ريكس، المصدر نفسه، ص١٤٣.
(٦٢) كميل الحاج، الموســوعة الميسّرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ص٢٠٠.
(٦٣) وورنر ريكس، المصدر نفسه، ص١٤٧.
(٦٤) المصدر نفسه، ص١٦٨.
(٦٥) المصدر نفسه، ص٤٥٥.
(٦٦) الاعتدال بمعنى رجاحة العقل.
(٦٧) وورنر ريكس، المصدر نفسه، ص١٣١.
(٦٨) كميل الحاج، الموســوعة الميسّرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ص٢٠٣.
(٦٩) وورنر ريكس، المصدر نفسه، ص١٣٢.
(٧٠) فتحي التريكي، أفلاطون والديالكتيكيّة، ص٦٢.
(٧١) كميل الحاج، المصدر نفسه، ص٢٠٣.
(٧٢) وورنــر ريكــس، فلاســفة الإغريــق، ص١٣٠.
(٧٣) المصدر نفسه، ص٩٨.
(٧٤) المصدر نفسه، ص١٣٣.
(٧٥) رينيــه تاتــون، تاريــخ العلــوم العــام، ص٢٤٣.
(76)V.Goldschmidh, la ligne de la république et la classification des csiences, in questionsplatoniciennes, Vrim, Paris 1970, p 203
(٧٧) المواضيع VI. ٦. ١٤٥. ب. ١٥. ١٧.
(٧٨) أبــو يعــرب المرزوقــي، إبســتومولوجيا أرســطو مــن خــلال منزلــة الرياضيّــات في قوله العلمــي، الدار العربيــة للكتاب، ١٩٨٥، ص٣٨٥.
(٧٩) أبــو يعــرب المرزوقــي، المصدر نفســه، ص٣٨٥.
(٨٠) أرســطو، المصدر نفســه، الواو ١، ب ١، ٢٧.
(٨١)أبو يعرب المرزوقي، المصدر نفسه.
(٨٢) كميل الحاج، الموســوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والإجتماعي، ص٢٠٠.
(٨٣) وورنــر ريكــس، فلاســفة الإغريــق، ص١٣٥.



Classification of science in the ancient Greeks Aristotle and Plato are two examples

By: Dr. Yamina Hilaly/ Tunisia

Abstract

This research takes on discussing the meeting between two cultures and the extent of knowledge communication in the awareness of Greek culture since Aristotle to Plato For the purpose of searching for the explanation of things and their principles, knowing the facts and their reasons, and highlighting the curricula of ancient scientists and their methods adopted generations ago because the history of science has something to do with social phenomena, because the first is a way of knowing the maturity, awareness and progress of the second The research reveals the process of digging into the scientific heritage and the extent to which scientists contributed to progress starting from ancient civilizations and studying the .development of the scientific mentality

